

عطا علي محمد شحاته ريّه

اليهود

في بلاد المغرب الأقصى

في عهد المرينيين والوطاسيين



دار الحكمة

اليهود في بلاد المغرب الأقصى
في عهد المرينيين والوطاسيين

- اليهود في بلاد المغرب الأقصى
في عهد المرينيين والوطاسيين
- عطا علي محمد شحاته رّيه
- الطبعة الأولى 1999
- دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - برامكة
ص. ب: 2229 ها، فا: 2126326
- دار الشفيق للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق
ص. ب: 1484 ، ها: 4447395
- جميع الحقوق محفوظة
- التنضيد والإخراج : دار الكلمة

عطا علي محمد شحاته ريّه

اليهود

في بلاد المغرب الأقصى

في عهد المرينيين والوطاسيين



دار الكتب

الإهداء

إلى كل من يلتمس طريقاً لكي يسخر
طاقاته البناءة في سبيل تنقية التاريخ من
الشوائب وتطهيره من الأدران من أجل
رفعة أمتنا الخالدة....

عطا أبو ربه

تقديم

هذا الكتاب دراسة متخصصة استوفت منهج البحث التاريخي، فقد استقصى صاحبها كل ما أتيح له من مصادر ومراجع، ليخرج بهذه الدراسة الممتعة عن موضوع هام لم يسبقه إليه أحد من الباحثين في حدود ما نعلم.

وهذا الموضوع هو حديث عن تاريخ يهود المغرب الأقصى في عهد دولتي المرينيين والوطاسيين في فترة بالغة الحساسية في تاريخ هذه المنطقة. فقد كان الصراع محتدماً بين ممالك إسبانيا النصرانية وبين ممالك المغرب الإسلامي، بدءاً من عهد المرابطين في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد. فهل كان لليهود المغرب الأقصى دور في هذا الصراع في فترة البحث؟ وما هو طبيعة هذا الدور؟ وما هو دورهم داخل بلاد المغرب الأقصى؟ أقصد دورهم السياسي والحضاري؟

وقد أجابت هذه الدراسة أو هذا الكتاب على هذه التساؤلات وغيرها في حيدة تاريخية، فقد فسر لنا علاقة المرينيين والوطاسيين بيهود المغرب الأقصى، وكشف عن تسامح هؤلاء الحكام وكذلك الرعية مع هؤلاء اليهود، الذين كانوا في الواقع فصيلاً من المواطنين الذين كانوا يعيشون وقتذاك على أرض هذه البلاد.

ولذلك نراهم وقد شاركوا في الحياة السياسية مشاركة واسعة، فصار منهم الوزراء والسفراء والحجاب وكبار الإداريين. كما أنهم شاركوا في الحياة الاجتماعية داخل طوائفهم وداخل أحيائهم التي اختصوا أنفسهم بسكناها،

سواء في إقليم فاس أو في سائر أقاليم المغرب الأقصى. وقد تحدث الباحث عن نظام حياتهم الاجتماعية، فأشار إلى جماعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم واحتفالاتهم وأعيادهم. كما تناول الباحث حياتهم الاقتصادية وآثارهم في التجارة الداخلية وتجارة المغرب الأقصى الخارجية. كما عرض الباحث لحياتهم الثقافية ودراساتهم في ميادين شتى؛ سواء فيما يتعلق بالتراث اليهودي أم في سائر العلوم الأخرى من فلك وفلسفة ومنطق وموسيقى وطب وصيدلة.

هذا وإن كان الباحث لم يفته أن يشير إلى بعض من مؤامراتهم ودسائسهم التي قاموا بها في أحوال سياسية معينة. كما لم يفته أيضاً الإشارة إلى أثرهم في انهيار الاقتصاد المغربي في بعض الأحيان، نتيجة لارتباطهم بقوى خارجية، أو نتيجة لشدة حرصهم وجشعهم واتباعهم أساليب اقتصادية تؤدي إلى هذه النتيجة، كالاحتكار وغش السلع وتزييف العملة والتعامل بالربا وغير ذلك من الأعمال التي جرّت عليهم أحياناً غضب السلاطين والرعية، مما عرضهم للمساءلة والعقاب.

وعلى أي حال فإن هذه الدراسة تعتبر من الدراسات الجادة التي تناولت تاريخ يهود المغرب الأقصى في العصور الوسطى، وقد بذل صاحبها مجهوداً لا بأس به في إخراجها على هذا النحو، ونرجو له المزيد من التوفيق والسداد والرشاد.

المنيل في 1997/8/22

أ. د. رجب محمد عبد الحليم

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ

بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة

المقدمة

لعب يهود المغرب الأقصى دوراً خطيراً في تاريخ هذه البلاد خاصة في أواخر العصور الوسطى، وتناول هذا الدور من الأمور الهامة والمثيرة، لأنه يمس أموراً فائقة الحساسية، ويفرض على الباحث نوعاً من الجدية والموضوعية الخاصة، وإن كانت هذه الجدية مطلوبة في كل الأحوال.

فالبحث في موضوع اليهود خاصة في المغرب الأقصى تعتبر ضرباً من الدراسات التاريخية الهامة، ذلك أن يهود المغرب الأقصى خاصة في عصر المرابطين والموحدين، لم ينالوا اهتمام الباحثين، وبالتالي لم يظهر لهم أي دور في المغرب، مما جعل الكثير من المؤرخين والباحثين لا يعرفون الكثير عنهم في هذه الفترة. واتجهوا في الدراسة في العصور الإسلامية الوسطى بالحديث عن الدول التي قامت في هذه البلاد، وعلاقات هذه الدول بعضها ببعض. ولذلك كان اهتمام الباحث بدراسة تاريخ اليهود ودورهم في عصر الدول المرينية والوطاسية. فأظهر الباحث قدر استطاعته دورهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي في المغرب الأقصى، محاولاً أن يملأ فراغاً في المكتبة التاريخية بالنسبة لهذا الموضوع في هذه الفترة التي امتدت ثلاثة قرون ولم يتناولها الكثير من الباحثين باستفاضة كافية.

ومن هؤلاء الباحثين الذين تناولوا الموضوع في عجلة الدكتوراة/ نوال علي عبد العزيز / في رسالتها للدكتوراه «علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس [869 - 962 هـ / 1465 - 1554م]». حيث ركزت على العلاقات

الخارجية للدولة، وتناولت اليهود من خلال دراستها التي تنصب أصلاً على علاقتها مع جيرانها. ولذلك غاب دور اليهود الاجتماعي والثقافي والسياسي، وأشارت إشارات سريعة عن دورهم الاقتصادي في صفحات عابرة.

وكذلك الدكتور/ محمد عادل عبد العزيز / في أطروحته للماجستير «الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين» فقد ركز على الدور الثقافي والاجتماعي للدولة، ودور المغاربة فيه. ولم يذكر أي دور لليهود في هذين المجالين، رغم خطورة دورهم خاصة الاجتماعي والثقافي. الذي استمد من تركزهم في المغرب الأقصى دهوراً طويلة.

كذلك الدكتور / رضوان البارودي / في رسالته للدكتوراه «الحياة الحربية في عصر الدولية المرينية». والتي ركّز فيها على حروب الدولة الداخلية والخارجية. ومن خلال هذه الحروب ذكر النصارى ووضعهم داخل الدولة كجند مرتزقة، ولم يظهر أي دور لليهود المغاربة.

كذلك الدكتور / على حامد الماحي / في رسالة «المغرب في عصر السلطان أبي عنان». التي خصصها لدور السلطان أبي عنان فقط، ولم يذكر أي دور لليهود رغم كثرة تواجدهم وفعاليتهم في زمن هذا السلطان.

أما الدكتور / صالح محمد فياض / فقد ركز في رسالته للدكتوراه وهي «دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري» على دور الدولة ومواقفها السياسية والحضارية، خاصة وأن الدولة أثير حولها خلاف من خلال وضعها هل هي دولة أم إمارة، وهل قامت بدور في مقاومة الاستعمار البرتغالي، ولم يذكر أي دور لليهود. خاصة وأن دولة بني وطاس كانت تستقبل المهاجرين المسلمين واليهود المطرودين من الأندلس، والذين استقروا في أغلب المدن بالمغرب الأقصى. وفي رسالته للماجستير «نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين» ركّز فيها على أساليب الحكم، ولم يذكر أي إشارة لدور اليهود داخل الدولة، رغم كثرتهم ومشاركتهم في بعض النواحي الإدارية والاقتصادية داخل المدن المغربية.

هذا بالإضافة إلى دراسات أخرى، رسمت صورة جزئية لاثروى ظماً الباحث الذي يهدف إلى القيام بدراسة متكاملة عن الدور الذي قاموا به في تلك الفترة، لذلك كان لابد من تناول هذا الدور في دراسة خاصة تلقى الضوء على أهميته وفاعليته.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على اتباع منهج البحث العلمي؛ كالتحليل والنقد للأصول، مع إبداء الرأي إذا أمكن، واستنباط النتائج والحقائق التي تمكن عن طريقها أن يصوغ الأفكار الجديدة صياغة علمية، راجياً التوفيق فيما قام به.

والبحث مقسم إلى مقدمة وتمهيد تاريخ وأربعة فصول وخاتمة، بالإضافة إلى بعض الملاحق والخرائط والمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها.

وقد ضم التمهيد دراسة موجزة للروافد التي على أساسها قدم اليهود للمغرب الأقصى، مروراً بالعصر الفينيقي والروماني ثم الفتح العربي حتى الهجرات من الأندلس.

وفي الفصل الأول أعطى الباحث فكرة موجزة عن نشأة وتطور الدولة المارينية والوطاسية، ثم تناول دور اليهود في النواحي السياسية وعلاقتهم بالدولة. حيث تميز هذا العصر بإعطاء دور كبير لليهود، مما جعل لهم دوراً في السياسة، حيث تولى أشخاص منهم عدة مناصب هامة في الدولة مثل الوزارة والسفارة. حيث تميز العصر الوطاسي بإرسال سفراء يهود للدول الأوروبية، عكس العصر المريني الذي لا يوجد فيه سفراء يهود. ثم تناول الباحث أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية التي أثارت حفيظة المسلمين ضدهم.

وفي الفصل الثاني تم التركيز على التواجد اليهودي في المغرب الأقصى وأماكن إقامتهم بالمدن الكبرى، والفرق بين الجيتو في أوروبا، والملاح في المغرب الأقصى، وركزت على الطوائف اليهودية ونظامهم الداخلي ووظيفة كل شخص داخل الطائفة، وبعض من العادات والتقاليد الاجتماعية الخاصة بهم، ونقدها وإرجاعها إلى أصولها القديمة، وتناول الفصل الثالث النشاط الاقتصادي

لليهود من زراعة وصناعة، مثل صناعة الحديد والنحاس وصناعة المنسوجات وصناعة الذهب والفضة، وذكر الحرف التي يتميز بها اليهود، ورصد وتحليل دور اليهود في كل منها، ثم الرد على التهم الموجهة للمسلمين بترك الحرف الحقيمة لليهود. ثم ذكر دور اليهود في التجارة الداخلية، ورصد الأسواق المنتشرة في مدن وقرى المغرب الأقصى والتي يكثر فيها اليهود. وكذلك دور اليهود في التجارة الخارجية، ثم رصد طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والمواني، وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى من خلال ذكر أنواع البيوع، مثل بيع النجش، وبيع الجزاف، والمرايحة، والمضاربة، والوكالة ودور اليهود في هذه الأنواع وغيرها، وأثرها في انهيار المغرب الأقصى.

وتناول في الفصل الرابع اليهود والحياة الثقافية، حيث قام الباحث في هذا الفصل بالحديث عن أهداف وطرق التربية والتعليم، وأثر ذلك في تنشئة الطفل اليهودي.

ثم أنواع التعليم ودراسة دورهم في العلوم النقلية؛ مثل التفسير والجدول الديني وما أثير حول موقف اليهود من الدين الإسلامي والرد عليهم. ثم الدراسات اللغوية، وكذلك الإبداع الأدبي والإبداع القبالي. ثم دور اليهود في العلوم العقلية، وإسهاماتهم في مجال الفلك والفلسفة والمنطق وعلم الموسيقى، ودور اليهود في علم الطب والصيدلة. وختم الباحث الرسالة بالنتائج التي توصل إليها، وبعدد من الملاحق والخرائط التي توضح أماكن إقامة اليهود وطرق التجارة التي استخدموها.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على العديد من المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة، إلى جانب المراجع والدوريات العربية والأجنبية.

فمن المصادر المخطوطة، مخطوطة لمؤلف مجهول واسمها «ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين». وقد استفاد الباحث من هذا المخطوط لإفادة عظيمة، نظراً لأن المؤلف أفرد له لتاريخ اليهود بالمغرب، وخاصة مدينة فاس. ومقاموا به من غش ومكائد ضد المسلمين. والمخطوط في جملته استعراض

تاريخي لتاريخ اليهود منذ بناء مدينة فاس، واستقرارهم بها في عهد إدريس بن إدريس. وقيامهم بالأعمال الاقتصادية بها واشتغالهم بالحرف والصناعات المختلفة، ثم تحولهم إلى فاس الجديدة في عهد المرينيين، حيث حاولوا السيطرة على التجارة إلى أن تغير الحال بهم في عهد السعديين. وانتهى هذا المخطوط بوفاة المولى اسماعيل في عام 1139 هـ/1726م.

والمخطوط الثاني لعبد الله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني المتوفى عام (781 هـ/ 1379م)، واسم المخطوط «المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن». والنسخة بالخط المغربي، وتأتي أهميتها من أن صاحبها كان معاصراً لدولة بني مرين، وكان أحد رجال الإدارة والبلاط. فاطلع على كثير من الحقائق والأحداث التي تتعلق بالدولة عن قرب، وخاصة النظم الإدارية والاقتصادية التي قام بها السلطان أبو الحسن المريني.

ومخطوط عبد الباسط خليل بن شاهين المتوفى عام (920 هـ/ 1514م)، المسمى «الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم». وترجع أهمية هذا المخطوط إلى أن كاتبه كان معاصراً وشاهد عيان.

ومن المصادر المطبوعة التي أفادت الباحث كتاب «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس». تأليف أبي حسن بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي المتوفى عام (720 هـ/ 1320م). فقد قام برصد للحرف والصناعات التي كانت منتشرة في فاس. ومنه استطعنا التعرف على اليهود وحرفهم. وكذلك كان له دور كبير في رصد المجاعات والأوبئة التي حلت بالمغرب. ورغم قرب المؤلف من الأحداث إلا أنه لم يستطع حسم تاريخ بناء مدينة فاس، خاصة «الملاح» الخاص بسكنى اليهود. ولنفس المؤلف كتاب «الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية». وقد اهتم المؤلف في هذا الكتاب بذكر الأحداث الجارية بالدولة وأهمل تواجد اليهود رغم كثرتهم.

ثم يأتي كتاب ابن خلدون (ت 808 هـ/ 1405م) «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

ورغم وجود هذا المؤرخ في الدولة المرينية، وتولية الوزارة، وقربه من الأحداث، وإلمامه بما جرى في الدولة من أدق التفاصيل. إلا أنه اقتصر في حديثه على الأمور السياسية، وأغفل التواجد اليهودي المنتشر في المغرب الأقصى.

وكذلك لسان الدين بن الخطيب (ت 1364/776هـ) وله عدة مؤلفات؛ منها «الإحاطة في أخبار غرناطة»، ثلاثة أجزاء. وكتاب «مثلى الطريقة في ذم الوثيقة». لكننا نقول إن كتابه «نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب» كان خير عون لنا في رصد الأحداث السياسية بالدولة، وما جرى بها من هيمنة الوزراء على السلطة، وأثر ذلك على المغرب الأقصى. وقدم لنا معلومات في غاية الأهمية.

وكذلك اسماعيل بن الأحمر (ت 807هـ/1404م) الذي أفرد ثلاثة كتب الأول «روضة النسرين في دولة بني مرين» والثاني «النفحة النسرينية واللمحة المرينية» والثالث «بيوتات فاس الكبرى». ففي هذه الكتب الثلاثة قام بسرد تاريخ السلاطين، وكذلك العائلات الكبرى في فاس ورصد لبعض المكائد التي قام بها اليهود ضد المسلمين. إذ أكثر في ذكر البعض منها ولم نجد لها ذكراً إلا عنده.

ومن بين الكتب الهامة التي رجع الباحث إليها كتاب «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» تأليف محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني والذي يعتبر من أهم المصادر التي أفادتنا. حيث شن المغيلي حملة شعواء على يهود المغرب، لهيمنتهم على التجارة مع بلاد السودان الغربي، وللأحداث معابد لهم في ديار الإسلام. وأثار الفقهاء حول قضية تواجدهم وعلاقتهم بالسلطة.

ثم تأتي كتب النوازل ومنها كتاب «المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب» للفقهاء أحمد بن يحيى الونشريسي. وترجع أهميته في دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والديني، لكثرة ما به من فتاوى، تتميز بصدق واضح في تصوير الحياة اليومية في المجتمع المغربي. فقد كان كتاب المعيار يتضمن معلومات في غاية الأهمية للباحث، من حيث رصد كل الأمور من عادات وتقاليد الحياة الأسرية، والاحتفالات والأعياد والزي

والأطعمة، وعن النظم الاقتصادية. فكان من أصدق المصادر التي شكّلت مرآة صادقة عكست هموم ومشاكل المجتمع المغربي، إلى جانب أن هذه النوازل أعطتنا مادة وفيرة عن اليهود وما جرى منهم من مشاكل، وعرضها على الفقهاء، ورصده لرد فعل أي من الأمور على هذه الطائفة.

ومن المصادر ذات الأهمية الاقتصادية كتاب «الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة» لأبي الحسن علي بن يوسف المتوفى في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري. وترجع أهمية هذا الكتاب، إلى رصده مدى تغلغل يهود المغرب الأقصى في دور السكة وتجارة الذهب، ومدى تأثيرهم على انهيار النقد لكثرة غشهم وخداعهم للمسلمين، من خلال تواجدهم بدور السكة في مختلف أنحاء هذه البلاد.

ومن كتب الرحالة نجد أهم رحلتين في نهاية العصور الوسطى وهما رحلة الحسن الوزان التي تسمى (وصف إفريقيا) ورحلة مارمول كربخال: (إفريقيا). حيث قام كل منهما برحلته داخل المغرب الأقصى. فكانت رحلة الحسن الوزان أصدق مرآة للمجتمع المغربي لكونه مسلماً. وحرصه على دقة المعلومات التي من خلالها رصد بعض أحوال اليهود بالمغرب الأقصى وأماكن إقامتهم وحرفهم.

أما مارمول كربخال، فكانت رحلته من أهم الرحلات أيضاً. فقد كانت رصداً للجماعات اليهودية ببلاد المغرب الأقصى، إلى جانب انتشار التجار النصراني في الجنوب المغربي، ورصداً لطرق التجارة التي امتدت من داخل البلاد إلى مركز النصراني بالمواني الساحلية التي تقع على المحيط الأطلسي. ولكن يعيبه أنه كان عيناً للبابا في المغرب فكان كتابه شبه وثيقة يقدمها له.

أما كتب الجغرافيا، فنذكر منها كتب الجغرافيين الذين تناولوا بلاد المغرب الأقصى مثل البكري «ت 487هـ/1094» في كتابه الهام «المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب». والذي كان أهم مرجع في رصد أماكن إنتاج المواد الخام التي قامت عليها الصناعات والحرف اليهودية، إلى جانب ذكره للمدن المغربية

بالتفصيل وأهمية كل مدينة. ورغم بعد الفترة الزمنية للكتابة عن الفترة موضوع البحث، إلا أنه أفادنا في معرفة أماكن استخراج المواد الخام، وطرق المواصلات بين المدن المغربية.

وآخر، مثل الإدريسي «ت 585 هـ/1162م» في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق». ذلك الكتاب الذي تناول مدن بلاد المغرب بأكملها، كما أنه رصد الطرق التجارية، وجاء على ذكر المسافات بين المدن، فكان خير معين للباحث. وكذلك الحميري وكتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار». فرغم كونه موسوعة في رصده لكافة أقطار العالم الإسلامي، إلا أنه خص المغرب الأقصى بحديث طويل عن مدنه وقراه وأفادنا بمادة علمية وفيرة عن النواحي الاقتصادية الخاصة ببلاد المغرب.

وكتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري (ت 1041 هـ/1631م). وقد حفل هذا الكتاب بمادة تاريخية أفادتنا في تناول الحياة الثقافية والسياسية.

ومن الكتب التي رجعنا إليها كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» لأحمد بن خالد السلاوي. وقد استخدم الباحث الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب. فالمعلومات التي وردت في هذين الجزأين مهمة نظراً لضياح كثير من أصولها.

كذلك اعتمد الباحث على بعض المراجع العربية منها كتاب الدكتور / محمد عيسى الحريري «تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني» الذي ركّز فيه على دور الدولة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدولة المرينية. فقد أمدنا بمادة وفيرة ساعدتنا في هذا البحث.

وكتاب الدكتور/ عز الدين أحمد موسى «النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري»، من الكتب الهامة التي رصدت مدى انتشار الطرق التجارية بطول وعرض المغرب الأقصى في عهد الموحدين وبداية دولة بني مرين، ومدى تواجد التجارة المغربية في البحر المتوسط. إلى جانب الإفادة

العظيمة من المادة التاريخية التي أمدنا بها عن وضع اليهود في عهد الموحدين. ومن الكتب التي أفادتنا إفادة عظيمة موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، للدكتور/ عبد الوهاب محمد المسيرى التي أمدتنا بمعرفة الأعياد والطقوس والعادات والتقاليد اليهودية من خلال مصادرها الأصلية، رغم محاولة اليهود طمس أصولها إلا أنه تتبع تسلسلها فكان خير معين للباحث. وكذلك الدكتور/ حسن ظاظا في كتابه «الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه»، حيث أفادنا في معرفة الخلافات المذهبية بين الطوائف اليهودية وأصولها. وأزاح الكثير من الغموض الذي كان يدعيه اليهود حول نشأة طوائفهم وأعيادهم وديانتهم.

أما ماوصل إلى أيدي الباحث من دراسات للمؤرخين المغاربة، فلم نجد فيها من تناول موضوع اليهود كموضوع مستقل. بل هي إشارات عابرة في دراسات تنصب أصلاً على دراسة الدول المتعاقبة في المغرب الأقصى، مثل الدكتور/ ابراهيم حركات وكتابته «المغرب عبر التاريخ» في جزئين، وذكر دولتي بني مرين وبني وطاس في الجزء الثاني. ذكر فيهما دور اليهود عابراً. وكذلك المؤرخ العظيم محمد المنوني الذي تناول تاريخ المغرب الأقصى من عدة نواح، فكان خير معين في دراستي السياسية والاقتصادية لدولة بني مرين. ولكن لم يفرد دراسة خاصة باليهود رغم تناوله لشتى النواحي بالمغرب الأقصى.

وكذلك كتابات الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله، والدكتور محمد حجي. فرغم اقتصرها على الدولة السعدية إلا أنها أعطتنا مادة تاريخية عن الحياة الثقافية والاقتصادية في الدولة الوطاسية.

ومن المستشرقين الذين تناولوا تاريخ المغرب الأقصى، رويجه لوترنو، في كتابه «فاس في عصر بني مرين». تناول الدولة من خلال عاصمتها التي أصبحت مركز الإشعاع السياسي والاقتصادي والثقافي في عصر هذه الدولة، وتناول يهود المغرب الأقصى عابراً، ورصد تطور مدينة فاس عاصمة الدولة، وما أثير حول بناء «حي الملاح» الخاص باليهود. وكذلك كتاب حاييم زعفراني

«ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب». فقد أمدُّ الباحث بمادة تاريخية حول خصوصية الاحتفالات الدينية اليهودية المغربية، ونشاطهم الاقتصادي، ودورهم السياسي والثقافي. ورغم طول مدة الدراسة في هذا الكتاب، إلا أنه كان ذا أهمية كبرى، لكن يعيب الكتاب إعطاء دور لليهود المغاربة أكبر من حجمهم. وهناك أيضاً عدد من الدوريات المغربية والمصرية التي كانت خير معين للباحث في إيجاد مادة علمية، ساعدت الباحث في التنقيب عن تاريخ اليهود بالمغرب الأقصى.

وختاماً فإنني لمدين في إخراج هذا العمل المتواضع إلى أستاذي الدكتور/ رجب محمد عبد الحليم / أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية في جامعة القاهرة. فهو صاحب الفضل في توجيهي وإرشادي في أعداد هذا البحث. فقد خصني بالتوجيه، وأمدني بخبرته دون كلل أو ملل، على الرغم من كثرة مشاغله. وبفضل توجيهاته خرج هذا البحث على هذا النحو، فله مني جزيل الشكر.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من مدَّ لي يد المساعدة في سبيل إخراج هذا البحث.

وبعد، فأرجو أن أكون قد وفقت في إنجازهِ على نحو مقبول، وذلك بعون من الله وتوفيقه، فهو نعم المولى ونعم النصير.

تمهيد تاريخي

اليهود في بلاد المغرب الأقصى قبل العصر المريني

كان يهود المغرب الأقصى من أهل الذمة، وأهل الذمة مصطلح يعني أهل الكتاب من اليهود النصارى والمجوس والصابئين والسامرة⁽¹⁾، والعجم⁽²⁾، وفي

(1) - أبو يوسف: كتاب الخراج، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة بدون تاريخ، ص 131، الشافعي: الأم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة بدون تاريخ ج4 ص 95، 96، 97، ابن سلام: كتاب الأموال، تحقيق وتعليق من خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر القاهرة 1981 ص 30، الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الإسلامية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1973 ص 14، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم، دار الكتب الإسلامية القاهرة 1983 ج1 ص 468، المجوس: هم الذين يزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة، انظر ابن منظور: لسان العرب دار المعارف، القاهرة بدون تاريخ، ج3 ص 4141، الصابئون: هم الذين يميلون عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء انظر. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1976، ج2 ص 5. السامرة: هم فرقة من فرق اليهود، وتخالف في أكثر الأحكام ومنهم السامري الذي صنع العجل وعبدوه. انظر. محمد أمين الشهير بابن عابدين: رد المختار على الدر المختار، القاهرة، بدون تاريخ، ج3 ص 291، ابن القيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، حققه طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 ج1 ص 25. ←

كتب اللغة: هم المواطنون من غير المسلمين الذين يقيمون في دار الإسلام من اليهود والنصارى، وغيرهم من الذين صاروا في ذمة المسلمين، واعطوا الأمان، ولهذا سمي المعاهد ذمياً⁽¹⁾. فالذمة في الفقه الإسلامي هي العهد الذي يعطى للقوم عند فتح المسلمين لبلادهم، فلا يسترقون ويؤمنون على حياتهم وحریتهم، ثم على أموالهم ليقروا بها في دار الإسلام⁽²⁾.

فوضع أهل الذمة داخل المجتمع الإسلامي يحدده قول الله تعالى: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»⁽³⁾.

ويرى بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أن الجزية كَفْعَلَةٌ من جَزَى فلاناً ما عليه إذا قضاه بجزية، والجزية مثل القعدة والجلسة. ومعنى الكلام حتى يعطوا الجزية التي يدفعونها للمسلمين عنهم⁽⁴⁾، وإعطاء الجزية بدلاً عن القتال⁽⁵⁾. وسميت جزية لأنهم يَجْزُونَ بها جزاء تأمينهم في دار الإسلام وحمايتهم والدفاع عنهم⁽⁶⁾. ويختص عقد الذمة بالإمام أو نائبه⁽⁷⁾.

ولا ينتقص عهدهم طالما أنهم يوفون بما اشترط عليهم من أداء جزية معينة،

← (2) - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده القاهرة 1959 ج 7 ص 67، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، ج 2 ص 20.

(1) - ابن منظور: نفس المصدر، ج 3 ص 1517.

(2) - الماوردي نفس المصدر، ص 143.

(3) - سورة التوبة: آية 29.

(4) - الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة طبعة أولى 1327 هـ، ج 10 ص 77.

(5) - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967، ج 8 ص 110.

(6) - الزمخشري: الكشاف، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، بيروت 1983 ج 2 ص 184.

(7) الماوردي: نفس المصدر، ص 145. ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، ج 2 ص 125.

وطالما أنهم لا يذكرون كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له، ولا يذكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب له ولا ازدراء، ولا يذكرون دين الإسلام بدم له ولا قدح فيه، ولا يصيبون مسلمة بزنا ولا بائم نكاح، ولا يفتنون مسلماً عن دينه، ولا يعرضون لماله ولدينه، ولا يعينون أهل الحرب على المسلمين⁽¹⁾.

ولما كان اليهود كما قلنا من أهل الذمة، فقد كانت لهم حقوق مارسوها في بلاد المغرب الأقصى، فقد كان لهم الحق في ترميم معابدهم وإعادة تشييدها، ولا يسمح لهم بإقامة معابد جديدة في أماكن فتحها المسلمون، سواء أكانت هذه الأماكن فتحت صلحاً أو عنوة «وإن كان في قرية يملكونها منفردين لم يمنعهم إحداث كنيسة ولا رفع بناء ولا يعرض لهم في خنازيرهم وخمرهم وأعيادهم وجماعاتهم وأخذ عليهم أن لا يسقوا مسلماً أتاها خمر ولا يبيعونه محرماً ولا يطعمونه إياه⁽²⁾».

وفي نظير حمايتهم والدفاع عنهم، فإنهم كانوا ملزمين في بلاد المغرب الأقصى بدفع مبلغ معين من المال يتفق عليه يسمى جزية، أي جزاء إعفائهم من الخدمة في جيش المسلمين. ولذلك فإنها لا تؤخذ إلا من الشباب القادر على القتال من غير المسلمين، وتسقط عن العميان والرهبان والصبيان والمجانين وكبار السن والفقراء والمعوزين. أما مقدارها فإنه يتراوح ما بين أربعة دنانير على الطبقة العليا، ودينارين على الوسطى، ودينار واحد على من هم دون ذلك. وبالدراهم: الطبقة العليا ثمانية وأربعون درهماً، وعلى الوسطى أربعة وعشرون درهماً، وعلى الدون اثنا عشر درهماً⁽³⁾ أو تحدد بحسب حالة الشخص المادية. وإن

(1) - الماوردي نفس المصدر، ص 145 .

(2) - الشافعي: نفس المصدر، ج 4 ص 126 . «فإن وقع - الصلح - على أن الأرض لهم جاز الأحداث بناء كنيسة (معبد). انظر. ابن عابدين: نفس المصدر، ج 3 ص 295 ، ابن القيم: نفس المصدر، ج 2 ص 138 - 140 .

(3) - يحيى بن آدم: الخراج، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1986 ، ص 66 ، قدامى بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، ←

تعذر دفع الحد الأدنى بحيث لا يكلف اليهودي فوق طاقته⁽¹⁾. كما أن اليهودي ملزم زمنياً بدفع الخراج عن الأرض التي يزرعها حسب نسبة معينة يتفق عليها⁽²⁾. والجزية والخراج لا تجب إلا مرة واحدة في السنة بعد انتهائها.

أما الشؤون الداخلية لليهود فقد تركت لهم بما يتلاءم مع خصوصية وضعهم، وترك لهم حرية الحكم فيما بينهم حسبما ورد في كتبهم. يدل على ذلك قوله تعالى «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين»⁽³⁾. وإن طلب أحد منهم المحاكمة أمام قضاة مسلمين أجز له ذلك⁽⁴⁾. أما أوقاف اليهود فكان مسموحاً لهم باستغلالها وفي وقف بعضها على كنائسهم وشؤونهم⁽⁵⁾. وكانوا يتعاملون مع المسلمين المغاربة بالبيع والشراء والطعام والهدايا «بشرط ما يجوز شرعاً وقبل المسلمين منهم هداياهم في عيد الفطيرة»⁽⁶⁾. ولذلك عاش اليهود داخل المجتمع المغربي كجزء منه ووصلوا إلى أعلى المناصب.

يتضح من ذلك أن اليهود كانوا يمثلون التواجد الدمي المستأمن الذي كان

← العراق وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد للنشر 1981 ، ص 255 ، الشيرازي: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الباز العريني، لجنة البيان والتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946 ، ص 107 ، ابن الأخوة: معالم القرية في أحام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1976 ص 99 ، عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي، الدار البيضاء القسم الأول 1957 ص 79 .

(1) - سيدة كاشف اسماعيل: مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 ، ص 64 .

(2) - يحيى بن آدم: نفس المصدر، ص 64 - 66 .

(3) - سورة المائدة آية 34 .

(4) - الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقيا والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 ، ج 10 ص 56 .

(5) - المصدر السابق، ج 7 ص 73 .

(6) - المصدر السابق، ج 11 ص 112 .

يدفع الجزية، ويعيش في حماية الدولة الإسلامية في المغرب الأقصى في ذلك الوقت.

وقد جاء التواجد اليهودي في المغرب عن طريق تدفق ثلاث هجرات متفرقة.

الهجرة اليهودية الأولى:

كانت من فلسطين حيث يدّعي اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ويتكلمون اللغة البربرية: أن أجدادهم تركوا فلسطين للمغرب قبل الأسر البابلي الذي حدث بعد أن قام ملك بابل نبوخذ نصر بمهاجمة أورشليم في عام 587 ق.م وأسر يهودها ورحلهم إلى بابل وهو ما يعرف بالأسر البابلي⁽¹⁾ نفسه ويسمون أنفسهم البلشثيم. والكلمة تحريف واضح لفلسطين⁽²⁾. ويؤكد على ذلك عدد من المؤرخين القدماء الذين تحدثوا عن الوجود اليهودي في المغرب منذ القدم، وأكدوا أن قدومهم أتى من الشام، ولذلك نجد مدينة باسم أيت داود⁽³⁾، يقول البعض: إن مؤسسها كان يهودياً من قبيلة يهودا عندما كان الدين اليهودي منتشراً في بعض نواحي أفريقيا⁽⁴⁾. ويؤكد على ذلك ابن

(1) - جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسن علوان العراق بغداد 1986 ص 508 ، 509 .

(2) - جمال حمدان: اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1967 ص 16 ، يسري عبد الرزاق الجوهري: شمال افريقيا دراسة في الجغرافية الاقليمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص 30 .

(3) - مارمول كربخال: افريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زبيير، أحمد توفيق، دار المعرفة، المغرب 1984 ج 2 ، ص 19 ، 20 ، ايت داؤد: مدينة قديمة شيدها الأفارقة فوق جبل عال، وفي هذه المدينة الكثير من الصناعات الذين يمارسون الحدادة وصنع الأحذية والصياغة والصباغة، وحياة أهالي المدينة قاسية جداً فهم يتغذون بخبز مصنوع من الشعير وزيت الهرجان ولحم الماعز، والقمح غير معروف لديهم. انظر. الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة راجعه علي عبد الواحد وافي، الناشر الرياض، بدون تاريخ، ص 117 ، 118 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 20 .

خلدون عندما يقول: «إن الدين اليهودي أخذه البربر عن بني إسرائيل، وانتشر بين عدد من القبائل مثل قبيلة نفوسة من بربر أفريقية، وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياته وبنوفازان من بربر المغرب الأقصى»⁽¹⁾. وكانوا يقطنون منطقة زهرون قرب مدينة فاس⁽²⁾. كذلك كانت هناك جالية يهودية كبيرة في مدينة فاس منذ القرون الأولى لانشائها⁽³⁾. وهؤلاء اليهود قدموا إلى بلاد المغرب من فلسطين كما روى بعض المؤرخين في أفواج متتالية⁽⁴⁾، بسبب الثورات أو السبي البابلي أو التجارة.

الهجرة اليهودية الثانية:

جاءت مع الفينيقيين⁽⁵⁾، الذين وصلوا إلى إسبانيا، والمغرب التي كانت في ذلك الوقت تسمى بلاد ترشيش⁽⁶⁾ حيث وجد اليهود في بلاد المغرب الفينيقية المأوى والقبول والاستيطان، لما بين الفريقين من صلات الجنس واللغة والتقاليد والعادات⁽⁷⁾ وهذا ما سمح لليهود بالتوغل داخل بلاد البربر، بين كثير من قبائل

(1) - ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ في تاريخ البربر ومن عاصريهم من ذوي السلطان الأكبر، الكتاب المدرسي ودار الكتاب اللبناني، بيروت 1985 ، م 6 ج 11 ص 214 .

(2) - نوال علي عبد العزيز: العلاقات الخارجية لدولة بني وطاس، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية 1991 ، ص 238 .

(3) - ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم، مراجعة لطفي عبد البديع، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ، ص 44 .

(4) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعودية، مجلة البحث العلمي السنة 24 المغرب 1975 ، ص 88 .

(5) - جمال حمدان: نفس المرجع، ص 66 . انظر، رولاند أوليفر: موجز تاريخ افريقيا، ترجمة دولة صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965 ، ص 60 .

(6) - ج كونتو: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة بدون تاريخ، ص 96 .

(7) - يوسف فهمي الجزائري: الجزائر أرض البطولة، الوكالة العربية للدعاية والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص 125 .

الأطلس، وقبائل جنوب المغرب الأقصى⁽¹⁾.

وتمرس اليهود على أعمال التجارة نتيجة لاحتكاكهم بالفينيقين، إلى جانب أنهم أصحاب عقيدة لاوطن. مما جعل اليهود يحترفون التجارة بشكل أساسي، معتمدين على مجموع الجماعات اليهودية التي انتشرت في مختلف أنحاء العالم القديم، بسبب التشرّد الأول على يد نبوخذ نصر، ثم التشرّد الثاني وتدمير أورشليم على يد هدریان عام 135م⁽²⁾.

وهذه الجماعات كونت صلات وروابط وثيقة بينها واستقرت على حواف الطرق التجارية العالمية⁽³⁾. ولقد وجدت البعثة الأثرية عام 1935م بقيادة العالم الأثري (ألم طرادبل) معبداً يسمى زحل، تذكرنا ضخامة صحنه وردّهاته بالطراز الكلاسيكي للمعابد الفينيقية، وعلى محرابه نقوش من العصر القرطاجي⁽⁴⁾، وكذلك عثر على شمعدان برونزي ذي سبعة عروش وبقايا شاهد قبر سيدة تحمل مجتملاً عبرية⁽⁵⁾. واستغل اليهود التواجد الفينيقي فوطدوا تواجدهم في بلاد المغرب، حيث اتضح تأثيرهم الديني في تهويد بعض قبائل البربر البتر⁽⁶⁾.

(1) - موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر. الجزائر 1979، ص 83.

(2) - محمود العابدي: قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1972، ص 26.

(3) - موريس لومبار: نفس المرجع، ص 305.

(4) - المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية فاس من 8 - 18 نوفمبر 1959: جامعة الدول العربية الادارة الثقافية، القاهرة 1961، ص 187.

(5) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 237.

(6) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 6 ج 11 ص 186، فيليب فارخ ويوسف كرباج: المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي، سيناء للنشر القاهرة 1994، ص 57 (البتر: هم بنو مدغيس البتر فيجمعهم أربعة بطون، ولمزيد من المعرفة انظر. ابن خلدون: نفس المصدر، مجلد 6 ج 11 ص 178).

الهجرة اليهودية الثالثة:

حدثت أثناء العصر الروماني في القرن الأول الميلادي، وكان عمادها المهاجرين الذين فروا من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم وانتشروا في المغرب، وإن كان هذا الانتشار محدوداً بين السكان المحليين وهم البربر⁽¹⁾. وازداد التواجد اليهودي بالمغرب عندما فر يهود المدن الخمس⁽²⁾، وقرر هؤلاء الثورة على الرومان تضامناً مع زملائهم يهود فلسطين. وكذلك عندما قام الامبراطور جابوس (37 إلى 41م) بتخريب أورشليم⁽³⁾. ففر اليهود إلى جوف الصحراء الليبية⁽⁴⁾، ومنها انتشروا في بلاد المغرب.

ولم تمر سنوات كثيرة إلا وقامت ثورة أخرى لليهود في 70م في عهد الامبراطور فسباريان. كان من نتيجتها أن سقطت أورشليم في يد الرومان ودمر الهيكل عن آخره⁽⁵⁾. وقرر هؤلاء اليهود الموجودون في مدينة سيرين الثورة على الرومان أسوة بإخوانهم في فلسطين، وقتل كثيراً منهم وفقدوا امتيازاتهم، وقاد الباقي منهم «بوناثان» النساج إلى جوف الصحراء الليبية⁽⁶⁾ هرباً من الاضطهاد.

(1) - رضوان البارودي: أضواء على المسيحية والمسيحيون في المغرب في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي 1990 ، ص 3 .

(2) - المدن الخمس هي 1 - مدينة سرين (قريشي) على حافة الجبل الأخضر بليبيا. 2 - برقة قيل انها اشتقت من الكلمة العبرية بركة وتعني مكان تجمع الماء. 3 - مدينة برنيس (بنغازي). 4 - مدينة توشير (طوكرة) تقع على خليج سرت. 5 - مدينة أبولونيا (مرسى سوسة). 6 - مدينة بتوليماس (طليمته). انظر. ميخائيل مكس اسكندر: تاريخ كنيسة بتابولس المدن الخمس الغربية. دار الثقافة، القاهرة 1987 ص - 41 - 61 .

(3) - أورسيوس: تاريخ العالم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982 ، ص 424 .

(4) - ميخائيل مكس اسكندر: مرجع سابق، ص 87 ، يحدد الحسن الوزان الصحراء الليبية من النيل إلى المحيط الأطلسي غرباً. انظر الحسن الوزان نفس المصدر من ص 517 - 525 .

(5) - مصطفى كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطلمة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968 ، ص 170 .

(6) - ميخائيل مكس اسكندر: نفس المرجع، ص 87 .

وهذا ما يعرف بثورة اليهود الأولى التي راح ضحيتها ألفان⁽¹⁾. ولم يمر وقت كبير، ففي عهد الامبراطور تراجان (98 - 117م) كان لليهود ثورة عظيمة أخرى، إذ أشعلوا نار الحرب بأرض الشام وفي بلاد كثيرة⁽²⁾. في برقة كانت بدايتها على شكل فتنة بين ساكني المدينة من اليهود والإغريق وسرعان ما تحولت إلى حرب حقيقة ضد الحكومة الرومانية⁽³⁾. وراح ضحيتها مائتان وعشرون ألف نسمة⁽⁴⁾. واختار اليهود لأنفسهم ملكاً يدعى (أندرياس) أو لوكاس⁽⁵⁾. وقد أرسل الامبراطور تراجان قوات عسكرية وأخرى بحرية بقيادة قائده ماركوس توربو أشهر قواده⁽⁶⁾. واستطاع التغلب على اليهود والتنكيل بهم بعد أن حولوا برقه إلى خراب شامل عام 115م. واستمرت الثورة إلى عام 117م، وقتل من اليهود ألوف كثيرة⁽⁷⁾. ولأذ بعض اليهود إلى مدن الشمال الإفريقي، وآخرين التجأوا إلى جنوب الصحراء الليبية، واختلطوا بالقبائل البربرية المناهضة للرومان وأسهموا في تنظيمها وتدريبها⁽⁸⁾ مثل زناته، الذين نجحوا في اكتساب بعض المهارات السياسية بسبب تسرب شيء من التقاليد اليهودية إليهم⁽⁹⁾. وآخرون وصلوا إلى حوض نهر النيجر الأوسط والسنغال في غرب إفريقيا. وتعتبر قبائل الفولاني الرعوية أكثر القبائل التي تأثرت باليهود⁽¹⁰⁾.

وبعد قضاء ماركوس على ثورات اليهود نصب حاكماً على موريتانيا في

-
- (1) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، هامش ص 177 .
 - (2) - أورسيوس: نفس المصدر، ص 437 .
 - (3) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، هامش ص 177 .
 - (4) - الطيب محمد حمادي: اليهود ودعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة، منشورات جامعة قار يونس بنغازي 1994 ، ص 110 .
 - (5) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، ص 177 .
 - (6) - الطيب محمد حمادي: نفس المرجع، ص 110 - 111 .
 - (7) - أورسيوس: نفس المصدر، ص 437 .
 - (8) - ميخائيل مكس إسكندر: نفس المرجع، ص 88 - 91 .
 - (9) - رولاند أوليفر: نفس المرجع، ص 65 .
 - (10) - الطيب محمد حمادي: نفس المرجع، ص 122 .

أوائل عصر هدریان (117 - 138م⁽¹⁾). ويبدو أن مالقيه يهود المغرب على أيدي السلطات الرومانية، قد دفعهم إلى الميل والعزلة والتقارب فيما بينهم⁽²⁾، وإلى أن ينصاعوا ويبدؤوا في الحفاظ على دينهم دون الحاجة إلى الهيكل⁽³⁾.

واستوطن الرومان المستعمرون لأفريقيا المدن الساحلية، وأصبحوا تجاراً ومرايين، وكونوا طبقة علوية⁽⁴⁾، واستثمروا أموالهم في شراء العقارات وزراعة الأراضي مستغلين بربر البرانس في زراعتها خاصة القمح لتزويد روما به.

ومما لاشك فيه أن تلك الجموع الزاخرة من الفلاحين من بربر البرانس لم تحظ من الثقافة الرومانية إلا بقدر ضئيل جداً، واستمرت تعبد الهتها الوطنية، وتعيش في أكواخها، وتكلم لهجتها المحلية⁽⁵⁾، واختلطوا بالمسيحيين، ومنهم من اعتنق مذهب الدوناتية⁽⁶⁾ وهرب إلى الجنوب.

أما اليهود فاختلفوا أكثر بالبربر البتر الذين لجؤوا إلى الداخل. وهذا ماجعل الأمر سهلاً في التفريق بين اليهود القدامى - الوافدين منذ القدم - ساكني المدن الصغرى في وسط وجنوب المغرب والواحات والقرى الجبلية⁽⁷⁾، وبين اليهود الجدد القادمين من أوروبا والذين استوطنوا المدن الساحلية مثل سبتة⁽⁸⁾ والمدن الكبرى.

وكان لقرار الامبراطور قسطنطين (324 - 337م). بمنح اليهود حقوق

(1) - مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، ص 185 .

(2) - المرجع السابق، ص 173 ، وهذا ما يطلق عليه الجيتو.

(3) - م. ب تشارلز وورث: الامبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، راجعة، محمد صقر خفاجة، دار الفكر العربي القاهرة 1961 ، ص 174 .

(4) - م. روستوفتريف: تاريخ الامبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة بدون تاريخ، ج 1 ، ص 385 .

(5) - المرجع السابق، ص 401 .

(6) - الدوناتية: هي خلاف شخصي (اقليمي بين طوائف الرهبان، وليست هرطقة وخروج على الدين المسيحي، انظر حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، دار الآداب 1948 ، هامش ص 290 .

(7) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 46 .

(8) - سبتة: هي مدينة قديمة وفيها آثار ترجع إلى العصر الروماني، وجامعها كان ←

المواطنة من الدرجة الثانية⁽¹⁾، أثر في هجرة عدد غير قليل منهم إلى الشمال الأفريقي، حيث استوطنوا المدن الكبرى لاحترافهم للتجارة. وانحدر بعضهم لجنوب المغرب، فاستوطنوا بعض المدن التي كانت لها أكبر الأثر على حركة التجارة في شمال بلاد المغرب الأقصى مثل مدينة فاس. أو في جنوبه مثل سجلماسة⁽²⁾. وهذه المدن ذات مواقع استراتيجية بسبب وقوعها على رؤوس الطرق التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي التي تصدر الذهب وغيره من السلع إلى المغرب الأقصى.

ويرى البعض أن هجرات أخرى وصلت إلى بلاد المغرب من خيبر في سنة 7 هـ / 628م، وأن أهلها اتخذوا من الجبال مقراً لحياتهم بعيداً عن الناس⁽³⁾. ولكن يبدو أن أصحاب هذا الرأي قد جانبهم الصواب، لأن المعروف أن يهود خيبر هاجروا إلى وادي أذرعات على حدود الشام⁽⁴⁾.

← كنيسة، وتقع على بحر الزقاق، وفيها تجار أغنياء كانوا يتاجرون مع الهند وبلاد أخرى. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب مكتبة المثنى بغداد، ص 103 ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الكتاب العربي بيروت، بدون تاريخ، ج3 ص 182 ، ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل المغربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982 ، ص 139 ، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس. بيروت 1984 .

(1) - عادل سعيد بشتاوي: الأندلسيون المواركة، القاهرة 1983 ، ص 220 .
(2) - سجلماسة: هي مدينة بنيت عام 140هـ / 759م وأرضها خصبة حولها قرى كثيرة وبها بساتين كثيرة وبها جميع أنواع الفواكه. وسجلماسة تقع على أول الصحراء الكبرى ومنها يدخل التجار إلى بلاد السودان الغربي، وبها يهود يحترفون مهنة الكنافين والبنائين. وهذه المدينة من أغنى المدن لاحترافها التجارة مع بلاد السودان الغربي. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص 148 ، 149 ، ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج3 ص 192 ، الحميري: نفس المصدر، ص 306 ، اليعقوبي: كتاب البلدان، طبع ليدن 1893 ص 359 .

(3) - عبد الهادي التازي: النصوص الظاهرة في إجلال اليهود الفاجرة، مخطوط لأحمد بن الرجال، مجلة البحث العلمي، عدد 32 السنة 17 المغرب 1980 ، ص 15 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 46 .

(4) - يؤكد ذلك إن الذين هاجروا من يهود المدينة كانت رحلتهم شمالاً، وعاش بعضهم في وادي القرى مثل يهود بني قينقاع، والباقي رحلوا عن المدينة في ←

هذه هي الهجرات التي وصلت إلى المغرب خلال العصر القديم. ولكن ماهي الهجرات اليهودية إلى المغرب في العصر الوسيط؟

نجد لذلك رافدين بدأ أولهما من العصور الإسلامية المبكرة وبدأ ثانيهما مع نهاية هذا العصر وبداية العصر الحديث. أما الرافد الأول أو الهجرة الأولى، فقد بدأت مع ظهور الإسلام، واستمرت إلى شمال إفريقيا رغم سقوط فينيقيا، وانقسام العالم القديم إلى قسمين إسلامي ومسيحي. وكان للاضطهاد الكاثوليكي لليهود في العالم الغربي - خصوصاً عندما عومل اليهود كمواطنين من الدرجة الثانية إلى جانب ما قام به ملك القوط، فلافيوس سيزاوبوت Flavius Sisebut ، ومن جاء بعده في القرن السابع؛ من عام 612 حتى عام 660م ضد اليهود بإسبانيا إذ أخذهم قتلاً وتشريداً، وحملهم

← شوال عام 2هـ/ 623م إلى وادي القرى ثم ساروا إلى أذرعات، على حدود الشام، وفي عام 4هـ/ 625م تأمر اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاولة القاء الصخرة عليه، ولما اكتشفت مؤامرتهم حاربهم الرسول حتى صالحوه على أن يحقن دماهم وله الأموال ويسيرهم إلى أذرعات بالشام، وفي عام 5هـ/ 626م قتل بني قريظة لتواطئهم مع قريش في غزوة الخندق، وبذلك كانت رحلة يهود المدينة إلى وادي أذرعات وعاش بعضهم في خير، وفي عام 7هـ/ 628م حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر حتى إذا أيقنوا بالتهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن دماؤهم ففعل، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال. فكيف وهم أصلاً أقرب إلى وادي أذرعات على حدود الشام الذي فيه أبناء قبيلتهم وأقرب لهم من النزول إلى الجنوب، ثم عبور باب المندب والرحيل إلى مسافة طويلة لا مأمّن لها ليستقروا في جنوب المغرب، ولهذا نرى إن ذلك رأي شخصي للدكتور عبد الهادي التازي وتبعته الدكتور نوال علي عبد العزيز. حيث بقي أبناء القبيلة للتجارة مع الشمال حتى طرد عمر بن الخطاب من بقي منهم في خير إلى الشام وليس إلى المغرب. انظر ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة ومطبعة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، طبعة ثانية القاهرة 1955، ج3 ص240، الطبري تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر 1977، ج2 ص552، 553، ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج2 ص410، ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ، ج3 ص198، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ص260 - 354، عبد الهادي التازي: النصوص الظاهرة، ص15، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع ص46.

على الهجرة إلى البلاد المغربية⁽¹⁾ - مما كان له أكبر الأثر في حمل اليهود على الهجرة إلى بلاد يجدون فيه المعاملة الحسنة. فكان العالم الإسلامي على النقيض مع العالم المسيحي في هذا الصدد. وتقاطرت أفواج أخرى من يهود الأندلس بعد فتحها⁽²⁾. ولم تكن هذه الوفود المتعاقبة من الهجرات اليهودية إلى البلاد المغربية من أصل واحد، وإنما من سلالات مختلفة⁽³⁾.

ويرى بعض الباحثين أن هذا هو السبب في أن الصليبيين الفرنسيين قبل أن يتوجهوا إلى المشرق، صبّوا جام غضبهم على يهود فرنسا في الرون واللورين وبروفانس، لأنهم يرون أنه يجب قبل محاربة أعداء الرب في الشرق، التخلص من أعدائه اليهود الموجودين بينهم وفي متناول أيديهم، ولا بد من استئصال شأفة اليهود المبغوضين⁽⁴⁾. ولذلك بدأت تظهر الأقليات وتظهر عزلة اليهود عن المسيحيين في المجتمع الأوروبي عكس ما في المجتمع الإسلامي حيث مارس اليهود نشاطهم بحرية كاملة دون أي عقبات تواجههم، إلى جانب وجود الروابط التجارية والعقائدية التي تربط يهود العالم بعضهم ببعض. مما أعطاهم فرصة الانتقال بين الشرق والغرب، فهاجر بعضهم إلى بلاد المغرب، حيث تمتعوا بحياة أساسها العدل والرحمة والتسامح⁽⁵⁾. إلا إذا خانوا فقد كانوا يعاملون بقسوة. والمثال على ذلك هو ما حدث في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس، فقد هاجر منها عدد من اليهود إلى المغرب وباقي المدن، هرباً من بطش السلطة الإسلامية بينهم، نتيجة لقيامهم بأعمال خيانية وتخريب، مثلما حدث في غرناطة عام 459هـ/ 1066م. إذ قام عامة الناس عليهم وقتلوا ابن نغزالي اليهودي، وقتلوا منهم أكثر من ثلاثة آلاف وأخذوا أموالهم⁽⁶⁾.

(1) - محمد الحبيب بن خوجة: يهود المغرب الأقصى، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1973 ، ص 33 ، ابراهيم طرخان: دولة القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية 1958 ، ص 166 .

(2) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعودية، ص 88 .

(3) - يوسف فهمي أحمد الجزائري: نفس المرجع، ص 124 .

(4) - قاسم عبده قاسم: ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، دار المعارف القاهرة 1982 ، ص 144 - 146 .

(5) - محمد الحبيب بن خوجه: بن خوجة: نفس المرجع، ص 12 . ←

ونظراً لهذه الهجرات المتكررة التي لم تتوقف عبر التاريخ، كان التواجد اليهودي في بلاد المغرب محسوساً في الشمال والجنوب، في المدن والقرى والجبال. ولذلك نجد إدريس الأول يفتتح سنة ثلاث وسبعين ومائة بغزو من بقي من البربر على دين اليهودية والنصرانية والمجوسية، وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعقل والجبال والحصون المنيعة. فلم يزل إدريس يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا في الإسلام طوعاً أو كرهاً، وفتح بلادهم ومعقلهم وأباد من أبى الإسلام منهم بالقتل والسبي، ودمّر بلادهم وهدم معقلهم، منها حصون قندلاوة وحصون مديونة وبهلوله وقلاع غيائه وبلاد فازاز ثم رجع إلى مدينة وُليلي⁽¹⁾، ولكن هذا الرأي لا يعني أنه تم القضاء عليهم في عهد إدريس الأول. إذ أننا نجد عند بناء مدينة فاس عام 193هـ/808م⁽²⁾، في عهد إدريس بن إدريس، قبائل متهودة في منطقة زهرون قرب فاس. كما سمح لهم إدريس الثاني بالسكن داخل أسوار فاس القديمة⁽³⁾، وذلك نظير دفع ضريبة الرأس المقررة سنوياً بمبلغ ثلاثين ألف دينار. وتعطي ضخامة هذا المبلغ فكرة عن عدد اليهود الكبير نسبياً⁽⁴⁾. وقد وافق إدريس الثاني لهؤلاء اليهود على بناء حي لهم في مدينة فاس القديمة أثناء تأسيسها، فبنوا الدور والحوانيت والرباع⁽⁵⁾. المهم أنه كان يقيم بفاس يهود مقابل دفع ضريبة سنوية مقدارها ثلاثون

← (6) - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ج. س كولان، ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، دار الثقافة بيروت 1983، ج3 ص 275.

(1) - ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاص في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1972، ص7، 8.

(2) - ابن عزاري المراكشي: نفس المصدر، ج1 ص11، ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج4 ص230، الحميري: نفس المصدر، ص434، وقيل إنها بنيت عام 192هـ/808م. انظر ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب، ص9.

(3) - نوال علي عبد العزيز: مرجع سابق، ص238.

(4) - ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب، ص45.

(5) - مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمين في البلدين، مخطوط مصور بالميكروفيلم، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1637/ تاريخ ورقة رقم 1).

ألف دينار⁽¹⁾. وهذا عكس ما أثبتته ابن أبي زرع الذي خوّل ذلك إلى إدريس الأول، الذي جاهد اليهود عام 173هـ/692م وقضى عليهم كما يقول، ورجع إلى مدينة ويلي عاصمة الاقليم. وهذا يثبت أن إدريس الأول لم يقض عليهم، بل احتواهم ابنه في مدينة فاس، وبنى لهم حيّاً خاصاً بهم إلى أن مات مسموماً عام 213هـ/828م⁽²⁾. كما نجد مدناً أخرى ذكر بها يهود مثل مدينة نكور⁽³⁾، حيث وجد في جنوب هذه المدينة باب اليهود⁽⁴⁾.

كل هذه الأدلة هي عكس ماتوصل إليه ابن أبي زرع في القضاء على اليهود. ونجد أيضاً في العصر المرابطي دلالات على التواجد اليهودي، عندما أمر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين عام 500هـ/1106م، بعدم دخول اليهود مدينة مراكش لكونها العاصمة. ففيها يتم وضع الخطط العسكرية للقيام بحركة الجهاد ضد دولة إسبانيا النصرانية. فمنعوا من دخول مراكش خوفاً من التجسس لصالح هؤلاء الأعداء، ولم يسمح لهم بدخولها إلا نهاراً لقضاء حاجاتهم ثم ينصرفون عنها عشية. فإذا عثر على أحدهم أبيع دمه وماله. ولذلك كان اليهود يرفضون المبيت في مراكش⁽⁵⁾ خوفاً على أموالهم وأنفسهم⁽⁶⁾.

-
- (1) - مجهول: ذكر قصة المهاجرين المسمين بالبلديين، مخطوط ورقة رقم 1 .
 - (2) - ابن عذارى المراكشي: نفس المصدر، ج1 ص211 .
 - (3) - نكور: مدينة بالمغرب قرب مدينة مليلة وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال ومسورة، وبها حمامات كثيرة وأسواقها عامرة وبها كثير من البساتين. انظر البكري المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص90 - 94 ، الحميري: نفس المصدر، ص576 ، 577 .
 - (4) - البكري المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص90 .
 - (5) - مراكش: من أعظم مدن المغرب الأقصى أخططها أبي بكر بن عمر اللمتوني عام 462هـ/169 ، ومراكش تعني بالبربرية اسرع المشي، وبنى علي بن يوسف بن تاشفين أسوار هذه المدينة وكانت أذقتها واسعة وأسواقها حافلة وبنيت بها الفنادق والحمامات وفيها قيسارية عظيمة البنيان، وهي أكثر بلاد المغرب بساتين واعنابا وفواكه. انظر ابن عذارى المراكشي: نفس المصدر، ج4 ص19 .
 - (6) - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1994 ، ج1 ص235 .

رغم هذا الاعتراف بالتواجد اليهودي بالمغرب، إلا أننا نجد مؤرخاً معاصراً للدولة الموحدية يؤكد على عدم التواجد اليهودي: «لم ينعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ قيام أمر المصامدة، ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة. وإنما اليهود عندنا يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون أولادهم القرآن، جارين على ملتنا وسنتنا والله أعلم بما تكن صدورهم وتحويه بيوتهم»⁽¹⁾. ولكنه يراجع نفسه ويعلق هذا الأمر على المشيئة خوفاً من خطئه وعدم إيمانه بإسلامهم. ولذلك كان الموحدون «يطردون اليهود الأندلسيين والمغاربة المشكوك في عقائدهم وأفكارهم إلى مدينة أليسانة»⁽²⁾. ومن هنا نجد مؤرخاً آخر يقول: «ساد المغرب اضطرابات بدأت عام 448هـ/1056م ولم تتوقف لمدة قرنين من الزمان وعاش كثير من اليهود في شبه عزلة»⁽³⁾ ولذلك هرب بعضهم إلى الجنوب وسكنوا البوادي.

ومع ظهور بوادر التسامح الذي بدأ بعهد المأمون الموحي (626 - 630هـ/1229 - 1232م)، وتخليه عن أفكار محمد بن تومرت وفكرة المهدي المنتظر، وأصدار كتابه إلى البلدان بمحو اسم المهدي من السكة والخطبة⁽⁴⁾ تشكلت ذلك بداية عصر لليهود في المغرب، وزاد مع استيلاء المرينيين على السلطة، خاصة وأنها ليست صاحبة أيديولوجية بل دولة ذات مسؤولية سياسية. ولذلك لاقى اليهود في عصرها قدراً كبيراً من الحرية والتسامح.

(1) - عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963، ص 383.

(2) - أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة 1983، ص 6.

اليسانة: مدينة بالأندلس وهي مدينة اليهود ولها ربض يسكنها المسلمون وبعض اليهود وليس على الربض سور، والمدينة محصنة بخندق عميق حولها وملية بالمياه وأهلها أغنياء ومن اليسانة إلى قرطبة أربعون ميلاً. انظر الادريسي: نفس المصدر، ج 2، ص 571، 572.

(3) - Grauzel solomon. A history of the Gaws - Amarica 1948. P. 724.

(4) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 6 ج 12، ص 530.

الفصل الأول

«الدولة المرينية والوطاسية وأثر اليهود في الحياة السياسية»

- 1 - نشأة وتطور الدولة المرينية والدولة الوطاسية.
- 2 - علاقة الدولة والعامّة باليهود.
- 3 - السياسيون من اليهود.
 - أ - الحاجب.
 - ب - الوزراء.
- 4 - الإداريون من اليهود.
- 5 - السفراء من اليهود.
- 6 - أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية.

(1) - نشأة وتطور الدولة المرينية والوطاسية:

تنسب دولة بني مرين إلى فخذ قوي من قبيلة زناته التي تسكن الصحراء، ويتنقلون ما بين ملوية وسجلماسة⁽¹⁾، أي من القبائل الرحالة. وكان زعماءهم يعرفون بالأحداث التي تجري من حولهم. وكانت لهم اتصالات قوية حيناً وضعيفة حيناً أخرى بالدول التي تحكم المغرب، وليس أدل على ذلك من مشاركتهم الفعلية في موقعة الأرك عام (561هـ/ 1195م) بقيادة الأمير محيو بن أبي بكر المريني. وقد استنفرهم إليها الخليفة يعقوب المنصور الموحدي، لما يعلم من شدتهم وقوة بأسهم وكثرة عددهم⁽²⁾. وكان الانتصار حليف الموحدين، مما زاد من أهمية المرينيين داخل الدولة الموحدية. ورغم ذلك لم يفكر المرينيون في التوغل داخل بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها إلا في سنة (610هـ/ 1213م)، إثر الهزيمة الكبرى التي لحقت بالموحدين في بلاد الأندلس في معركة العقاب في ذلك العام. وقد تولى الأمير عبد الحق بن محيو المريني بنفسه عملية الاشراف على تقدم المرينيين من وادي ملوية بالمغرب الأوسط وإدخالهم إلى بلاد المغرب الأقصى⁽³⁾.

وبدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين، استمر ثمانية وخمسين عاماً⁽⁴⁾، وانتهى هذا الصراع على يد السلطان أبي يوسف

(1) - السلاوي: الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954 ، ج 3 ص 3 ، ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 343 .

(2) - السلاوي: الاستقصاء، ج 3 ص 4 .

(3) - محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم الكويت 1985 ، ص 8 .

(4) - المرجع السابق ص 8 .

يعقوب بن عبد الحق، عندما انتصر في موقعة وادي غفو، وقضى على آخر معقل للموحدين، ودخل مراكش العاصمة عام 668هـ/1269م⁽¹⁾. ومن هذا التاريخ يتبدى عصر بني مرين. ولما توطدت أركان الدولة رأى السلطان أبو يوسف يعقوب المريني أن يختط مدينة تسكنها حاشيته وأهل خدمته وأولياؤه، وهي فاس الجديدة وذلك في عام 674هـ/1275م⁽²⁾. وكان لليهود وضع داخل هذه الدولة من خلال خليفة بن حيون بن رقاصة المشرف على القصر السلطاني، وإمداده بكل ماتحتاجه عائلة السلطان⁽³⁾.

وبدأت الدولة في الاتساع على يد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب الذي تولى الحكم في عام 685هـ/1286م، حيث أحرز عدة انتصارات في الأندلس ضد الممالك المسيحية، وكذلك بالمغرب الأدنى والأوسط.

وازداد تسلط اليهود في عهد هذا السلطان كما سيتضح حين الحديث عن وضع اليهود السياسي في الدولة. وفي عهد السلطان أبي سعيد عثمان (710 - 732هـ / 1310 - 1331م)، وصلت الدولة إلى ذروة ازدهارها السياسي والاقتصادي والثقافي، ووصل التسامح مع اليهود ذروة أن هذا السلطان أمر العامة بالكف عن اليهود⁽⁴⁾، كما أمر ببناء حي خاص باليهود يوم الأحد التاسع عشر من شعبان عام 726هـ/1325م في مدينة فاس الجديدة⁽⁵⁾.

وبعد وفاة السلطان أبي عنان الذي يعد آخر السلاطين الأقوياء في الدولة انتقلت السلطة الفعلية من يد السلاطين إلى يد الوزراء، وكان ذلك يشكل خلافاً في الجهاز الحاكم للدولة، لدرجة أنهم لم يستطيعوا الدفاع عن أرض

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر م 7 ج 13 ص 375 .

(2) ابن أبي زرع الأنيس المطرب، ص 404 ، الذخيرة السنية، ص 161 ، ابن خلدون نفس المصدر، م 7 ج 14 ص 401/، ابن الأحمر: روضة النسرين، ص 29 .

(3) - صالح محمد: دولة بني وطاس، ص 62 .

(4) - الفردبيل: الفرق الإسلامية، ص 327 .

(5) - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 414 .

الدولة أمام أطماع البرتغاليين. فقام المغاربة بثورة ضد السلطان أبي سعيد عثمان الثاني عام (801 - 831هـ / 1398 - 1427م)، لعدم قيامه بالدفاع عن سبته، التي استولى عليها البرتغاليون عام (818 هـ/ 1415م)⁽¹⁾. وفي هذه الفترة كانت السلطة الفعلية في يد بني وطاس⁽²⁾، وقد هيموا على السلطان عبد الحق المريني الذي تولى الحكم عام (831 هـ/ 1427م) ولما انتبه هذا السلطان إلى استبدادهم بالأمر دونه، أنزل بهم وقعة استأصلت كثيراً منهم⁽³⁾. ولم ينج من هذه المذبحة سوى بعض الوطاسيين، وعلى رأسهم محمد الشيخ الوطاسي صاحب أصيلة⁽⁴⁾. ووصلت معلومات للسلطان أن العامة وكثيراً من الخاصة نعموا عليه لإيقاعه بالوطاسيين، وأضطرم حقد السلطان على رعيته، فسولت له نفسه بتعيين اثنين من اليهود، هما هارون وشاويل في منصب الوزارة، وجعل قائد شرطته الحسين اليهودي تأديباً لرعيته⁽⁵⁾. وكان هذا العمل بمثابة نهاية للدولة المرينية، حيث اندلعت الثورات في كل مكان من الدولة، ولم تنته إلا بضرب عنق هذا السلطان صبيحة يوم الجمعة 17 رمضان 869هـ/ 1465م⁽⁶⁾. وبايعت جماهير فاس الشريف أبا عبد الله الجوطي الذي استقل بالخلافة⁽⁷⁾.

ولم يستطع الشريف الجوطي إدارة دفة الدولة، فبدأ محمد الشيخ الوطاسي الزحف من مقرة بأصيلة للاستيلاء على فاس، فبرز له الشريف الجوطي والتقى الجيشان بأحواز مكناسة. وانتصر الجيش الوطاسي ودخل محمد الشيخ الوطاسي فاس عام 876هـ/ 1471م. وانصرف لنشر سلطانه وتثبيت حكمه في

-
- (1) - السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص92 .
 - (2) بنو وطاس فرقة من بني مرين غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق، انظر السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص118 .
 - (3) - المصدر السابق، ج4 ص97 .
 - (4) - المصدر السابق، ج4 ص119 .
 - (5) - المصدر السابق، ج4 ص98 ، مجهول ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط، ورقة 5 .
 - (6) - السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص100 .
 - (7) - الزركشي: نفس المصدر، ص156 .

القبائل المجاورة لفاس وسائر المغرب الأقصى، وبذلك قامت دولة بني وطاس⁽¹⁾. وقد شهد مطلع هذه الدولة عنف وضراوة حركة الاسترداد المسيحي ببلاد الأندلس، ولم يملك الوطاسيون أن يفعلوا شيئاً في ذلك الوقت، إلا أن يفتحوا المغرب الأقصى على مصراعيه لاستقبال المسلمين⁽²⁾ واليهود الفارين من بلادهم. ورغم ذلك لم يستطع الوطاسيون أن ينشئوا نظاماً يقر سلطتهم على مجموع التراب المغربي⁽³⁾. ولذلك استغل البرتغاليون هذا الوضع واستولوا على عدة مدن مغربية مثل أنفي في عام 874هـ/1469م، وأصيلة في عام 876هـ/1471م⁽⁴⁾.

وشهد المغرب في عهد السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي الذي خلف والده في عام (910هـ/1504م) نشاطاً كبيراً لمقاومة البرتغاليين من وجهه، وضد السعديين القادمين من الجنوب والمناوئين للوطاسيين من جهة أخرى، وأسفر ذلك عن عدة حروب بينهما⁽⁵⁾، وكان الغلبة فيها للسعديين.

وفي عهد السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي الذي تولى عام 932هـ/1525م)، وقعت موقعة بو عقبة بوادي العبيد، أسفرت عن هزيمة الوطاسيين وانسحاب سلطانهم أبي العباس أحمد الوطاسي إلى فاس، بعد أن أجبر على توقيع معاهدة صلح يعترف فيها بامتداد نفوذ السعديين من تادلا حتى المغرب الأوسط⁽⁶⁾. وفي عهد هذا السلطان، استعمل عبد الرحمن المنجور اليهودي الذي أسلم، على جباية مكوس المغرب⁽⁷⁾. وازداد نفوذ اليهود في مدة حكم

(1) - الكراسي: عروسة المسائل، هامش ص 14 .

(2) - محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي في المغرب الأقصى، ص 102 .

(3) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام الدولة السعدية، ص 83 .

(4) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 116 .

(5) - محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي، ص 108 .

(6) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 150 ، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 108 .

(7) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 158 ، مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط، ورقة 74 .

هذا السلطان كما سيجيء في حينه من البحث. ولم تستطع الدولة الوطاسية الصمود في مواجهة هذه التحديات، خاصة عندما تولى محمد الشيخ السعدي السلطة في جنوب المغرب الأقصى في عام (946هـ/1539م)، وأخذ في الاستيلاء على ممتلكات الوطاسيين شيئاً فشيئاً، حتى انتهى بمحاصرته للعاصمة فاس الجديدة، واقتحمها في أوائل عام 956هـ/1549م⁽¹⁾. ونقل السلطان أبا العباس الوطاسي معه إلى مراكش، حيث توفي عام 960هـ/1552م⁽²⁾. وفر من فاس أثناء حصارها أبو حسون الوطاسي إلى ثغر الجزائر، مستعيناً بالأتراك العثمانيين الذين استولوا على المغرب الأوسط من بني زيان. وفاوض أبو حسون الأتراك على مال كثير⁽³⁾، ووافق الأتراك على عرض أبي حسون، وأقبلوا معه بجيش كثيف تمكن من الاستيلاء على فاس الجديدة وفر محمد الشيخ السعدي من فاس، ودخلها أبو حسون وسط مظاهر السرور والفرح الشديد في عام 961هـ/1553م⁽⁴⁾.

ولم يمض وقت طويل حتى كثرت شكوى الناس من عبث الأتراك العثمانيين وفسادهم واعتدائهم على الحرم، فبادر أبو حسون إلى دفع الأموال التي كان قد اتفق عليها معهم وأخرجهم من فاس، وتركوا نفراً يسيراً منهم لحماية أبي حسون⁽⁵⁾. ولكن محمد الشيخ السعدي وجد أن الفرصة سانحة له للانقضاض على أبي حسون والقضاء على دولة بني وطاس، فزحف بجيش كثيف إلى فاس، ولم يصمد أبو حسون طويلاً حتى اقتحم محمد الشيخ السعدي فاس في الرابع والعشرين من شوال من عام 961هـ/1553م، وقتل السلطان أبا حسون. وبمقتل هذا السلطان انقرضت الدولة الوطاسية بالمغرب

(1) - محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي، ص 108 .

(2) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 157 .

(3) - المصدر السابق، ج 4 ص 159 .

(4) - المصدر السابق، ج 4 ص 160 ، محمد عيسى الحريري: الوطاسيون ودورهم السياسي، ص 109 .

(5) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 160 .

الأقصى⁽¹⁾، ودخل المغرب في عهد جديد.

هكذا نشأت الدولة المرينية والوطاسية وانتهتا. وإذا كنا قد أعطينا لمحة سريعة عن التطور السياسي لهاتين الدولتين، فقد حان الوقت للحديث عن الوضع السياسي لليهود في هاتين الدولتين، وعن علاقتهم بهما في فترة البحث.

(2) - علاقة الدولة والعامة باليهود:

لم تضع الدولة المرينية والوطاسية أي عقبات أمام اليهود، فقد أتاحت الدولة الإسلامية بمفهومها الديني لرعاياها من هؤلاء اليهود، قدراً كبيراً من الحرية داخل نطاق الدولة⁽²⁾، التي كان على رأسها السلطان. وكان هذا السلطان يستند في حكمه على مبدأ الوراثة⁽³⁾. وكان هذا المبدأ لا يحترم في بعض الأحيان، ولذلك وقع التنافس بين الأمراء على السلطة، التي كان يفوز بها أقواهم وأقدرهم على الإيقاع بالآخرين. وكان منهم من يستند أو يلجأ إلى الجيش، لتدعيم سلطته ضد الآخر أو التحالف مع الذميين لصالحه⁽⁴⁾.

ولذلك نشأت علاقات قوية في بعض الأحيان بين اليهود وبعض السلاطين.

ويمكن التعرف على طبيعة علاقة سلاطين بني مرين وبني وطاس مع اليهود من خلال ماتركه لنا المؤرخون والفقهاء. فقد صدرت الفتاوى بتحريم قتال الذميين - واليهود منهم - إذا لم ينقضوا العهد، فلهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم إلا أن ينقضوا العهد⁽⁵⁾.

وكان لليهود في بلاد المغرب الأقصى رؤساء، كانوا الوساطة في العلاقة

(1) - المصدر السابق، ج4 ص161 .

(2) - مارسول كرنجال: نفس المصدر، ج2 ص18 ، آدم متز، نفس المرجع، ج1 ص384 .

(3) - ابن خلدون: نفس المصدر، م7 ج13 ص505 - 507 .

(4) - ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ص306 .

(5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص224 ، ج8 ص262 .

بين الدولة ورعاياها من هؤلاء اليهود، وقد اعتبرت الدولة هؤلاء الرؤساء موظفين رسميين، بدليل أن توقيع تعيينهم كان يصدر من ديوان الإنشاء والعلامة⁽¹⁾ بعد أن تختاره الطائفة اليهودية، ثم كانت الدولة تقوم بتثيته والاعتراف به.

ومن المعروف أن الجزية أحد شروط عقد الذمة. وعدم أدائها يعد خللاً في أحد شروط المعاهدة، وبذلك تتوتر العلاقة. وكانت أسماء اليهود تسجل في كشوف، فإن أخذت الجزية منهم كتب بها إيصال، وأعطى اليهودي تصريح المواطنة⁽²⁾. وأما اليهودي القادم من خارج البلاد، فليس له الحق في دخولها إلا بهذا التصريح، الذي يدل على أنه دفعها في البلد الإسلامي القادم منها.

ومن مهام رئيس الطائفة اليهودية، أن يكتب إلى مسؤول الجزية في الديوان قوائم بأسماء المقيمين في البلاد من أبناء طائفته⁽³⁾، وأسماء من قدموا عليها لأخذ إيصال المواطنة⁽⁴⁾.

وكانت الجزية مورداً من موارد الدولة⁽⁵⁾. فتقام بها المساجد⁽⁶⁾، أو ينفق منها على المارستانات وعلاج المرضى، ومساعدة الفقراء بمرتبات شهرية تعطيها لهم الدولة⁽⁷⁾. إذ أن الجزية كانت تبلغ أربعمئة دينار شهرياً⁽⁸⁾. وكانت تجمع حسب المعتاد أربعة دنانير أو أربعين درهماً بالوزن الشرعي عن كل شخص في كل عام⁽⁹⁾. ولكن ضعف السلطة المركزية للدولة نتيجة لأسباب كثيرة، منها

(1) القلقشندي: نفس المصدر، ج5 ص198 .

(2) Solomon - op - cit, P. 729 .

(3) - قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، ص69 .

(4) Solomon - op - cit, P. 729 .

(5) - مارمول كريخال: نفس المصدر، ج3 ص153 ، محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني. ص281 .

(6) - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص297 ، صالح محمد: دولة بني وطاس، ص169 .

(7) - ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص100 .

(8) - الحسن الوزان: نفس المصدر: ص285 .

(9) - الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص253 .

الحروب ضد الاستعمار البرتغالي والقبائل المتمردة، أدى إلى تهرب اليهود من دفع الجزية - فتناقصت. وأصبحت جزية يهود فاس على سبيل المثال لا تكفي لإعانة أسرة⁽¹⁾. كما أصبح بعض اليهود لا يؤدون الجزية كاملة، إذ كانوا يدفعونها درهماً عن كل رأس⁽²⁾، بينما وجد آخرون منهم في بعض المناطق لم يؤدوا الجزية تماماً مثل يهود توات⁽³⁾. وآخرون كانوا يدفعون للأُمير المسيطر على المنطقة مثل يهود جبل هنتاته⁽⁴⁾.

وقد تعرض اليهود لمصادرات وابتزازات مالية مثل المسلمين. ولكن عندما تولى السلطان أبو يوسف يعقوب مقاليد الحكم رفع ظلم واعتداء العمال عن الرعايا والغنى مكوساً، كما محا الرسوم التي كانت تدفع على الرتب والمناصب⁽⁵⁾.

وكذلك أسقط أبو الحسن المريني عام 731هـ/1330م الجزية عن اليهود⁽⁶⁾ بسبب حسن سلوكهم.

ومن ناحية أخرى، وقفت الدولة أحياناً في وجه العامة التي هاجت مشاعرهم لتمتع بعض اليهود بمظاهر الثراء مثل الحكيم بن قبنال الذي كان يعمم ويتختم ويركب السروج على فاره الدواب، ويقعد في حانوته ويمشي في الأسواق بغير غيار يعرف به، بل كان يلبس أفخر من زي كبار المسلمين⁽⁷⁾. وفي بعض الأحيان كان بعض كبار الأمراء، يفرض حمايته على بعض اليهود خاصة القائمين بتدبير أموال أشرف المغرب⁽⁸⁾.

(1) - السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص112 ، 150 .

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص55 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص129 .

(4) - المصدر السابق، ص145 .

(5) - ابن خلدون: نفس المصدر، م7 ج13 ص436 .

(6) - ابن مرزوق: نفس المصدر، مخطوط ورقة 285 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص240 .

(7) - الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص254 .

(8) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج4 ص156 .

وكان على اليهود من الوجهة النظرية عدم استحداث أية معابد أو أديرة جديدة في دار الإسلام⁽¹⁾. ولكن الواقع يؤكد أن هذا الشرط لم ينفذ بدقة. فإن المعابد بنيت تحت أنظار الحكام وبمساعدتهم أحياناً، مثلما جرى في الملاح في مدينة فاس الجديدة، وفي مدينة توات⁽²⁾. مما أحدث كثيراً من المشاكل مثل قيام محمد عبد الكريم المغيلي وأنصاره بهدم البيعة التي بنيت في المدينة الأخيرة⁽³⁾.

وفي بداية عهد الدولة المرينية وقف سلاطينها ضد استخدام اليهود في الجهاز الإداري. وأبلغ دليل على ذلك استنكار وزير أبي يعقوب يوسف بن يعقوب في القاهرة وكان مع السلطان بيبرس الجاشنكير، فحضر أحد كتاب النصاري، فقام إليه الوزير المغربي على أساس أنه مسلم. ثم ظهر له أنه نصراني فقامت قيامته، وقام إلى السلطان يتحدث معه في أمر النصاري واليهود، حيث إنهم بالمغرب في غاية الذل والهوان⁽⁴⁾.

ولكن ثبت غير ما قاله الوزير، عندما استخدم أبو يعقوب يوسف بن يعقوب حاجباً يهودياً وهو خليفة بن حيون بن رقاصة⁽⁵⁾، كما استخدم عبد الحق المريني آخر سلاطين بني مرين شاوليل اليهودي⁽⁶⁾ وزيراً له.

وبذلك يتضح أن اليهود تولوا عدة وظائف هامة في الدولة، خاصة في نهاية عهد بني مرين وفي دولة بني وطاس. ورغم المعارضة الشديدة من قبل الفقهاء لهذه السياسة إلا أن معارضتهم ذهبت هباء.

(1) - ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، ج2 ص137 ، الونشريسي: نفس المصدر: ج2 ، ص 149 .

(2) المغيلي: مصباح الأرواح، ص56 .

(3) - الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت سنة 1986 ، الطبعة السابعة م6 ص216 ، عبد القادر زبادية: نفس المرجع، ص212 .

(4) - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة بدون تاريخ، ج8 ص133 .

(5) - بان الأحمر: روضة النسرين، ص31 ، النفحة النصرية واللمحة المرينية، ص39 .

(6) - السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص98 .

ويبدو أن مابلغه اليهود من ثراء ونفوذ نتيجة لعملهم في الإدارة وماتظاهروا به من العظمة، قد سبب لهم الطرد من وظائفهم من آن لآخر⁽¹⁾. وكانت الحوادث التي يطرد فيها اليهود من وظائفهم وأعمالهم عبارة عن رد فعل من قبل الدولة، ثم يأتي الطرد إرضاء لمشاعر عامة الناس الذين رأوا أن اليهود يكونون الثروة، ويتمادون في إيذاء مشاعر المسلمين وإلحاق الضرر بهم من خلال تلك الوظائف والأعمال. بينما جموع الشعب المغربي مطبوعة تحت أعباء الضرائب التي فرضت عليهم، مثل حوادث السيطرة على القيسارية بقيادة الحسين اليهودي⁽²⁾.

وفي النهاية نجد أن الدولة لا تتدخل إلا تحت ضغط الشعب⁽³⁾ لأن اليهودي خاصة المرابي لم يكن موضع حب الجماهير أو ثقتهم بل كان محط شكوك الجميع وكراهيتهم⁽⁴⁾.

ورغم ما قامت به الدولة من حماية مصالحهم وحریتهم، إلا أن اليهود لا ينسون أن العرب امتازوا عليهم وسادوهم بفضل الإسلام قرونًا بعد قرون⁽⁵⁾. ولكن طابع التسامح غلب على دولة بني مرين وبني وطاس مع الرعايا اليهود، ومالاقوه من عداء من المسلمين في بعض الفترات التاريخية لا يقدر بما لاقاه اليهودي على مر تاريخه في الشرق والغرب.

(3) السياسيون من اليهود:

استخدمت الدولة المرينية اليهود في عدة مناصب هامة في الدواوين، فكان منهم الحاجب والوزير.

(1) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، مخطوط ورقة 3 .

(2) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، مخطوط ورقة 5 .

(3) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج2 ص72 .

(4) - المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، ج1 ص25 .

(5) - حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص301 .

(أ) الحاجب:

يعرفه ابن خلدون «بالمزوار» وهو يت رأس الجنادرية المنصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وعقوباته وحفظ المعتقلين في سجونهم⁽¹⁾. وهذه المهام يقوم بها وزير التنفيذ بمفهوم ذلك العصر، لأن الشروط الواجبة فيه تصلح لليهودي وخلافه، وهي الذكاء والفطنة والأمانة وصدق اللهجة وقلة الطمع⁽²⁾. ولذلك أكد ابن خلدون على هذا بقوله أن الحجابة كأنها وزارة صغرى⁽³⁾، ولكن الغالب على من تولى هذا المنصب من اليهود تجاوز المهام المكلف بها لصالح نفسه ولصالح طائفته.

وبدأ منصب الحاجب بوظيفة القهرمان⁽⁴⁾، وهو القائم على خصوصيات القصر من كل ما تحتاجه عائلة السلطان بأخذ مؤونتها من رئيس التموين⁽⁵⁾.

وقد أسند السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني هذه الوظيفة إلى خليفة ابن حيون بن رقاصة من اليهود المعاهدين⁽⁶⁾، وكان هذا من عادة الأمراء في تعيين قهرمان لقصورهم.

فبدأ خليفة بن حيون بن رقاصة مع السلطان يوسف بن يعقوب منذ

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 1 ص 428 .

(2) - فتحة التبروي: نفس المرجع، ص 61 ، 62 .

(3) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 1 ص 429 .

(4) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 12 ص 483 ، ابن الأحمر: النفحة النصرية، ص 39 .

(5) - صالح محمد: دولة بني وطاس، ص 62 .

(6) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 483 ، ابن الأحمر: النفحة النصرية،

ص 39 ، ذكر سعيد عبد الفتاح عاشور أن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق

وحفيده السلطان أبا الربيع سليمان اتخذوا حاجباً يهودياً يدعى خليفة بن حيون بن

رقاصة. ولكن وجد أن السلطان أبا الربيع اتخذ خليفة الأصغر حاجباً له وليس خليفة بن

حيون، لأن هذا الرجل قتل في عهد السلطان يوسف من آل رقاصة في عام 701 هـ

سنة 1301 م. انظر ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 497 ، سعيد عبد الفتاح

عاشور: المؤتمر الرابع لجمع البحوث الإسلامية، ص 359 .

صباه، يعصر له الخمر ويجهز له الخلوة مع الندماء مستتراً بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانته من الدين والوقار، وعندما توفي يعقوب تولى ابنه يوسف السلطنة فانفرد خليفة بن حيون بن رقاصة بخلوته مع السلطان والندماء. واستمر آل ابن رقاصة في شغل وظيفة القهرمان لمدة طويلة لأنهم كانوا عائلة. الأكبر خليفة وأخوه ابراهيم، وابن عم يسمى خليفة لقبوه بالصغير. وكان معهم في قهرمانه القصر موسى كبير بني السبتي صهراً لخليفة بن حيون وخلفاً له في قهرمه القصر⁽¹⁾. واستمر خليفة بن حيون وعائلته في قهرمه القصر إلى أن أصبحوا مركز ثقل، وكان الخاصة يتلقون الأوامر من زعيمهم خليفة بن رقاصة، فصارت له الواجهة بينهم وعظم قدره بين الوزراء والشرفاء والعلماء⁽²⁾. أي قام مقام الحاجب، مما جعل السلطان يوسف بن يعقوب يستريب من أعمالهم، فالتفت إليهم وإلى أفعالهم. وأطلعه على ذلك كاتبة أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين⁽³⁾. لأن لاشيء أضيع للملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب⁽⁴⁾، وخاصة عندما يكون الحاجب يهودياً ويعمل لحساب طائفته.

ولذلك قام هذا السلطان باعتقالهم في شعبان من سنة 701 هـ/ 1301م بمعسكره أثناء حصار تلمسان، وقتل خليفة الأكبر رأس الأفعى وأخاه ابراهيم وبنى السبتي بعد أن امتحنوا ومُثل بهم. ولم يترك السلطان يوسف من آل رقاصة إلا خليفة الأصغر احتقاراً لشأنه⁽⁵⁾.

وفي عهد السلطان سليمان بن عبد الله يوسف بن يعقوب الذي تولى الحكم عام 708 هـ/ 1308م اتخذ خليفة ابراهيم المعروف بالأصغر حاجباً له، ولم يتعظ هذا السلطان بما فعله بنو رقاصة مع جده أبي يعقوب يوسف بن يعقوب

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 483 ، 484 .

(2) - المصدر السابق، م 7 ج 13 ص 483 ، 484 .

(3) - السلاوي: نفس المصدر ج 3 ص 81 .

(4) - الابشيهي: المستطرف في كل فن مستطرف، المكتبة التجارية القاهرة بدون تاريخ، ص 92 .

(5) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 484 ، السلاوي نفس المصدر ج 3 ص 81 .

بن عبد الحق في عام 701هـ/1301م، وكان عمره إحدى عشرة سنة وقت نكبة بني رقاصة لأنه توفي وعمره عشرون سنة⁽¹⁾. وكان أبو خزر خليفة في يده كل شيء، لدرجة أن عبد الله بن الشيخ الصالح أبي مدين شعيب المعروف بأبي مدين، كان لا يفصل في شيء رغم ما عرف عن عائلة أبي مدين في ديوان الإنشاء والعلامة⁽²⁾.

فكان أبو مدين لا يقدم على أمر حتى يأخذ رأي ابن أبي خزر خليفة⁽³⁾، الذي تمتع عند السلطان بمكانة كبيرة، لدرجة أن كثيراً من أفراد الجيش من بني مرين كانوا ينادونه بسيدي أبي خزر، لتعظيم السلطان سليمان له وتوليته كل شيء في الدولة⁽⁴⁾. ولكن وضع خليفة إبراهيم لم يستمر طويلاً لأن مصيره كان مصير من سبقه من هذه العائلة اليهودية.

وبعد وفاة السلطان أبي عنان وسيطرة الوزراء، وصلت الدولة إلى حالة من الانحلال لدرجة أن سلاطينها لم يستطيعوا الدفاع عن أرضها. فاستولى الاستعمار البرتغالي على سبتة في عام⁽⁵⁾ 818هـ/1415م. وعندما يئس الناس من السلطان أبي سعيد عثمان لعدم قيامه بالدفاع عن سبتة، قامت ضده ثورة راح ضحيتها سبعة من أبنائه. وظلت مملكة فاس بدون ملك لمدة ثمانية أعوام، أمكن في نهايتها التعرف على ولد صغير لأبي سعيد مولود من نصرانية، كانت قد هربت به إلى تونس وقت المذبحة وكان اسم هذا الوليد عبد الحق⁽⁶⁾.

وفي هذه الفترة كانت السلطة الفعلية في يد بني وطاس. فكانوا هم الوزراء والحجاب، وعلى رأس بني وطاس أبو زكريا يحيى بن يحيى بن عمران

(1) - ابن الأحمر: روضة السرين، ص 33 .

(2) - القلقشندي: نفس المصدر، ج 5 من 198 ، محمد عيسى الحريري: تاريخ الغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 265 .

(3) - ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط 1972 ، ص 58 .

(4) - ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص 58 .

(5) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 92 .

(6) - حسن الوزان: نفس المصدر، ص 319 ، 320 .

ابن زيان الوطاسي. وكانت ولايته مبدأ الشر ومنشأ الفتنة عندما استقل بالحجابة، وأخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند، وعامل الرعية بالعسف، وعزل قاضي مدينة فاس الفقيه أبا عبد الله محمد بن عيسى بن علال المصمودي، وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي، وهيمن الوطاسيون أيضاً على السلطان عبد الحق المريني الذي تولى عام (831هـ/1427م)، إلى أن انتبه إلى استبداد نفوذهم، فسطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم⁽¹⁾. ونما إلى هذا السلطان أن العامة وكثيراً من الخاصة قد نعموا عليه لايقاعه بالوطاسيين، وأن آذانهم صاغية إلى محمد الشيخ الوطاس صاحب أصيلا الذي نجا من المذبحة، فولى عليهم اليهوديين هارون وشاويل⁽²⁾، وشكل هذا العمل النهاية لسلطة المرينيين.

(ب) الوزراء:

وللوزير عدة تعريفات: الأول أنه من الوزر وهو الثقل، لأنه يحمل عن الملك أثقاله⁽³⁾. والثاني مشتق من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره. والثالث مشتق من الوزر وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه⁽⁴⁾.

وبالبحث في مصادر الدولة المرينية لم نجد ذمياً يهودياً يتقلد الوزارة إلا في عهد السلطان عبد الحق آخر سلاطين بني مرين، عندما أراد الانتقام من بني وطاس المسيطرين على الدولة، والانتقام من العامة، فعين اليهوديين هارون وشاويل⁽⁵⁾. وكان هارون أحد الصرافين العاملين في الشؤون الاقتصادية⁽⁶⁾.

(1) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 97 .

(2) - المصدر السابق ص 13. Nasr abid. p. 98.

(3) - الماوردي: قوانين الوزارة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ومحمد سليمان داود، مؤسسة شباب الجامعة القاهرة 1978 ص 61 ، ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ، ج 1 ص 419 .

(4) - الماوردي: قوانين الوزارة، ص 62 ، ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ، ج 1 ص 419 .

(5) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 98 .

(6) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 27 .

فاستعان به السلطان عبد الحق في سياسته المالية التي لا تحظى بأي تأييد شعبي⁽¹⁾.

وهذا الاختيار يؤكد أن الدولة المرينية كانت قد وصلت إلى الإفلاس، وأن خزائنها كانت خاوية نظراً لكثرة ثورات القبائل والعصائب⁽²⁾. ولم يعد الأمراء المرينيون هم المحركون الحقيقيون للأحداث. فقد سيطر محلهم في المدن زعماء القبائل الذين كانوا هم الحكام الفعليون⁽³⁾، مما جعل الكثير من الحواضر المغربية تنفرد باستقلالها⁽⁴⁾. وكان هذا الأمر من الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الوزير اليهودي الذي أسند له السلطان الوزارة وبيت المال⁽⁵⁾، فاختار شاوويل نائباً له.

وأول شيء قام به هذا الوزير اليهودي وحاجبه اليهودي، هو ضرب أهل فاس ومصادرة أموالهم والتحكم في الأشراف والفقهاء منهم وفي باقي الطبقات العامة⁽⁶⁾. وزاد من سحق العامة على الدولة أنها لم تستطع حماية طنجة من هجمات البرتغاليين فاستولوا عليها عام 869هـ/1464م⁽⁷⁾. وأفلسَت الدولة لدرجة أن السلطان وافق على مشاريع الوزير اليهودي في تحصيل عدة ضرائب من المسلمين⁽⁸⁾ لملء خزانة الدولة الخاوية. فزاد في غلوه حتى فرض على أهل قيسارية فاس دفع مبلغ من المال كهدية للسلطان وإلا طردوا من القيسارية. كما جمع من اليهود المهاجرين هدية مقابل سيطرتهم على قيسارية فاس، وكانت هذه الأعمال تتم بعلم السلطان⁽⁹⁾. وكان هارون اليهودي يقوم

(1) - Nasr. op cit. p. 135.

(2) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 1 ص 290 .

(3) - عبد الله العروي: نفس المرجع، ص 239 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 1 ص 450 .

(5) - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ص 132 .

(6) - السلاوي: نفس المصدر، ج 3 ص 98 .

(7) - المصدر السابق، ج 3 ص 98 .

(8) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوطة ورقة 4 .

(9) - مجهول: قصة المهاجرين، مخطوطة ورقة 4 .

بكثير من الأعمال، ولا يأخذ أمر السلطان المغلوب على أمره مدة ثلاثين سنة⁽¹⁾، فأصبح هارون هو صاحب السلطان الفعلي في الدولة⁽²⁾.

ولمزيد من السطوة عين الحسين اليهودي قائداً للشرطة مع أن هذا المنصب لا يكون إلا في يد مسلم، للقيام بحماية أرواح الناس وحماية أموالهم وممتلكاتهم وصيانة حقوقهم⁽³⁾. وجعل الوزير اليهودي من قائد شرطته سيفاً على أعناق أهل فاس وأصحاب القيسارية. مما جعلهم يبيعون حوانيتهم في القيسارية في أشهر معدودة مجبرين. وكل ذلك بعلم وتحت سمع السلطان المريني عبد الحق⁽⁴⁾.

ولم يفلت من قبضة الحسين اليهودي إلا أقلية قبلت على نفسها دفع مزيد من الضرائب، مما زاد من سخط الناس ضد اليهود والسلطان. فهاج الناس عليهما مما أدى في نهاية الأمر إلى قتل السلطان ووزيره اليهودي.

أما في زمن الدولة الوطاسية، ففيها أقاويل صدرت عن بعض المؤرخين أنه لا يجوز إطلاق لفظ دولة عليها. والأصلح إطلاق لفظ إمارة، نظراً لصغر مساحتها الجغرافية. تلك المساحة التي كانت تسيطر عليها الدولة المرينية. ولعدم استقرار هذه الدولة وكُتلت شؤونها وتيسير النشاط الاقتصادي بها إلى رجال لا يحظون بثقة الناس، لأنها غير قادرة على أن تفرض نفسها⁽⁵⁾، نظراً لكثرة الفتن والحروب فتدهورت حالتها، وذهبت هيبتها⁽⁶⁾، لدرجة أن السلاطين

(1) - ابن شاهين: الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم، مخطوط بدار الكتب المصرية المكتبة التيمورية (رقم 2403 تاريخ ورقة 23).

(2) - الزركشي: نفس المصدر، ص 156.

(3) - محمد عيسى الحريري. تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 274، 275.

(4) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوطة ورقة 5.

(5) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام السعديين، ص 82.

(6) - عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ص 132.

الوطاسين لم يستطيعوا حماية الريف المغربي مقرر عصبيتهم⁽¹⁾. فقد قامت فيه ثورة على ابن راشد الذي استضعف سلطة محمد الشيخ الوطاسي⁽²⁾.

ووصل الانحلال بالدولة الوطاسية أن اقتسموا المغرب مع السعديين⁽³⁾، إلى جانب أن المصادر لم تمدنا باسم وزارة أو وزير أو حاجب في هذه الدولة.

(4) الإداريون من اليهود:

يعود النظام الإداري لدولة بني مرين في أصوله إلى النظام الإسلامي بصورة عامة، ونظام الموحدون بالمغرب بصفة خاصة. إلا أن السلطان أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق زاد على تقسيم الموحدون ثلاثة أقاليم، لأنهم حصلوا بعض المناطق الهامة وجعلوها إقليماً إدارياً مستقلاً لأهميته كإقليم درعه وإقليم سلا⁽⁴⁾.

والغالب في اختيار موظفي الإدارة أن يختاروا من بين الفقهاء، وأن يتم تعيينهم من قبل السلطان نفسه. وبدراسة ماتوفر لدينا من مصادر ومراجع لاحظ الباحث، أن بعض الموظفين بدولة بني مرين وبني وطاس كانوا من أهل الذمة، وذلك لعدم معرفة المرينيين والوطاسيين بالنظم الإدارية⁽⁵⁾. فكان المرينيون يستعينون بجنسيات غير مغربية في أمر الكتابة وغيرها، مثل قبض الجبايات

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 450 .

(2) - الكراسي: نفس المصدر، ص 17 .

(3) - السلاوي نفس المصدر، ج 4 ص 151 .

(4) - الأقسام الإدارية في عهد الموحدون «فاس، سجلماسة، السوس، تلمسان، الصحراء سبتة وطنجة، والأقاليم الإدارية في عهد بني مرين» فاس، مراكش، اغمات، سلا، مكناسة، رباط تازي، سجلماسة، درعة، انظر. حسن علي حسن: الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة 1973 ، ص 141 ، الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 268 ، 296

(5) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 345 .

والأموال⁽¹⁾، كما استعمل بعض السلاطين المرينيين اليهود في بعض الخدمات⁽²⁾. فزاد نفوذهم أوائل أيام أبي الحسن المريني، فأصدر أمراً بأن اليهود لا يطالبون بشيء من الوظائف والتكاليف ماعدا الجزية والأعشار اللازمة شرعاً⁽³⁾.

واستمر الوضع على ذلك في استخدامهم، إلى أن تولى السلطان عبد الحق المريني، وتم تعيين يهودي قائداً للشرطة هو الحسين، رغم كون هذه الوظيفة كانت تابعة لديوان القضاء لكونها تعمل على تنفيذ أحكامه⁽⁴⁾ وكانت تحت نظره. ولكنهم فصلوها عن القضاء فيما بعد لحاجة الحكام إلى ذلك. لما للقضاء من قيود شرعية تحد من مرونة صاحب الشرطة⁽⁵⁾، وأصبح صاحبها بعد ذلك مرئوساً لصاحب السيف⁽⁶⁾.

وقد أمدتنا المصادر والمراجع ببعض الأعمال التي قام بها الحسين اليهودي. إلا أن هذه الأعمال كانت لصالح طائفته اليهودية. مثل شراء حوانيت القيسارية بفاس لصالح اليهود المهاجرين. ولما ضجَّ الناس من مضايقات اليهود لهم في القيسارية، شكوهم إلى ناظر الأحباس فمنع بيع الحوانيت، فسعى اليهود إلى الحسين اليهودي فأمره بذلك، بحجة أن ثمن الحوانيت تدفع إلى السلطان عبد الحق المريني وأنه محتاج إلى تلك الأموال، وهو مفوض من قبل السلطان في ذلك⁽⁷⁾.

هذا إلى جانب قيامه بعمل كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، إذ أطاح هذا العمل بالسلطان ووزرائه وقائد شرطته. وذلك عندما قبض الحسين

(1) - الحكيم: نفس المصدر، ص 137 .

(2) - محمد المتوني: نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، عدد 4 ، 5 ص 255 .

(3) - الحكيم: نفس المصدر، ص 138 .

(4) - جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال سنة 1903 جزء 1 ، ص 91 .

(5) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 1 ص 445 .

(6) - المصدر السابق: م 1 ج 1 ص 445 .

(7) - مجهول: قصة المهاجرين، مخطوط ورقة 4 ، 5 .

على امرأة شريفة وأوجعها ضرباً، فتوسلت برسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد اليهودي من ضربه لها. وسمع الناس بذلك فازدادوا غيظاً، واجتمعوا عند خطيب مسجد القرويين أبي فارس عبد العزيز بن موسى الوريكالي، وكان له صلابة في الحق، فشجع العامة ضد اليهود، وأعلن الجهاد، ونادى في شوارع فاس، واجتمع عليه السواد وطالبوا الشريف عبد الله الجوطي السلطة⁽¹⁾، وثار العامة انتقاماً للمرأة من اليهود، فأخذوا يضربونهم ويقتلونهم حتى كادوا يقضون عليهم ولم ينج منهم إلا من فر هارباً من فاس⁽²⁾.

أما بنو وطاس فليس لهم نسب ولا مذهب سياسي يعتمد عليه، كما لا يوجد عمال ولا قيادة جيش قوى ولا أطر إدارية في مستوى دولة بني مرين⁽³⁾. فتجزأت الدولة وتكونت وحدات إدارية شبه مستقلة، مثل شفشاون وتطوان والقصر الكبير وخلافه. وذلك نتيجة البعد عن مقر الهيئة الحاكمة⁽⁴⁾. وضعف السلطة الحاكمة، مما أدى إلى اعتراف الدولة الوطاسية بصلاحيات شيوخ البربر في المناطق التي يسيطرون عليها⁽⁵⁾، مثل سيطرة عائلة الزواودة وأحلافها في واحات الجنوب⁽⁶⁾. وكان بعض هؤلاء الشيوخ يستخدمون اليهود كحراس أو مدافعين لحسابهم، كما حدث من شيوخ جبل دمنسرة. فقد وجد في هذا الجبل يهود يمتطون الخيول ويحملون السلاح ويحاربون لحساب شيوخ الجبل المذكور⁽⁷⁾.

وفي فترة حكم أحمد البرتغالي، استعمل عبد الرحمن المنجور وهو من

(1) - ابن شاهين: نفس المصدر ورقة 25 ، السلاوي: نفس المصدر ج 4 ص 99 .

(2) - ابن شاهين: نفس المصدر، ورقة 23 .

(3) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبيل قيام السعديين، ص 83 .

(4) - عبد الكريم كريمة: المغرب في عهد الدولة السعدية، جامعة محمد الخامس، المغرب 1977 ، ص 16 .

(5) - صموئيل آتينجر: نفس المرجع، ص 322 .

(6) - عبد القادر زبادية: التلمساني، مجلة الأصالة عدد 26 ، ص 207 .

(7) - الحسن الوزان: مصدر سابق، ص 123 .

اليهود الذين أسلموا حديثاً لجمع مكوس المغرب. فكان يدفع عن مكس فاس ألف دينار عن كل سنة⁽¹⁾، وقيل عشرون ألف دينار⁽²⁾.

ومن أفعال المنجور في عهد السلطان أحمد الوطاس، أن باع قيسارية فاس لليهود بعد مشورة السلطان، الذي كان في حاجة للمال لمحاربة محمد الشيخ السعدي⁽³⁾. واستمر المنجور في غشه وخداعه إلى أن ضبط متلبساً في عهد أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي، وشهد عليه الشهود قتل وصودرت أمواله لحساب بيت المال⁽⁴⁾.

(5) السفراء من اليهود:

إن الخوض في التاريخ الدبلوماسي بالغ الصعوبة، نظراً لتفرق وثائقه بين الدول ذات الصلة بالمغرب. وهناك صعوبة أخرى تكمن في أن من يقوم بهذه المهمة، يجب أن تكون لديه عدة لغات يتحدث بها حتى يستطيع أن يتعامل مع حكام دول الأفرنج ذات العلاقة بالمغرب. ولذلك كان يتم اختيار السفراء في دولة بني مرين وبني وطاس بدقة متناهية.

وأثناء البحث وجدت صعوبة في ذكر كثير من السفراء، ولكن لم أجد صعوبة في ذكر المعاهدات. ولكن الوثائق أغفلت دور من مهد لعقد هذه المعاهدات بين الملوك. ونادراً ما كان يذكر اسم السفير الذي قام بهذا الدور. ففي عصر بني مرين كان السفراء مسلمين مثل عبد الله الترجمان والقاضي ابن أبي الصبر⁽⁵⁾.

-
- (1) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 5 .
 - (2) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 252 ، هذا المبلغ مبالغ فيه نظراً لهيمنة اليهود على النشاط الاقتصادي إلى جانب سيطرتهم على قيسارية فاس وضعف السلطة وانسلاخ بعض الولايات عن جسم الدولة مما يقلل من مكس البلاد.
 - (3) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 5 .
 - (4) - السلاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 158 .
 - (5) - عبد الهادي التازي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، المغرب 1985، ص 9 ، 10 ، 64 .

أما في عهد بني وطاس فكان السفراء من اليهود، خاصة المهاجرين منهم من ذوي الثقافة الأندلسية، والذين كانوا يجيدون عدة لغات. وأغلب من لعب دور هؤلاء السفراء هم التجار اليهود من الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأقصى. والذين استقروا فيه كانوا يتميزون عن اليهود المغاربة⁽¹⁾ المحتقرين من قبل اليهود المهاجرين⁽²⁾، ولذلك كان لبعض هؤلاء اليهود المهاجرين دور كبير في خدمة بني وطاس، مثل يعقوب روساليس، الذي أرسله سلطان فاس أحمد بن محمد الثاني في عام 936هـ/1530م إلى جان الثالث ملك البرتغال، يشكره على الاستقبال الحافل لحاشيته وخادمه يعقوب روساليس، ويتأسف على عدم تنفيذ طلبه في إرسال أولاد علي برومومو لأنهم اعتنقوا المسيحية⁽³⁾.

كما أرسل يعقوب روساليس إلى البرتغال في سفارة أخرى، لعقد سلام بين سلطان فاس أحمد بن محمد الثاني وملك البرتغال جان الثالث في عام 935هـ/1538م، وكللت جهود يعقوب روساليس بالنجاح⁽⁴⁾.

كما أرسل السلطان أحمد بن محمد الثاني سفيره ابراهيم القرطبي، الذي يبدو من اسمه أنه كان من المهاجرين الأسبان. في مهمة دبلوماسية في عام 939هـ/1532م إلى إسبانيا⁽⁵⁾.

ومن هذه السفارات يتضح أن الغرض منها، كان إما تعيين الحدود بين البرتغال والوطاسيين⁽⁶⁾. أو مساعدة الوطاسيين ضد السعديين المناوئين لهم في الحكم. فواصل أحمد بن محمد الثاني الوطاس تقربه إلى البرتغاليين الذين كانوا في حرب ضد السعديين، فأرسل يهودياً يسمى يعقوب روط في عام 946هـ/

(1) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 90 .

(2) - Solomon, op. cit. p. 729.

(3) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي عهد بني مرين وبني وطاس، المغرب 1988 ، م 7 ص 252 ، Barbour, op. cit. p. 90 .

(4) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 89 .

(5) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 243 .

(6) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي م 7 ص 252 .

1536م إلى لشبونة لهذا الغرض. وسبب اختيار يهودي لهذه المهمة هو خوف أحمد الوطاس من إرسال مسلم يمكن أن يتحالف مع البرتغاليين ضده⁽¹⁾.

وقد جمع يعقوب روط اليهودي عدة مهارات مثل العمل بالتجارة. كما أصبح مورداً لمؤن الجيش المغربي، وعمل بالترجمة، وتولى عدة مناصب في الطائفة اليهودية، إلى أن وصل لمنصب شيخ اليهود. واستطاع أن يكسب ثقة كل من الوطاسيين والبرتغاليين⁽²⁾. ودامت مهمته في لشبونة ولم تنته إلى أي اتفاق⁽³⁾. وأرجح أن سبب هذا الفشل يرجع إلى رجحان كفة السعديين في حروبهم ضد البرتغال من جهة، وضعف حكم الوطاسيين وضياح نفوذهم من جهة أخرى، فأصبحوا غير جديرين بالتحالف مع البرتغاليين.

ويتميز العصر الوطاسي بكثرة اليهود خاصة المهاجرين منهم. ولعب أغلبهم دوراً مزدوجاً بين السفارة والتجسس. مثل السفير داود رباني، الذي كان يحمل ثقة سلطان فاس. فكان يأخذ خطابات من إبراهيم بن أزميز وأحد يهود فاس، وكذلك من حاكم طنجة⁽⁴⁾ التي كانت محتلة احتلالاً برتغالياً⁽⁵⁾. وكانت هذه الخطابات مرسلة إلى ملك البرتغال ويوضح مضمونها استعدادات الوطاسيين أو السعديين للحرب. فكان سليمان بن زاميرو ابن أخ إبراهيم زاميرو الذي كان من أغنى تجار مراكش، يكلف نفسه عناء السفر إلى أسفى ليخبر عمه - إبراهيم - باستعدادات السعديين⁽⁶⁾. وكانوا يحصلون على أموال طائلة مقابل جاسوسيتهم⁽⁷⁾.

(1) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص 328 . Barbour. op. cit. p. 86.

(2) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 90 .

(3) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، م 7 ص 260 ، عكس ماوصلت إليه الدكتورة نوال عبد العزيز: في أن مهمة يعقوب روط كللت بالنجاح، انظر، نوال عبد العزيز: نفس المرجع، ص 90 .

(4) - Elkd, nathdn, adler, jewish, travellers. London. P. 262. -

(5) - السللاوي: نفس المصدر، ج 4 ص 98 .

(6) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص 328 .

(7) - مارمول: نفس المصدر، ج 2 ص 78 .

إلى جانب هؤلاء السفراء المرسلين من قبل سلاطين فاس، كان يوجد سفراء مقيمون بفاس مثل السفير البرتغالي دي فاركاش⁽¹⁾، الذي أرسل رسالة إلى جان الثالث بتاريخ 5 يناير 1542م/18 رمضان 948هـ، يخبر فيها البرتغال بتحركات السفراء والعلاقات التي تجري داخل العاصمة⁽²⁾.

(6) - أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية في بلاد المغرب الأقصى:

قام يهود المغرب الأقصى بفتن ومكايد ضد المسلمين. فقد استغلوا وضعهم السياسي والشرعي داخل الدولة التي منحت لهم عدة مناصب من قبل السلاطين والأمراء، فاستغلوا ذلك لصالحهم أو لصالح أهل ملتهم، أو لضرب المسلمين الحاقدين عليهم⁽³⁾.

مثال ذلك عندما كانت خليفة بن رقاصة حاجباً للسلطان أبي يعقوب يوسف، فقد استعلى هذا الرجل هو وعائلته على كل الوزراء والعلماء والشرفاء. فنصح الوزير وكاتب العلامة (أي الخاتم) عبد الله بن أبي مدين، السلطان أبي يعقوب يوسف بالتخلص منهم. فدبر لهم مكيدة ونكل بهم، واستبقى من عائلة رقاصة خليفة الصغير⁽⁴⁾ عبدة لباقي اليهود. وسرعان ما تناسى المسلمون ماجرى لهم على يد اليهود. إلا أن خليفة الصغير كان يتملق السلطان ليصل إلى غرضه، وهو غرض كل يهودي. وهو حب الانتقام وإشعال الثورات على مر التاريخ. وكان هذا الأمر ديدنهم كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً⁽⁵⁾.

(1) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، م 7 ص 258 .

(3) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، م 7 ص 259 .

(3) - حسين مؤنس: كيف نفهم اليهود، ص 54 .

(4) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 484 .

(5) - عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ،

ص 43 .

ونتيجة لتعلق خليفة الصغير بالسلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر، فقد عينه هذا السلطان حاجباً له في عام 708هـ / 1308م⁽¹⁾، وقيل عينه وزيراً⁽²⁾.

وهنا بدأ خليفة الصغير يدبر مكيدته انتقاماً من صاحب العلامة عبد الله بن أبي مدين، الذي كشف أفعال خليفة بن حيون في قصر يوسف بن يعقوب. فدرس خليفة الصغير للسلطان أن عبد الله بن أبي مدين يعرض باتهام السلطان في ابنته. وأنه يتآمر ضد الدولة. فتمكنت سعايته من نفس السلطان وظن أنه صادق. وكان يخشى عائلة أبي مدين بما كان له من الواجهة في الدولة، فوجه له الدعوة لحضور زفاف ابنته، وأوعز إلى قائد جند الفرنج غنصاله بقتله. فسار إليه ولقيه قرب مقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي وأتاه من خلفه وطعنه طعنة كبته على ذقنه، واجتز رأسه وألقاها بين يدي السلطان أبي الربيع. ودخل الوزير سليمان ابن يرزيكن، فوجد الرأس بين يديه. وحزن حزناً شديداً على أبي مدين لما له من مكانة كبيرة في الدولة. وأوضح السلطان مكر هذا اليهودي وأطلعه على خبثه، وأخرج له براءة كان بعث بها أبو مدين معه إلى السلطان، يتنصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده. فتنبه السلطان لمكر هذا اليهودي، وعلم أنه قد خدعه، وندم على ما فعله بوزيره. وقتل حينه بخليفة الصغير وحاشيته من اليهود، فأصبحوا مثلاً للآخرين⁽³⁾.

ومن مكائدهم أن جارية ادعت أن أحد اليهود اغتصبها قهراً في داره مما أثار حفيظة المسلمين، ولما علم السلطان يوسف يعقوب بهذه الحادثة ركب بنفسه، وأمر بطرد العامة من مساكن اليهود وأمرهم بالكف عنهم، وأرسل في المدينة بعدم التعرض لأحد من اليهود⁽⁴⁾.

(1) - ابن الأحمر: النفحة النسرنية، ص 42 .

(2) - ابن الأحمر: روضة النسرين، ص 33 .

(3) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 497 ، 498 ، ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط سنة 1972 ص 58 ، 59 ، 60 السلاوي: نفس المصدر، ج 3 ص 100 .

(4) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، ورقة 23 الفردبل: نفس المرجع، هامش ص 327 .

ومع الهجمة الاستعمارية الشرسة التي قام بها الاستعمار البرتغالي على الشواطئ المغربية، وعجز السلطة الوطاسية في الدفاع عن حدود أرضها، إلى جانب الهجرة الكبيرة من المسلمين واليهود من الأندلس. شعر المسلمون أن القضية أصبحت مشتركة بين المسلمين واليهود لمواجهة العدو المشترك. الذي قام بطردهم، واعتدى على أرضهم. لكن اليهود لم ينظروا للقضية من هذا المنظور، بل جعلوا مصلحتهم وخدماتهم لمن يدفع أكثر، فلعبوا دوراً قيادياً في احتلال الحواضر الدكالية، وفي نشر نفوذ الاستعمار البرتغالي داخل دكالة⁽¹⁾، وفي استعمار أزموور، التي ساعد في احتلالها أيضاً المغاربة الذي كانوا يتجسسون لصالح البرتغاليين⁽²⁾. وكذلك اليهود الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب الأقصى. فقد حدث عند احتلال هذه المدينة أن قام يهودي يدعى يعقوب أديف من يهود إسبانيا، بالتجسس لصالح البرتغاليين ومساعدتهم في احتلال هذه المدينة، مقابل تأمين قومه وحماية أملاكهم⁽³⁾، ففتح لهم أبواب المدينة على حين غفلة من أهلها⁽⁴⁾.

وعندما أقدمت القوى الوطنية على اغتيال نبيل برتغالي، كان قد جاء لتعزيز سلطة على بن وثمان «العميل»، أخبره أحد اليهود - قيل الحاخام إبراهيم بن زاميرو - بالمؤامرة قبل تنفيذها⁽⁵⁾.

كما باع اليهود خدماتهم لمن يدفع لهم، كما حدث من طبيب يهودي بمدينة أيت عتاب، وشى لمحمد الوطاسي في حق زعيم المدينة، فقتله واستسلمت المدينة لملك فاس⁽⁶⁾.

(1) - بوشارب أحمد: نفس المرجع ص 324 .

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر: ج 2 ، ص 88 .

(3) - مارمول كربخال: نفس المصدر: ج 2 ، ص 92 .

(4) - عبد الكريم كريم: نفس المرجع، ص 42 .

(5) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص 327 .

(6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 120 .

وكان تجسس اليهود لصالح البرتغال على أمل تنحية العملاء من المغاربة المسلمين مثل يحيى، عن حكم المدن التي يسيطر عليها البرتغاليون، أو اعتلاء أي سلطة فيها وتولية اليهود بدلاً منهم، ذ. وقام اليهود بهذا الدور على أكمل وجه داخل المدن وخارجها. فاشتكى يحيى عدة مرات كثيرة إلى حاكم البرتغال من تأمر اليهود وتلفيقهم للأكاذيب والتهم ضده⁽¹⁾.

وكان اليهود يحاولون تحقيق أغراضهم بعدة طرق، مثل العنف أو بذل الأموال الطائلة للحكام والسلاطين⁽²⁾، أو إظهار الإسلام حتى يستردوا مراكزهم الأدبية في المجتمع وليستريحوا من ذلك العناء⁽³⁾. ولعل هذا هو ما جعل المسلمين لا يعترفون بمن دخل الإسلام من اليهود كمسلمين فأطلقوا عليهم لفظ البلديين⁽⁴⁾ أو الإسلاميين⁽⁵⁾ أو «المهاجرين»⁽⁶⁾. ويرجع ذلك إلى أن تلك الفئة كانت بعيدة عن الإسلام في سلوكها، وظل بعضهم على ولائهم لدينهم القديم⁽⁷⁾.

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 161، مارمول كريبخال: نفس المصدر، ج 2 ص 83.

(2) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 57.

(3) - سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية القاهرة 1965، ص 46.

(4) - البلديون: أي اليهود الذين أسلموا بعد دخول الإسلام المغرب، حاييم: نفس المرجع، ص 123.

(5) - الإسلاميون: أي اليهود الذين أسلموا في العصر المريني، إبراهيم حركات: أوضاع المغرب ص 88.

(6) - المهاجرون: أي اليهود القادمين من الأندلس ودخلوا الإسلام.

(7) - هوبكنز: نفس المرجع، ص 123، الهادي روجيه إدريس: نفس المرجع، ج 2 ص 384.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية ليهود المغرب الأقصى

- 1 - التواجد اليهودي في أقاليم المغرب الأقصى.
- 2 - الأحياء السكنية لليهود بالمغرب الأقصى.
- 3 - الطوائف اليهودية:
 آ - ربانيون
 ب - قراؤون.
- 4 - النظام الداخلي للمؤسسة الدينية لدى اليهود.
- 5 - (الصديقيون) اليهود.
- 6 - ملابس اليهود.
- 7 - نظام الأسرة:
 آ - الزواج
 ب - الطلاق

8 - أعياد اليهود في بلاد المغرب الأقصى.

1 - أعياد الحج الثلاثة عند اليهود.

أ - عيد الفصح.

ب - عيد الأسابيع أو عيد الحصاد (شفعوت).

ج - عيد سكوت الخيام أو عيد الظلل.

2 - السبت:

الاحتفال الصوفي بيوم السبت

3 - عيد رأس السنة اليهودية (روش هاشانا).

4 - عيد يوم الغفران (يوم كيور).

5 - عيد التدشين (الحانوكه).

6 - عيد النصيب (البوريم).

7 - عيد الأشجار الجديدة (طاوبشباط).

9 - بعض العادات الاجتماعية لدى يهود المغرب الأقصى.

(أ) شرب وتجارة الدخان (التبغ) والحشيش

(ب) الخمر

(ج) الزنا

(1) - التواجد اليهودي في أقاليم المغرب الأقصى:

عاش اليهود في قرى ومدن المغرب وانتشروا فيها، حتى إن بعضاً من المدن المغربية نسبت إليهم، نظراً لكثرة ما بها من اليهود، «كفاس اليهود»⁽¹⁾ التي ذكر عنها كلينار نيكولا في إحدى رسائله المؤرخة في 1541/4/9م⁽²⁾. وهو أحد الباريسيين النصارى الذين وفدوا إلى فاس لدراسة الإسلام واللغة العربية وشراء بعض الكتب المتعلقة بالموضوعين⁽³⁾. فقال إن هذه المدينة كان بها أربعة آلاف يهودي في ذلك الوقت⁽⁴⁾.

ويروي مارمول كربخال وهو أحد الأسرى النصارى بالمغرب عام 1517م: أن عدد اليهود في فاس بلغ عشرة آلاف يهودي⁽⁵⁾. ولاشك أن هذا الرقم مبالغ فيه لأن مارمول هذا - كما ذكرنا - كان أسيراً عند السعديين، ولكن أسره يجعلنا نشك في تقديره لعدد اليهود في ذلك الوقت.

وعاش أكثر يهود المغرب الأقصى متمركزين في الأقاليم الجنوبية في القرى وعلى قمم الجبال، بينما استقرت الأقلية منهم في المدن الكبرى، وأقام معهم من وفدوا إلى المغرب الأقصى من الأندلس.

وسوف نتبع هذا التواجد في كل إقليم من هذه الأقاليم، لنرى مدى تواجد اليهود على النحو التالي:

-
- (1) - ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج4 ص230 .
 - (2) - محمد محمود: مدينة فاس من خلال رسائل كلينار نيكولا في القرن السادس عشر، مجلة البحث العلمي العدد 32 الرباط 1981 ، ص291 - 295 .
 - (3) - المرجع السابق، ص294 .
 - (4) - المرجع السابق، ص291 .
 - (5) مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص 156 .

وظلوا في نفس المكان إلى بداية القرن العشرين⁽¹⁾. ولم يذكر الرحالة الحسن الوزان عن هؤلاء اليهود المتواجدين في مراكش شيئاً، إلا أن عددهم بلغ في عهد المنصور السعدي في عام 986هـ/ 1578 ستة آلاف يهودي⁽²⁾. ومن مدن الاقليم أغمات⁽³⁾، التي ذكر الرحالة والجغرافيون أن اليهود كانوا يسكنون بها. وذلك لأن الأمير علي بن يوسف أمر في عام 500هـ/ 1106م ألا يدخل اليهود مراكش إلا نهاراً، فإن دخل الليل خرجوا منها، وإذا عثر على يهودي استباح ماله ودمه⁽⁴⁾. فكان اليهود يتجهون إلى اغمات نظراً لقربها من مراكش التي تبعد عنها بمسافة 38.5 كم. وفي عهد بني مرين عاد يهود مراكش إليها بعد أن دمر المرينيون مدينة اغمات⁽⁵⁾.

وفي مدينة شيشاوة⁽⁶⁾، يسكن صانعوا الأقفال والبنائون من اليهود⁽⁷⁾.

-
- (1) - محمد رزوق: الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 - 17م، افريقيا الشرق، المغرب 1991 . هامش ص 166 .
- (2) - محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، العراق 1982 ص 608 .
- (3) - أغمات: هي مدينتان إحداهما تسمى اغمات والأخرى اغمات ايلان، وبينهما حوالي ثمانية أميال. وفي اغمات وريكة بسكن الأعيان وينزل بها التجار للانطلاق منها إلى بلاد السودان الغربي، ويمر باغمات نهر، فتكثر بها زراعة البساتين والفاكهة، وأهل اغمات من قبيلة هواره. انظر، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 153 ، 154 ، ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي القاهرة بدون تاريخ. ص 90 ، ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج 1 ص 225 ، الادريسي: نفس المصدر، ج 1 ص 231 . 232 ، الحميري: نفس المصدر، ص 46 .
- (4) - الادريسي: نفس المصدر، ج 1 ص 235 ، أبو الفدا: تقويم البلدان، مكتبة المثنى بغداد ومؤسسة الخالجي مصر بدون تاريخ، ص 124 ، الحميري: نفس المصدر، ص 46 ، 47 .
- (5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 149 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 61 .
- (6) - شيشاوة: عبارة عن جبل ويقطنه السكان وهم شرسون للغاية وفي حالة حرب مستمرة مع جيرانهم، وأسلحتهم الحجارة التي يقذفونها بالمقلاع. ويهود هذه البلدة مختلطون بسكانها. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 152 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 65 .
- (7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 152 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 65 .

اقليم فاس:

يبدأ اقليم فاس من غرب نهر أبي الرقراق، ويمتد شرقاً حتى نهر إيناون، وينتهي شمالاً عند نهر سبو، وينتهي جنوباً عند أقدام جبال الأطلس الكبرى. وهذه المنطقة غنية بالقمح والمراعي والماشية⁽¹⁾. وسلا⁽²⁾ الميناء الرئيسي لهذا الإقليم، ويقصده النصارى من كافة الجنسيات، ولهم مستودعات فيه⁽³⁾. وفاس كبرى المدن التي يقطنها اليهود في هذا الاقليم، وأطلق عليها فاس اليهود لكونها أكثر بلاد المغرب يهوداً⁽⁴⁾. وهؤلاء اليهود كانوا «يشغلون شارعاً طويلاً جداً وعريضاً للغاية». وقد تكاثر عددهم حتى إنه لم يعد في الإمكان معرفة هذا العدد⁽⁵⁾.

اقليم الحوز:

يمتد من نهر زاع شرقاً حتى نهاية نهر تيجريفه غرباً⁽⁶⁾. وبهذا الاقليم مدينتان يقطنهما اليهود. أولها دبدو⁽⁷⁾، وفد عليها أجانب ولاسيما اليهود الذين

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 212، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 134

(2) - سلا: هي مدينة قديمة أزلية وكان يطلق عليها شالة ومعروفة الآن بسلا الحديثة التي عمرها أحد ملوك بني عبد المؤمن، وبينها وبين مراكش تسع مراحل، وتقع على ضفة البحر المحيط، وهي منيعة من جانب البحر، ولها أسواق وبها كروم وغلات وبساتين ومينائها يرد عليه التجار من الأندلس وإشبيلية وسائر البلاد. انظر، الادريسي: نفس المصدر، ج 1 ص 238، 239، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 135، 222.

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 213، 214، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 135.

(4) - ياقوت الحموي: نفس المصدر، ج 4 ص 230.

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 284.

(6) - المصدر السابق، ص 351، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 268.

(7) - دبدو: مدينة كبيرة على صخور جبل شاهق وعلى بعد عشرين فرسخاً من ميناء مليلة في اتجاه الجنوب. وأسسها أحد أمراء بني مرين، وتنحدر إليها من الجبل عدة جداول وتوجد عدة بساتين وبعض الزراعات على هذه الجداول. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 354، مارمول كربخال: نفس المصدر ج 2 ص 19.

طردوا من الأندلس⁽¹⁾، وثانيها مدينة تازا⁽²⁾. ويقدر الحسن الوزان عدد بيوت اليهود بها بخمسمائة بيت. وكانوا يشتغلون بصناعة أجود أنواع الخمور⁽³⁾.

إقليم الريف:

يتبدئ هذا الإقليم عند منطقة تطوان⁽⁴⁾ غرباً. ويمتد شرقاً حتى نهر نكور. وشمالاً حتى البحر المتوسط. ويمتد في اتجاه الجنوب حتى الجبال التي تحاذي نهر الورغة⁽⁵⁾. وبهذا الإقليم عدة مدن يقطنها اليهود. أولها باديس⁽⁶⁾، حيث يوجد فيها شارع طويل يسكنه اليهود وتباع فيه الخمور⁽⁷⁾. وثانيهما شفشاون⁽⁸⁾ حيث

(1) - محمد الكراسي: عروسة المسائل فيما لبني وطاس من فضائل، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1963، هامش ص 270.

(2) - تازا: مدينة تقع على بعد ثمانين ميلاً عن فاس ومائتين وخمسين ميلاً من المحيط وبها قصور الأمراء من بني مرين وبها أسواق وتعد من أكبر المدن بالإقليم، ومن عادة ملوك بني مرين إعطاؤهم هذه المدينة لثاني أبنائهم. انظر، الحميري: نفس المصدر، ص 128، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 358.

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 358، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 273

(4) - تطوان: مدينة صغيرة بناها قدامى الأفارقة على مسافة سبعة فراسخ من سبتة في اتجاه الشرق، في المكان المسمى مصب تطوان، وتبعد فرسخاً واحداً عن شاطئ البحر وستة أميال عن المحيط وكان العرب يجهزون منها السفن لغزو الشواطئ المسيحية. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 320، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 222.

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 326، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 229.

(6) - باديس: مدينة قديمة ومنها تفرق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وطرابلس وجميع البلاد، وهي مدينة متحضرة فيها أسواق ومزارع جليلة. انظر: الإدريسي: نفس المصدر، ج2، ص 532، الحميري: نفس المصدر، ص 75.

(7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 328، ولكن مارمول كربخال يقول إن اليهود كانوا بها قديماً وليسوا معاصرين، انظر: مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 231.

(8) - شفشاون: يطلق هذا الاسم على جبل شفشاون، وهو من أكثر جبال المغرب نخضة، ويوجد مدينة تحمل نفس الاسم، وسكانها تجار وصناع، وبنيت بأرضها القمح ←

هاجر اليهود إليها من الأندلس مع طوائف المسلمين⁽¹⁾. وثالثهما بني زروال⁽²⁾ أو بني زروال، حيث يوجد في هذه المدينة أكثر من مائة دار للتجار والصناع اليهود⁽³⁾. والرحالة الحسن الوزان لم يشر إليهم بينما أشار إلى صناعتهم وهي الخمور⁽⁴⁾. وفي هذا يظهر دور اليهود في استغلال الحروب القبلية بين البدو، فلعبوا دور الوسيط بينهم من خلال الأسواق التي كان يقصدها جميع السكان.

إقليم كرت⁽⁵⁾

يبدأ من نهر ميلولو غرباً. وينتهي عند نهر ملوية شرقاً. وينتهي جنوباً عند جبال واقعة على تخوم بعض صحارى نوميديا. ويحاذي البحر المتوسط من الشمال ابتداء من نهر نكور حتى ملوية. ويمتد جنوباً من نهر ميلولو حتى جوار جبال الحوز في اتجاه الغرب. وهذه المنطقة قاسية وشديدة الجفاف وتشبه صحارى نوميديا تقريباً⁽⁶⁾.

ومن مدن هذا الاقليم مدينة غساسة⁽⁷⁾، التي ترد عليها سفن مدينة

← والكتان وبها غابات. ورجالها محاربون مهرة. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 335، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 249.

(1) - نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع ص 242.
(2) - بني زروال: مجموعة من الجبال تضم أكثر من مئة وعشرين قرية وتضم كل قرية حوالي مئتي أسرة وأهل بني زروال شجعان ويقام بها سوق يقصده جميع الجبلين من البربر، وتشتهر بزراعة الكتان وصناعته ومزارع الكروم والسفرجل والليمون الذي يحمل إلى مدينة فاس. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 340، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 254.

(3) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 254.

(4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 339.

(5) - تكتب غارت. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 343، تكتب كارت انظر، مارمول كربخال: نفس المصدر ج 2 ص 257.

(6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 343، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 257.

(7) - غساسة: تقع بعيد عن البحر بأقل من فرسخ وتبعد عن مليلة بعشرين ميلاً ولها ميناء يقصده التجار البنادقة، والتجارة معهم تدر أرباحاً كثيرة، لكن استولى عليها ←

البندقية، وتعقد بها الصفقات بين البنادقة القادمين عليها وبين تجار مدينة فاس⁽¹⁾. على الرغم من أن الحسن الوزان ومارمول كربخال لم يذكرا أي تواجد يهودي في هذه المدينة في ذلك الوقت، إلا أننا نجد أن مدينة أخرى هي مدينة نكور كان بها أربعة أبواب أحدها يسمى باب اليهود⁽²⁾. مما يدل على وجود بعض اليهود بها.

إقليم تادلا:

يبدأ من نهر العبيد غرباً. وينتهي من جهة الشرق عند نهر أم الربيع. ويحتل في الجنوب جبال الأطلس الكبير. بينما يكوّن في اتجاه الشمال رأساً يلتقي فيه هذان النهران على شكل مثلث. وهذا الإقليم يكثر فيه القمح وقطعان الماشية⁽³⁾، ورغم صغر مساحة هذا الإقليم، إلا أننا نلاحظ كثرة التواجد اليهودي في بعض مدنه مثل مدينة تغزة⁽⁴⁾، ففيها قرابة مائتي بيت لليهود ويقصدهم التجار المسيحيون⁽⁵⁾. وإذا قُدّر أن كل بيت يضم أربع أو خمس

← الاسبان أثناء انشغال ملك فاس بمشكلاته الداخلية. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص345 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص262 ، 263 .

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص345 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج263 ص2.

(2) - الحميري: نفس المصدر ص576 ، 577 ، المؤتمر الثالث بجامعة الدول العربية، ص207 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص183 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص116.

(4) - تغزة: مدينة شيدها الأفارقة فوق سطح جبل الأطلس الكبير على ارتفاع خمسة أميال من السهل، وسكانها أغنياء ويجيدون صناعة عباءات سوداء تسمى البرانس، وصناعات أخرى. وهذه المدينة محاطة بأسوار متينة مزودة ببروج، وأهلها أشداء في الحروب، وكثيراً ما يقتلون، واليهود المقيمين بها يقصدهم التجار بالخصوص. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص183 ، 184 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص116 ، 117 .

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص184 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص117.

أسر⁽¹⁾، لأصبح عدد اليهود كبيراً. ومثل مدينة أفزا⁽²⁾ وهي مدينة مأهولة باليهود⁽³⁾، حيث يوجد بها أزيد من مائة دار لهم بجانب المغاربة الكثيرين⁽⁴⁾. وهذه المدينة أصابها الخراب لكثرة الحروب الدائرة على أرضها، ولم يستقر الأمن بها إلا في عهد الأشراف السعديين⁽⁵⁾. وفي مدينة أيت عتاب يوجد يهود، ولهم دور. وفي موت زعيم هذه المدينة الذي لم تذكر المصادر اسمه مسموماً بوشاية من ملك فاس محمد الوطاسي (863 - 875هـ / 1458 - 1470م)⁽⁶⁾، وكان اليهود بهذه المدينة يشتغلون بصناعة الصوف والرعي⁽⁷⁾.

إقليم هسكورة:

يتدئ هذا الإقليم شمالاً عند الجبل الأخضر على حدود دكالة، حيث ينتهي جنوباً عند نهر تانسفت، ويمتد غرباً قرب نهر أنماي، ويصل شرقاً إلى وادي العبيد الذي يفصله عن إقليم تادلة ثم إلى وادي أم الربيع. وفي جنوبه بعض من جبال الأطلس الكبير. وهو مليء بالكروم وشجر الزيتون والقمح والماشية الكبيرة والصغيرة⁽⁸⁾. ونجد عند الرحالة مارمول رصداً للتواجد اليهودي بهذا الإقليم، بينما لم يرد ذكره عند الرحالة الحسن الوزان. فقد ذكر مارمول أنه في ضواحي المدينة يقطن عدد من اليهود⁽⁹⁾. وفي تكوداست يهود يتمتعون

-
- (1) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص156 .
 - (2) - أفزا: مدينة صغيرة على مسافة ميلين من تغزة، قامت فوق تل عند أسفل جبال الأطلس الكبير، وبها صناعات كثيرة مثل صناعة البرانس وحجاب المرأة المسلمة، وسكانها أغنياء، انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص190 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص118 ، 119 .
 - (3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص190 .
 - (4) - مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص119 .
 - (5) - المصدر السابق، ج2 ص120 .
 - (6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص191 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص120 .
 - (7) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص120 .
 - (8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص171 . مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص106.
 - (9) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص107 .

بحرية الاعتقاد⁽¹⁾. وسكان هذه المدينة يحبون الأجانب مثل مدينة أبزو. وبذلك يقطن هذا الإقليم عدد كبير من اليهود والتجار الأجانب، ويقوم اليهود باستضافتهم لمصلحتهم التجارية.

إقليم دكالة:

يبدأ هذا الإقليم من جهة الغرب عند نهر تانسفت على حدود حاجا. ويمتد نحو الشمال حتى المحيط، وإقليم مراکش في جنوبه، ونهر أم الربيع في شرقه فاصلاً إياه عن إقليم تامسنا⁽²⁾. ويغلب على هذا الإقليم الأنشطة الزراعية⁽³⁾. وقد نزحت إليه أعداد كبيرة من اليهود من الأندلس واستقرت في موانئه⁽⁴⁾. ومع مجيء اليهود تغير نشاط الإقليم وأصبح نشاطه ينحصر في جمع المواد الخام لصالح التجار النصارى الراسين على الساحل⁽⁵⁾. فنجد يهوداً في آسفي وهو ميناء على المحيط فيه قرابة مائة بيت لليهود⁽⁶⁾. وهذا الميناء يرد عليه إسبان وبرتغاليون. وكان اليهود الساكنون في هذا الميناء يعملون لصالح البرتغاليين⁽⁷⁾. وأكبر تجمع يهودي في هذا الإقليم يوجد في أزمو، حيث نجد بها أربعمئة أسرة من اليهود⁽⁸⁾، إلى جانب مابها من نصارى قادمين مع

(1) - المصدر السابق، ج2 ص110 .

(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص157 . مارمول كريخال: نفس المصدر ج2 ص70 .

(3) - بوشارب أحمد: التجربة الاستعمارية بدكالة ودور بعض الفئات الاجتماعية في إرساء قواعدها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس فاس عدد 1 المغرب 1978 ، ص324 .

(4) - المرجع السابق ص325 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص47 .

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص157 ، مارمول كريخال: نفس المصدر ج2 ص71 ، الحميري: نفس المصدر، ص57 .

(6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص158 .

(7) - مارمول كريخال: نفس المصدر ج2 ص76 .

(8) - المصدر السابق، ج2 ص87 .

الاستعمار البرتغالي. ومدينة المائة بير⁽¹⁾، يعيش بها عدد من اليهود الفقراء⁽²⁾. وبين إقليم هسكورة وإقليم دكالة كانت أرض فازار التي كان أكثر سكانها من اليهود⁽³⁾، وكان نشاطهم ينحصر في جمع الشمل والمحاصيل.

إقليم مراكش:

يمتد هذا الإقليم من الغرب إلى الشرق، من جبل نفيس إلى جبل أنماي، وينحدر نحو الشمال عند نهر تانسفت، ويكثر بهذا الإقليم القمح والبقول والشعير والدخن وجميع أنواع الفواكه والخضر والبساتين والتمر والعنب والتين والتفاح⁽⁴⁾. ومن مدينة الجمعة الجديدة⁽⁵⁾، التي كان بها حي لليهود بجوار أحياء المغاربة⁽⁶⁾. ومدينة مراكش التي كان يوجد بها حي خاص باليهود ويضم أكثر من ثلاثة آلاف منزل. ونقل هذا الحي إلى القرب من باب أغمات وقد بنوا داخل هذا الحي دياراً وبيعاً ومعابداً⁽⁷⁾. وقيل إن عبد الله الغالب عين في عام 965هـ/ 1557م لليهود المطرودين من الأندلس مكاناً خاصاً لهم بمراكش،

(1) - المئة بير: مدينة مقامة فوق تل، وخارجها عدة مخازن للغلال ويمكن تخزين الغلال بها لمدة مئة سنة دون أن يصيبها أي عطب، ويسبب العديد من الصوامع التي تشبه الآبار دعيت هذه المدينة بمئة بير. وأهل دكالة هم الذين يخزنون القمح بها، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 163، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 100.

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 100.

(3) - الحميري: نفس المصدر، ص 435.

(4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 133، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 41.

(5) - مدينة الجمعة الجديدة: هي حصن مشيد على جبل شاهق الارتفاع أسسها الهنتانيون. وينبع من تحت هذا الحصن نهر اسيف اينوال، وهذه المدينة حديثة البناء وبها كثير من الصناع لقربها من مراكش التي تبعد عنها 80 كيلومتر، وتشتهر بزراعة الشعير والعنب، ومعظم سكان المدينة متحضرون. انظر، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 135، 136، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 44، 45.

(6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 44.

(7) - المصدر السابق، ج 2 ص 55.

كذلك في جبل هنتاته⁽¹⁾، يوجد عدد كثير من اليهود الصناع، وهؤلاء من طائفة القرائين⁽²⁾.

إقليم حاحا:

يحده من الغرب والشمال المحيط، ومن الجنوب جبال أطلس الكبير المتاخمة لإقليم السوس، ومن الشرق نهر أسيف المال الذي يفصله عن إقليم مراكش. وينمو فيه الشعير، ويكثر فيه عسل النحل والشمع والماعز. وفي هذا الإقليم عدة أماكن يسكنها اليهود، منها مدينة تدنست⁽³⁾ التي كان بها أكثر من مائتي دار لليهود في حي منعزل يعيشون فيه وفق شريعتهم⁽⁴⁾، ويرد إليهم التجار النصارى لشراء الشمع والجلود⁽⁵⁾.

(1) - جبل هنتانة: أعلى جبال الأطلس الكبير، وسكانه بربر من فرع هنتانة المنتمين لقبيلة مصمودة، وهم أثرياء ومحبون للحرب، وتظل قمة الجبل مكسوة بالثلج على الدوام، ويطلق عليه طبقال أي الأقرع باللغة البربرية. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 154 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 67 .

(2) - القراؤون: هم طوائف اليهود المغاربة انظر الرسالة ص 55 ، وهم لا يعترفون إلا بالتوراة وهي المصدر الوحيد للشريعة والتوراة المرجع الأول والأخير لكل عقيدة أو قانون. انظر حسن ظاظا: الفكر الديني، ص 247 ، على عبد الواحد وافي: اليهود واليهودية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة بدون تاريخ، ص 103 ، محمد جلا لإدريسي: التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي القاهرة 1993 ، ص 31 ، عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة المصطلحات الصهيونية رؤية نقدية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام القاهرة 1975 ، ص 293 .

(3) - تدنست: مدينة قديمة بناها الأفارقة من قبيلة مصمودة وتحاط المدينة بسور من الطوب اللبن، ومعظم سكانها رعاة، وأهلها يكرمون الغرباء باستضافتهم في منازلهم لعدم وجود فنادق بها، وخضعت مدة لاحتلال البرتغال ثم رجعت بعد هزيمتهم على يد الأشراف السعديين. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 110 ، 111 مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 9 ، 10 .

(4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 11 ، ويذكر أن عدد بيوتهم مئة بيت، مارمول كربخال: نفس المصدر، ص 10 .

(5) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 10 .

ويعيش بعض اليهود في مدينة تكوليت⁽¹⁾، وبها حي خاص بهم يضم حوالي مائتي دار وبيعة، وهم أغنياء⁽²⁾. وفي مدينة أديكيس⁽³⁾ أيضاً حي لليهود يشتمل على أكثر من مائة وخمسين داراً⁽⁴⁾. كذلك مدينة تيوت⁽⁵⁾ التي يعيش بين أهلها ثلاثون عائلة من الصنائع اليهود، الذين يتمتعون بكامل الحرية الدينية⁽⁶⁾، وفي آيت داود يوجد حي خاص باليهود⁽⁷⁾. وعلى قمة جبل دمنسرة⁽⁸⁾، يقطن أعداد من اليهود وهم قراؤون⁽⁹⁾. كما نلاحظ وجود أعداد من النصراني البرتغال والإسبان يتاجرون مع أهل هذا الاقليم.

إقليم السوس:

يُحدّ هذا الإقليم البحر المحيط غرباً وجبال أطلس شمالاً. حيث يتصل

- (1) - مدينة تكوليت: تقع على سفح جبل أسسها رجال من قبيلة مصمودة، ويمر بالقرب منها نهر تزرع على ضفتيه البساتين والفواكه والكروم وأهلها كرماء، وخربت بسبب الاحتلال البرتغالي، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 112، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 15.
- (2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 15.
- (3) - أديكيس: مدينة صغيرة تقع على السهل وحولها سور ويمر بوسطها نهر صغير تزرع على ضفتيه البساتين والفواكه، ويقام بالمدينة سوق يدوم خمسة عشرة يوماً يقصده جميع سكان الضواحي. وسقطت هذه المدينة في يد البرتغال عنوة عام 920هـ/1514م انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 113، 114، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 16.
- (4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 113. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 16.
- (5) - تيوت: مدينة صغيرة في السهل وتقع بين الجبال، وأهلها فلاحون يزرعون الشعير، وأرض تيوت بها البساتين والفاكهة. انظر: الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 115.
- (6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 18.
- (7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 117. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 20.
- (8) - جبل دمنسرة: يكون جزءاً من جبال الأطلس، وأهل هذا الجبل شرسون، وتوجد زراعة أرض هذا الجبل بالشعير والدخن. ويطلق عليه تانزيرا ويستخرجون منه الحديد والنحاس، ويتاجرون بهما في مراکش. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 122، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 25، 26.
- (9) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 123. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 26.

بإقليم حاحا ورمال نوميديا جنوباً ونهر السوس الكبير الذي يفصله عن إقليم جازولة شرقاً. ويكثر فيه القمح والماشية ومطاحن السكر⁽¹⁾، وبه عدد من المدن منها ماسه⁽²⁾. التي يوجد بها عدد من اليهود، ودليل ذلك (الشيخ اليهودي الذي فسر ظاهرة موت الحيتان وظهورها ميتة على الشاطئ، فقال: إن السبب في ذلك يرجع إلى وجود صخور حادة، وأثناء هيجان البحر يرتطمون بهذه الصخور فيموتون على أثر هذا الارتطام فيلقيهم البحر على الشاطئ)⁽³⁾.

وفي مدينة تبيوت أو تشييت⁽⁴⁾، مايزيد على مائتي تاجر وصانع يهودي⁽⁵⁾. ويجوب هذا الإقليم التجار المسيحيون البرتغاليون، وهؤلاء كانوا يقيمون عند اليهود. وفي مدينة تيدسي⁽⁶⁾، حيّ كبير للتجار والصناع اليهود الأثرياء⁽⁷⁾ وفي تكاوست⁽⁸⁾ أكثر من ثمانية آلاف منزل، منها مايزيد ثلاثمائة منزل لليهود⁽⁹⁾.

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 124. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 27.
(2) - ماسه: مدينة كبرى تتألف من ثلاث مدن تبعد الواحدة عن الأخرى حوالي ميل، وقد بناها الأفارقة على ساحل البحر المحيط، وهذه المدن الثلاثة محاطة بسور من الطوب اللبن ويمر نهر السوس من بينها، ولذلك تكثر الزراعة على ضفتيه كما تكثر البساتين. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 125.

(3) - المصدر السابق، ص 126 مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 29.
(4) - تبيوت أو تشييت: مدينة في إقليم السوس خلاف تبيوت الموجودة في إقليم حاحا. وهي مدينة قديمة بناها الأفارقة في سهل فسيح ومقسمة إلى ثلاث مدن ويمر بقربها نهر السوس مما جعل أرضها خصبة ويزرع بها القمح والشعير وقصب السكر، وتقام المطاحن على النهر، ولذلك يقصدها التجار من جميع الجهات، وأهلها أغنياء. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 127، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 29.

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 129. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 30.
(6) - تيدسي: مدينة قديمة بناها الأفارقة وتبعد عن جبال الأطلس الكبير سبعة فراسخ نحو الجنوب، وأرضها خصبة، وتشتهر بزراعة قصب السكر والنيلة، ويوجد بها تجار يزاولون نشاطهم مع بلاد السودان الغربي، وأهلها متحضرون. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 130، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2، ص 37.

(7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 131. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 38.
(8) - تكاوست: مدينة يطلق عليها الحسن الوزان تاغاوست وهي مدينة كبيرة وقيل ←

إقليم درعة:

يبدأ هذا الاقليم من جبال أطلس، ويمتد جنوباً على مسافة مائتين وخمسين ميلاً، وأهم موارده التمر⁽¹⁾. ومن أهم مدن الإقليم ترغالة⁽²⁾، وهذه المدينة بها حي يقطنه أربعمائة أسرة يهودية⁽³⁾. وفي قصر بني صبيح⁽⁴⁾ بدرعة، أعداد من اليهود⁽⁵⁾.

إقليم سجلماسة:

يحتل هذا الاقليم حدود بلاد المغرب الأقصى الجنوبية التي تطل على الصحراء الكبرى ومنها إلى بلاد السودان. وفي مدينة سجلماسة بعض اليهود⁽⁶⁾. وكذلك في مدينة تابوعسمت⁽⁷⁾ عدد كبير من اليهود⁽⁸⁾. ومدينة مأمون⁽⁹⁾ مأهولة باليهود إلى جانب السكان المسلمين⁽¹⁰⁾.

← إن أهل سوس هم المؤسسون لها، وأهلها مقسمون إلى أحزاب والحرب دائرة بينهم، ومع ذلك فإن أهلها صناع مهرة، ويقام بها سوق مرتين في الأسبوع. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 131 ، 132 . مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 38 .

← (9) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 38 .

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 490 ، 491 . مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 144 ، 145 .

(2) - ترغالة: مدينة تقع بالقرب من نهر درعة وعلى الطريق القادم من تغازة ببلاد السودان الغربي، وأرض ترغالة خصبة، وتنتج الكثير من القمح، وبها المراعي للماشية، وأهلها أغنياء لتجارتهم مع بلاد السودان الغربي ومرور التجارة بأرضهم. انظر مارمول كربخال: نفس المصدر، ج3 ص 149 ، 150 .

(3) - المصدر السابق، ج3 ص 149 .

(4) - قصر بني صبيح: بلدة حولها سور كانت تنقسم إلى قسمين يحكمهما زعيمان مختلفان متحاريان بسبب قلة المياه في الصيف. أما في الشتاء تكون المياه شديدة الجريان فتتلف الزرع. وأهل البلدة رجال بواسل كرماء. لدرجة استضافة أي تاجر لمدة عام بدون مقابل. انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 492 .

(5) - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968 ، ص 34 .

(6) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 148 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج3 ص 152 .

(7) - تابوعسمت: من أكبر مدن الاقليم وتبعد عن سجلماسة بـ 50 كم، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 497 .

←

إقليم طاطا:

وهو إقليم لا يعد من أقاليم المغرب الأقصى، ولكن سيطر عليه بنو مرين⁽¹⁾. ويسمى هذا الإقليم باسم أهم مدينة فيه وهي طاطا، ويقع جنوب إقليم سجلماسة، وتكاد مساحته تعادل مساحة إقليم درعة⁽²⁾. وهذا الإقليم يمتد جزء كبير منه في الصحراء الكبرى حتى حدود بلاد السودان الغربي. ومن أشهر مدن هذا الإقليم مدينة تيكورارين (توات)، وبها أعداد من اليهود نزحوا من الأندلس⁽³⁾. وهم واسعوا الشراء نظراً لوقوع مواطنهم على مفترق الطريق بين تلمسان وسجلماسة، ثم إلى بلاد السودان الغربي⁽⁴⁾.

وبذلك نجد أن أغلبية الأقاليم المغربية يسكن بها عدد يقل أو أكثر من اليهود عكس ما قاله أحد المؤرخين. وقد عرف هؤلاء اليهود الترحال من مكان إلى آخر مثلما فعل يهود أغمات، وهذا راجع إلى التشابه الكبير بينهم وبين حياة البدو التي مارسها سكان المغرب الأقصى، خاصة سكان جبال الأطلس الذين كانوا قساة في معيشتهم، وطباعهم فشاركهم في هذه الصفات اليهود الذين تعايشوا معهم بحيث كان يصعب تمييزهم عنهم⁽⁵⁾. فكانوا يوجدون في معظم المجتمعات السكنية تقريباً بالمغرب، فمنهم من استقر بالمدن، ومن عايشوا سكان

← (8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 497، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 3 ص 152.

← (9) - مدينة مأمون: أو قصر مأمون هو حصن مأهول بالسكان يقع على الطريق إلى السودان الغربي. الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 497.

← (10) - المصدر السابق، ص 497، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 3 ص 152.

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 508.

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 3 ص 157.

(3) - المصدر السابق، ج 3 ص 163، ويطلق على تيكورارين اسم مدينة توات.

(4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 505.

(5) - صالح محمد: دولة بني وطاس وجورها السياسي والحضاري، رسالة دكتوراة غير منشورة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، ص 167.

الجبـال ومن استوطنوا الجهات الصحراوية⁽¹⁾. وبذلك أصبح اليهود المغاربة يشكلون لبنة هامة في البنية الاجتماعية المغربية، خاصة في الجنوب، وعلى امتداد فترة طويلة من التاريخ. وعلى الرغم من هذه الحقيقة التاريخية إلا أنه في عصر الموحدين وأيضاً في عصر المرينيين تقل الإشارات عن اليهود في الأرياف خاصة⁽²⁾. وأكد على ذلك مؤرخ معاصر، بأن قال لا يوجد لدينا ذمي⁽³⁾، لكن وجدت إشارات عن تواجدهم في المدن الكبرى فقط مثل مكناس وفاس⁽⁴⁾. ولكن في نهاية عصر بني مرين وفي عصر بني وطاس نجدهم يكثر. ولم يكن ظهورهم واضحاً فيما قبل عصر بني مرين، إما لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ويخفون في قلوبهم اليهودية ولذلك سمو بالإسلامية، وإما لخوفهم من اضطهاد المرابطين والموحدين فلم يظهروا أي نشاط فاعتبروا في حسابان العدم لدى المؤرخين.

أما تواجدهم بعد ذلك في المدن الكبرى في عصر بني مرين وبني وطاس فنجد دليلاً عليه، ويستفاد من الإشارات الكثيرة عن القرى وخاصة في الجنوب وعن المدن التي هاجر إليها أعداد كبيرة من يهود الأندلس، نظراً لتحسن أوضاعهم السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب الأقصى، فقد تحولوا من أهل ذمة أقلية مؤثرة في المجتمع، خاصة في التجارة والسفارة وذلك بالنسبة لمن استقر منهم في المدن الساحلية⁽⁵⁾. ولذلك شارك اليهود المغاربة مشاركة فعالة في الأحداث التي جرت في المغرب الأقصى زمن احتلال أزمور، وفي العمل كجواسيس أو مساعدين للمستعمر أو سفراء. وكان لهم نصيب أكبر في النشاط الاقتصادي والاجتماعي، باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من الكل المغربي،

(1) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب الأقصى قبل قيام السعديين، ص 88 .

(2) - عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق القاهرة 1983 ، ص 103 .

(3) - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص 303 .

(4) - عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص 104 .

(5) - Solomon. Grayzel. A history of Jews. America. 1948. P 728

يتأثرون بالأحداث الجارية فيه ويخضعون لنفس الظواهر الاجتماعية التي خضع لها المجتمع كله، والتي شكلت ملامح الحياة في تلك الفترة. وعلى الرغم من أن تأثيرهم كان محكوماً بالحقائق التي أفرزتها إعدادهم الضئيلة بالنسبة إلى باقي السكان، فإنهم مارسوا حياتهم اليومية بثتى جوانبها داخل إطار الحياة العامة للمجتمع المغربي كله آنذاك، ومن أماكن إقامتهم التي انتشروا فيها.

(2) - الأحياء السكنية لليهود بالمغرب الأقصى:

عندما قامت دولة بني مرين اتخذت في بادئ الأمر من فاس القديمة مقراً للحكم. ولما استقر حكمهم وكثر الوافدون عليهم رأى السلطان أبو يعقوب يوسف المريني أن يختط مدينة تسكنها حاشيته وأهل خدمته وأولياؤه وهي مدينة فاس الجديدة، وذلك في عام 674 هـ / 1275م⁽¹⁾ أو في عام 676 هـ / 1276م⁽²⁾. وكانت هذه المدينة تشمل ضمن ماتشمل منطقة أو حيّاً عرف باسم الملاح⁽³⁾، وكان هذا خاصاً بسكنى اليهود. ويعد السبب في

(1) - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص404 ، الزخيرة السينية، ص161 ، مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهل ذكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء 1979 ، ص29 . ابن خلدون: نفس المصدر، م7 جـ 14 ص401 ، أحمد القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (القسم الأول م. ص) دار المنصور للطباعة الوطنية الرباط 1973 ص51 ، اسماعيل بن الأحمر: روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1991 ، ص29 .

(2) - روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة، مكتبة لبنان بيروت 1967 ، ص46 .

(3) - الملاح: بتشديد اللام اسم مكان يطلق على الحي الذي يقيم به النصارى في فاس ومنذ القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي أي في نهاية العصر المريني أطلق اسم الملاح على أحياء اليهود في سائر المدن المغربية وكما هو معروف إلى اليوم. انظر ابن الخطيب: نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، تحقيق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة بدون تاريخ، هامش ص337 ، ليفي برونسفال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة عبد الهادي شعيرة، راجعه عبد الحميد العبادي، القاهرة 1951 ، ص100 .

تخصيص هذا الحي لسكنى اليهود وبنائه من أجلهم، إلى اعتداء أهل فاس القديمة عليهم نتيجة لقيامهم بأعمال أثارت حفيظة المسلمين في هذه المدينة⁽¹⁾. فأمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان يوم الأحد التاسع عشر من شعبان عام 726 هـ/1325م، ببناء حي خاص باليهود في مدينة فاس الجديدة التي بناها السلطان السابق أبو يعقوب يوسف⁽²⁾. ومع مرور الزمن أصبح هذا الحي ساحة كبير محاطة بدكاكين وبيع وديار حسنة البناء، يعيش اليهود فيها كأنهم منفصلون. وازداد عددهم على عشرة آلاف شخص، إذ كان كل منزل يضم أربع أو خمس أسر، معظمهم ممن طردوا من اسبانيا في عام 898 هـ/1492م في عهد الملك فرديناند وايزابيلا⁽³⁾. واستقبل المغاربة اليهود المطرودين بروح من التسامح⁽⁴⁾، فكثرت الأحياء اليهودية بالمغرب الأقصى في مدينة تازة⁽⁵⁾، ومدينة باديس⁽⁶⁾، وفي مدينة تفزة⁽⁷⁾، ومدينة أزمو⁽⁸⁾. وكان في مراكش حي خاص باليهود يقيم فيه أكثر من ثلاثة آلاف أسرة يهودية⁽⁹⁾. ووجدت أحياء لهم أيضاً في مدينة تكاوست⁽¹⁰⁾، ومدينة تدنست⁽¹¹⁾، وفي مدينة أديكيس⁽¹²⁾، وفي مدينة ترغالة⁽¹³⁾.

(1) - ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة الرباط 1972، ص 161، روض القرطاس ص 404، حيث يقول إنه قتل اثنتي عشر ألف يهودي وهذا الرقم مبالغ فيه.

(2) - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص 414، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 284 وبذلك يكون البناء اضطرارياً وليس بطلب منهم مثلما قال عبد الهادي التازي في بحثه النصوص الظاهرة، ص 106.

(3) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 156.

(4) - Jahn Edwards, The Jews in Christain Europe 1400 - 1700 London and Newyork. 1990. P. P. 26.

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 351.

(6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 31.

(7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 184. مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 117.

(8) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 87.

(9) - المصدر السابق، ج 2 ص 55.

(10) - المصدر السابق، ج 2 ص 38.

وهذه الأحياء على عكس الجيتو في أوروبا التي عاش اليهود فيها حياة غامضة ومتخفية، أثارت شكوك الأوربيين حولهم. وأذكت روح البغض والكراهية عند اليهود لغيرهم. ولما تطورت العزلة التي فرضها اليهودي على نفسه باختياره داخل الجيتو⁽¹⁾، تحول الجيتو من سجن اختياري إلى سجن إجباري⁽²⁾. وبذلك تكون الأحياء اليهودية ببلاد الإسلام عكس الجيتو في أوروبا، حيث كانت أحياء اليهود مفتوحة لهم ولغيرهم⁽³⁾. وعلى الرغم من ذلك كان اليهود يميلون إلى العزلة لظروف تاريخية مرت بهم. وشجعهم على ذلك تلمودهم الذي كان يدفعهم إلى العزلة والتقارب الشديد فيما بينهم والبعد عن الآخرين.

(3) - الطوائف اليهودية:

انقسم اليهود في المغرب الأقصى إلى طائفتين، الربانيون والقراؤون. وزعمت كل طائفة منهما أن المذهب الذي تعتنقه هو الأمثل والأكثر قرباً من أصول الديانة اليهودية. كما دار الخلاف بين الطائفتين أيضاً حول مدى الاعتراف بأسفار التوراة والتلمود أو انكار بعضهما. ونبدأ الحديث عن الربانيين نظراً لأنهم أقدم وأكثر عدداً في المغرب.

← (11) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 111 . قال إن عدد اليهود 100 بيت بينما قال مارمول كربخال إن عدد اليهود 200 دار لليهود، انظر: نفس المصدر، ج 2 ص 10 .

← (12) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 113 . مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 16 .

← (13) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 3 ص 139 .

(1) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 154 .

(2) - وليم فهمي: الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1974 ، ص 27 . آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي بيروت 1967 ، ج 1 ص 93 .

(3) - آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي بيروت 1967 ، ج 1 ص 93 .

أ - الربانيون:

يطلق عليهم «الرييون»⁽¹⁾ والربانيون وهم أشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عدداً في التاريخ القديم والحديث على السواء⁽²⁾. واسم هذه الطائفة مشتق من الربان، وهو الحبر، وهو أيضاً الحاخام. وكتاب الربانيين هو التلمود⁽³⁾، وفقهاؤهم وأحبارهم هم الذين ألفوا أسفار هذا التلمود⁽⁴⁾، وسمي هؤلاء الربانيون في القرون الستة الأولى بعد ميلاد السيد المسيح «التنامون»، أي معلموا الشريعة لأنهم كانوا وحدهم المتضلعين فيها⁽⁵⁾.

ويؤمن اليهود الربانيون بما جاء في التوراة المكونة من تسعة وثلاثون سफراً، وجملة اصحاحاتها تسعمائة وتسعة وعشرون إصحاحاً، إلى جانب المشناة⁽⁶⁾.

(1) - الربانيون: وهم أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، انظر السموأل بن يحيى المغربي، أفحام اليهود، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، الرياض 1407هـ، ص 174 .

(2) - قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987 ، ص 33 .

(3) - عبد المنعم الحفني: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة بيروت 1980 ، ص 107 .

(4) - التلمود: كلمة مشتقة من كلمة «لوميد» العبرية التي تعني دراسة، وهو كتاب جاسع مانع بشكل لا يكاد يدع للفرد اليهودي حرية الاختيار في أي وجه من وجوه النشاط في حياته العامة والخاصة. وبدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحي. وقيل في القرن الخامس وقيل في القرن الثاني عشر، ويوجد تلمودان بابلي وآخر أورشليمي وكلاهما مكون من المشناة والجمارة، ووجه الاختلاف إن الجمارة في التلمود البابلي أكمل من التلمود الأورشليمي، والتلمود أكثر قداسة عند اليهود الربانيين من التوراة. انظر إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 ، هامش ص 46 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 141 ، 142 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم دمشق 1987 ، ص 82 - 92 ، علي عبد الواحد وافي: نفس المرجع، ص 91 .

(5) - ولديورانت: قصة الحضارة، عصر الإيمان، الجزء الثالث من المجلد الرابع ج 14 ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1975 ، ص 11 .

(6) المشناة: كلمة مشتقة من فعل «شاتا» العبري بمعنى «يشنى» والفعل الآرامي تانا «بمعنى يدرس» والمشناة كتاب يتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي جمعها التناثيون ←

وقد ظل يهود المغرب يعيشون كباقي إخوانهم تحت نفوذ قواعد مستقاة من التوراة والهلخاة⁽¹⁾، والتلمود المتضمن لكل نواحي الحياة. مما جعل بعض المؤرخين يقول إن التلمود قانون أخلاقي⁽²⁾. ويرتبط يهود المغرب بروابط وثيقة مع الفكر اليهودي العام⁽³⁾، ونظراً لكثرة الربانيين بالمغرب اختير رئيس اليهود «الشيخ أو النكيد»⁽⁴⁾ منهم. وكانت الطائفة الربانية في المغرب تتبع التلمود الأورشليمي حيث كانت علاقة يهود المغرب الأقصى بفلسطين في القرن السادس عشر للميلاد، فقد تكونت في ذلك القرن بصفد بفلسطين جالية يهودية مغربية مهمة، وكان على رأسها عدد من الأدباء الذين جذبهم التعليم والمدارس القبلية⁽⁵⁾ التي ازدهرت إذ ذاك في الجليل. وقد ذاعت شهرة ثلاثة،

← «أو معلمو الشريعة» على مدى ستة أجيال (10 - 220م). وتعد المنشاة مصدراً من مصادر الشريعة الأساسية. وتأتي في المقام الثاني بعد التوراة وهي الشريعة المكتوبة التي تقرأ، أما المنشاة فهي الشريعة الشفوية التي تتناقلها الألسن. وقد دونت المنشاة كنتيجة لتراكم فتاوي الحاخامات اليهود، والمحاولات الأولى لرواية شرائع المنشاة لم تبدأ إلا بعد السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد وأول جهد لاقرارها على يد الحاخام هليل ثم عقيبا ثم مائير وأقرها وقيدها كتابة في وضعها الحالي الحاخام يهودا ناشي (189م)، وقد دونها بعد أن زاد عليها، ويتكون كل من التلمود الفلسطيني والبابلي من المنشاة فهي مشتركة بين التلمودين: انظر اسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص 43، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 365، 366، حسن ظاظا: الفكر الدين اليهودي، ص 66، 67.

(1) - الهلخاة: كلمة من أصل آرامي معناها الحرفي هو «الطريق القويم» ويقال في التفسيرات الحديثة إن معناها الضريبة أو القاعدة الثابتة أما مدلولها في الفقرة الواحدة المتضمنة سنة واحدة في الفقهيات التشريعية، وفي معناها الدقيق تشير الصياغة المجددة للشريعة اليهودية في مقابل: (1) المدرش أي الدراسة والوعظ التي تعتمد دائماً على الاستشهاد بالتوراة والبحث عن المعنى الخفي. (2) الهاجادة والتي تعتمد على الوعظ عن طريق القصص. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 409.

(2) - ديورانت: نفس المرجع، م 4 ج 14 ص 28.

(3) - حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة محمد شملان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء المغرب 1987، ص 7.

(4) - Amnon Cohan. Jewish life Under Islam. London 1984. P 50.

(5) - القبالة: علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود والمعنى الأصلي للكلمة «قبالة» ←

منهم يوسف بن تبول وهو تلميذ لوريا مؤسس المدرسة القبلية الجديدة التي تحمل اسمه. كما استقر الرئي إبراهيم ازولاي المولود بفاس عام 978هـ/1570م بحبرون⁽¹⁾. وبذلك يتأكد أن التلموديين كانوا في شمال أفريقيا⁽²⁾، وكانوا منتشرين في الجزائر⁽³⁾، وكذلك في فاس التي لجأ إليها موسى بن ميمون، والتي كان بها أكبر تجمع يهودي في المغرب⁽⁴⁾. وقد زاد عدد التلموديين في المغرب بعد هجرة كثير من اليهود من أوروبا والأندلس في عهد بني وطاس. فكانت العائلات اليهودية الرأسمالية الربانية لها حق قيادة جماهير اليهود. الذين كانوا من الحرفيين وصغار التجار⁽⁵⁾. والذين انحدر بهم الحال بعد ظهور الممالك التجارية المسيحية في البحر المتوسط مثل البندقية ومرسيليا وجنوة.

وقد استخدم اليهود الربانئون الحساب في تحديد بداية الشهور، بينما ذهب القراؤون في غالبيتهم إلى تحديد بداية رأس الشهر برؤية الهلال⁽⁶⁾. وأبناء

← في اللغة العبرية هو التراث من «القبول» وكان يقصد بها أصلاً التراث الشفوي المتناقل لليهودية فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 290، عبد المنعم الحفني: نفس المرجع، ص 165، 166، وتزداد القبالة شيوعاً في أوقات البؤس والكوارث. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 291.

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 33، حبرون مدينة بدمشق، انظر الحميري نفس المرجع، ص 186.

(2) - فيليب فارخ، يوسف كرجاج: نفس المرجع، ص 58.

(3) - أحمد السليمانى: تاريخ مدينة الجزائر، الناشر ديوان عام المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 37.

(4) - إسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص 41 و 56.

(5) - نورمان كانتروا: التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الثاني، ترجمة قاسم عبده قاسم دار المعارف مصر 1983، ص 595، حسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة المغرب، بدون تاريخ، ص 271.

(6) - محمد الهواري: الاختلافات بين القرائين والربانيين في ضوء أوراق الجنيذا قراءة في مخطوط بودليان بأكسفورد «الناشر دار الزهراء، القاهرة 1994، ص 37» طويبة سمحاة ليفي: بابوفنش، روشي بناء «رأس الراوية» نشأة مذهب القرائين، طبع على نفقة دار الشرع للاسرائيليين القرائين بمصر، 1947، ص 42. ولمعرفة المزيد عن اختلافات ←

الطائفتين يجتمعون سنوياً لاقامة الصلاة المشتركة؛ مرة يوم مهرجان التوراة، والأخرى في عيد نزول التوراة⁽¹⁾.

ب - القراؤون:

اسم جاء من المصدر العبري «قرأ» ومعناها دعا. وهم الدعاة الذين لايعترفون بغير «المقرا» وهي التوراة. لأنهم يحملون دعوة، أن التوراة دون التلمود هي المصدر الوحيد للشرية⁽²⁾. والقراؤون هم المتمسكون بالنصوص⁽³⁾. ويتلخص مذهبهم في جعلهم النص المقدس المكتوب «العهد القديم» هو المرجع الأول والأخير لكل عقيدة أو قانون⁽⁴⁾، وقيل إن ظهور القرائين واكب ظهور المسيح، وإنهم المنشقون الأوائل الذين تحدثت عنهم لفائف المخطوطات التي عثر عليها في كهوف البحر الميت، والذين قيل إنهم آمنوا بالسيد المسيح مخالفين سائر اليهود، باعتباره ولياً من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة، وليس باعتباره نبياً مرسلأً صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى⁽⁵⁾.

← القرائين عن الربانيين، انظر، محمد جلاء محمد ادريس: نفس المرجع، ص 90 ، 91 ، 92 ، حسن ظاظا: الفكر الديني، ص 163 .

(1) - بنيامين التطيلي: الرحالة الربى بنيامين بن بونة التطيلي الأندلسي، بغداد، 1384 هـ. ص 170 ، 171 .

(2) - مراد فرج: القراؤون والربانون، القاهرة 1918 ص 48 ، 49 ، حسن ظاظا الفكر الديني، ص 247 ، طويبا سمحاة: نفس المرجع، ص 79 ، علي عبد الواحد وافي: نفس المرجع، ص 103 ، محمد جلاء إدريس: نفس المرجع، ص 21 .

(3) - ديورانت: مرجع سابق، م 4 ج 14 ص 42 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 293 .

(5) - يؤكد أكثر من مؤرخ وباحث أن أهل فرقة القرائين ترجع إلى عنان بن داود العراقي (ت 173هـ/ 790م) وقيل عام (183هـ/ 800م) ولكن أول ذكر لكلمة قرائي وردت في القرن التاسع الميلادي وذلك في كتابات بنيامين النهاوندي وأطلق عليهم بنو مقرا، وقد ارتبط ظهورهم بخلاف على من يتولى منصب رأس الجالوت في العراق بعد وفاة الجاثون سليمان فاختر حنايا الأخ الأصغر لعنان، عكس ماقاله عبد المنعم الحفني، ص 143 ، وان اختيار حنايا لبساطته عكس عنان المعتنق لآراء أبيقور الفلسفية ←

وقد قيل إنَّ مؤسس هذه الفرقة عنان بن داود، وقد أخذ وجهة النظر الإسلامية الخاصة بالمعتزلة. وهي الفرقة المتألفة التي تجمع من حولها كل المتطلعين إلى التخلي عن الجمود وتحكيم العقل في ذلك العصر. وكان هذا الرجل متأثراً بأفكار المعتزلة ومتأثراً بموقفهم في الإسلام من الحديث النبوي، وذلك هو جوهر رفضه للتلمود. ونادى كذلك بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي حق وأنه كعيسى بن مريم. ولم يفكر قط في مخالفة التوراة أو التعدي عليها أو نسخ شرائعها⁽¹⁾.

ولذلك اشتد الصراع بين الربانيين والقرائين، فأعلن رؤساء كل طائفة تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله. ولذلك اعتمد القراؤون على شرائع التوراة المنزلة على موسى في سيناء، ورفضوا ماسواها ولاسيما التلمود. كما أخذوا بالقياس والتوسع فيه. في الوقت الذي يرى فيه الربانيون أن القياس أدى إلى البعد عن الطريق المستقيم⁽²⁾.

← ويعارض التلمود، وتمسك فريق آخر بعنان مما أدى إلى سجنه، فكان معه في السجن الإمام أبو حنيفة الذي أشار على أبي عنان بأن يرسل للخليفة أبي جعفر المنصور ويقنعه برأيه، فاقنع فأفرج عنه بشرط الرحيل من العراق إلى فلسطين واختلف المؤرخون حول رواية السجن، وقيل إن القرائين تأثروا بالشيعية وقيل تأثروا بالمعتزلة، وهذا الرأي هو الصواب لأن المجتمع الإسلامي كان يمجج بصراع بين أهل الحديث وأهل الرأي. ويرى أهل الحديث أن النصوص شاملة لكل مجالات النشاط الاجتماعي، وأهل الرأي يدافعون عن العقل، وهذا جوهر الصراع بين العقل والنقل وبين الفلسفة والدين، انظر ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام القاهرة بدون تاريخ ج1 ص82 ، الشهرستاني: نفس المرجع، ج1 ص215 ، عبد المنعم الحفني: نفس المرجع، ص143 ، محمد جلاء إدريس: نفس المرجع، ص32 ، 33 ، طويبا سمحاة: نفس المرجع، ص31 ، 32 ، حسن ظاظا: الفكر الديني، ص48 ، 49 ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة، دار المعارف مصر 1977 ص112 ، المقرئزي: الخطوط، دار الثقافة الدينية القاهرة 1987 ، ج2 ، ص472 .

(1) - حسن ظاظا: الفكر الديني، ص250 ، 151 .

(2) - مراد فرج: القراؤون والربانيون/ القاهرة 1918 ، ص113 إلى 116 ، حسن ظاظا: الفكر الديني، ص151 ، محمد الهواري: نفس المرجع، ص37 ، محمد جلاء إدريس: نفس المرجع، ص90 ، 91 ، 92 .

ونظراً للتواجد اليهودي بالمغرب، وانتشار المذهب الاعتزالي الذي وصل المغرب على يد عبد الله بن الحارث، الذي أرسله واصل بن عطاء رأس المعتزلة⁽¹⁾، ونزل في مدينة أوليلي عند اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي، فتبعه على مذهبه خلق كثير، واعتنقت قبيلة أوربه التي كانت من أعظم قبائل المغرب المذهب الاعتزالي، ووافق إدريس صاحب المغرب الأقصى على مذهبه وأقام عنده. وأمر إسحاق قبيلته بطاعته وتعظيمه⁽²⁾ وفي النهاية لم يذكر مؤرخوا المغرب شيئاً عن التواجد القرائي بها، بل ينفون ذلك⁽³⁾. والحقيقة أنهم كانوا موجودين وخاصة في جنوب المغرب، والقليل منهم كانوا في شماله. وقد أتى هؤلاء القراءون مع اليهود من الأندلس⁽⁴⁾، وكانوا أغنى من الربانيين⁽⁵⁾ واشتغلوا بالتجارة التي تجوب البلاد، وساحوا في العالم الإسلامي مستغلين التسامح الديني معهم، بصفتهم أهل ذمة، فوصلوا إلى أقصى الشرق والغرب.

-
- (1) - أحمد بن يحيى المرتضى: كتاب طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد فلزر، منشورات مكتبة الحياة بيروت، لبنان بدون تاريخ، ص 32 .
- (2) - البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 118 .
- (3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص 123 .
- (4) - تسرب القراءون إلى إسبانيا في الفترة 328 هـ/ 939م - 339 هـ/ 950م وبذلك يعتبر القرن العاشر والحادي عشر للميلاد العصر الذهبي للقراءين فانتشروا حتى وصلوا أطراف المغرب وشمال الأندلس وغربه وتميزوا بغزارة الإنتاج الفكري الذي كان معظمه باللغة العربية وحروفه بالعبرية وفي مجالات متنوعة، ففي القرن الحادي عشر الميلادي وصل ابن يهودا الشهير بأبي فرج، وهو ابن التراس إلى الأندلس وهناك نشر ما تلقاه من المعارف والعلوم واستمال إليه كثيراً من الربانيين ولكن هل استقر في إسبانيا؟ لقد كان الربانيون يعادون القراءين، فقد كانوا يتفنون في اضطهادهم وجلدهم حتى الموت إذا لم يتوبوا ولذلك هرب عدد كبير منهم إلى بلاد المغرب. انظر: التطيلي: نفس المصدر، ص 194 ، محمد الهواري: نفس المرجع، ص 35 ، مراد فرج: نفس المرجع، ص 111 ، ديورانت: نفس المرجع، م 4 ج 14 ص 42 ، إسرائيل شاحك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ترجمة حسن خضر، دار سيناء 1994 ، ص 103 .
- (5) - قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص 34 .

كما جاء عدد آخر من القرائين إلى بلاد المغرب من مصر وفلسطين على أثر اجتياح المغول لبغداد في عام 656هـ/1258م، نظراً لبعد المغرب عن الأحداث التي كانت تموج بها العراق والشام.

ولذلك نجد الحسن الوزان يتحدث عن هذا التواجد فيقول: «يوجد في جبل هنتاته العديد من الصناع اليهود الذي يدفعون الجزية لأمير هنتاته، وينتسبون إلى مذهب القرائين⁽¹⁾. ويقول أيضاً: إنه في جبل دمنسرة يوجد قراؤون. ويعتبر هؤلاء اليهود في نظر سائر اليهود الربانيين في افريقيا خارجين عن العقيدة الصحيحة⁽²⁾.

ورغم ذلك ينفي بعض المؤرخين أي تواجد قرائي في المغرب، عكس ما أكده مؤرخون آخرون من وجود عدد قليل منهم في المغرب، وكذلك في تونس والجزائر⁽³⁾. وبذلك يكون التواجد الطائفي اليهودي في المغرب قد انصب على طائفتين اثنتين هما الربانيون والقراؤون. ولم نجد أي تواجد لطوائف يهودية أخرى.

(4) النظام الداخلي للمؤسسة الدينية لدى اليهود:

يشكل المجتمع اليهودي في المغرب الأقصى طائفتين؛ ربانيون ويعرفون أيضاً بالتملوديين وهم الأكثرية، وقراؤون وعددهم قليل. وتتكون طائفة الربانيين من النكيد ومجلس الطائفة، ومن الأعيان، والحزان، والذابح، والختان، والشماس، والمعلم والناسخ. ويمارس هؤلاء الأشخاص عملهم في البيعة الخاصة بهم وسوف نتناول كلاً منهم بحديث.

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص 154 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص 67 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 123 .

(3) - ماهر سمك: اليهود أنثروبولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 75 ، أحمد السلماي: نفس المرجع، ص 37 .

آ - النكيد:

هو شيخ اليهود⁽¹⁾. ولا بد أن يكون من الربانيين لأنهم الأغلبية، وهو همزة الوصل بين الطائفتين اليهوديتين وبين السلطان وموظفي الخزن، وكذلك لدى المسؤولين في المدن والقرى. كما أن شيخ اليهود هو الذي يعين القضاة للجماعات اليهودية في الأقاليم المختلفة، ويشرف على جمع الضرائب من اليهود، وتوقيع العقوبة عليهم بمقتضى أحكام المجلس اليهودي الذي يرأسه في أغلب الأحيان⁽²⁾. وله أيضاً أن يقوم بزيارة التجمعات اليهودية خارج العاصمة⁽³⁾.

وجرت العادة بالأنا ينال منصب النكيد إلا من أحرز تأييد السلطة وموافقة الأعيان والأحبار، ويقوم فيهم مقام بطريك النصارى⁽⁴⁾، وصلاحيته في منصبه تكون مدى الحياة، ومهامه سياسية ودينية في آن واحد⁽⁵⁾.

ونظام الطائفة اليهودية الأفريقية لم يكن يختلف عن نظام الطائفة اليهودية المصرية⁽⁶⁾. ولذلك يتعين أن يكون النكيد أكبر الكهنة وأعلم الأحبار، وأن يتميز بالنزاهة وحسن الخلق، وأن يكون عارفاً بالكتب اليهودية⁽⁷⁾. وغالباً ما يكون ضحية للتغيرات السياسية. وقد يتعرض لمواقف صعبة في فترات الأزمات

(1) - Amonon Colhen. op. cit. P. 50.

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 126، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 90، قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص 43 Man Gacop: The Jews in Eygpt and palestine under fatimid caliphs, Oxford 1920. Vol (1) PP. 255, 256.

(3) - قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص 43.

(4) - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، بدون تاريخ، ج 5 ص 474.

(5) - الهادي روجيه ادريسي: الدولة الصنهاجية، تاريخ افريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 هـ إلى القرن 12 هـ، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1992، ج 2 ص 380.

(6) - المرجع السابق، ص 380.

(7) - قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص 43.

الشديدة، وعلى الطائفة الالتزام كتابة، بتعويض خسائره المادية التي يتعرض لها أثناء تأدية مهامه⁽¹⁾. وإلى جانب هذه المهام الدينية والإدارية، كان التركيز يدير أعماله الخاصة، مثل الاشتغال بالأعمال الربوية والتجارية⁽²⁾.

ب - مجلس الطائفة:

ويتكون من الأحرار الرسميين - واسمهم بالعبرية «صخميم» - ومن القضاة واسمهم بالعبرية «ديانيم»، وهم أصحاب الأمر والنهي في الأمور الشرعية⁽³⁾. وكانوا يتولون القضاء دون أن يتدخل قضاة مسلمون في شؤونهم، وقد أجاز الفقهاء المسلمون تقليد الذميّ القضاء ليقضي بين اخوانه وأهل دينه⁽⁴⁾. وإذا كانت الخصومة بين ذميّ ومسلم فإن القضاة المسلمين يتولون الفصل فيها. وإذا رغب يهودي مُدَّعى عليه من قوم في التقاضي عند قضاة مسلمين، وأظهر وثيقة فيها براءته، وكان شهوده مسلمين عدولاً، لزمّت محاكمته أمام قضاة مسلمين⁽⁵⁾. وهكذا كان من الممكن أن يشهد المسلمون لصالح يهودي مظلوم وسط قومه ويحكم له قاض مسلم. وكان لليهود قسم يحلفونه في دور عبادتهم أمام مجلس الطائفة يوم السبت⁽⁶⁾. وتخص الجماعات اليهودية المغربية أحرار مجلس الطائفة باحترام وتقدير كبير لما له من حب لأرض الأجداد. وتعود كذلك هبة ونفوذ هذا الخبر لمعارفه التلمودية.

-
- (1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 126 .
 - (2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 39 ، نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع، ص 290 ، الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 41 .
 - (3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 225 .
 - (4) - أحمد عبد المنعم حسن: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين دولة علي بن يوسف، الناشر مؤسسة شباب الجامعة اسكندرية 1986 ، ص 291 ، 292 .
 - (5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 10 ص 56 .
 - (6) - المصدر السابق، ج 10 ص 309 ، كمال أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المغرب الونشريسي، مصر 1991 ، ص 39 .

ج - الأعيان:

ويلقبون ألقاباً تشريفية متعددة تناسب الدرجات الاجتماعية لوضعهم المالي. مثل «روش هقهل» أي شيوخ الطائفة، أو «طوفي هعير» وتعني أخيار المدينة، ومثل الكزبريم أي أمناء الأموال، والبرنسيم أي المعتقدون وعددهم سبعة. وغالباً ما يتغلبون على الطائفة بثروتهم المالية وسلطتهم الدنيوية ويستفيدون شخصياً من مناصبهم فيستحلون مالا يحل لغيرهم، فيضطر الأحرار إلى استنكار هذه الأعمال وكانوا ذي نباهة وثقافة، ومنهم يتم اختيار أعضاء مجلس الطائفة وهم الذين يقومون مع غيرهم بالوظائف العامة، ويعملون عادة تطوعاً في عدة أعمال، مثل جمع وتوزيع الرتب، وتمويل وتيسير المؤسسات الاحسانية، وإدارة المعابد والمؤسسات الدينية⁽¹⁾. ومن مهامهم أيضاً إرسال الإعانات إلى اليهود الفقراء⁽²⁾. ومن حق فقراء المدينة الأسبقية في الحصول على الأموال الخيرية التي تخصصها لهم الطائفة التي ينتمون إليها⁽³⁾، وما يفيض عن فقراء المدينة يبعث إلى المؤسسة الفلسطينية⁽⁴⁾ بصفد، لأن اليهود المغاربة ويهود هذه المؤسسة من العاملين بالتلمود الأورشليمي.

د - الحزان:

هو بمثابة الخطيب ويصعد المنبر ويعظهم⁽⁵⁾، وهو المسؤول عن الصلاة⁽⁶⁾، وعن حراسة الأطفال أثناء تعليمهم، ويتقاضى عن ذلك أجراً⁽⁷⁾.

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 125 .

(2) - محمد بحر عبد المجيد: اليهود في الأندلس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، المكتبة الثقافية عدد 273 القاهرة 1970 ص 21 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 134 .

(4) - المرجع السابق، ص 30 .

(5) - القلقشندي: نفس المصدر، ج 5 ص 474 .

(6) - قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص 44 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 361 ، وحزان وظيفة تشير إلى قائد جوقة الانشاد في الصلوات الدينية.

Man Gacop. op sit. P. 265.

(7) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 63 .

هـ - الذابح:

وهو (الشوحت) أي الشخص الذي يعين للقيام بذبح القرابين حسب المقتضيات الدينية⁽¹⁾.

و - الختّان:

وهو «الموهل» أي الشخص الذي يقوم بعملية الختّان، لأنه من لم يختن لا يعد عضواً في الشعب المقدس، وأصبح الختّان شخصية أساسية في المجتمع اليهودي⁽²⁾. والختّان في اليهودية فريضة أمر الله بها سيدنا ابراهيم، وواجب إجراؤها في اليوم الثامن لولادة الطفل وهي فريضة على الحر والعبد. وقد أوجب الربانيون ختن الطفل إذا مات قبل اليوم الثامن من ولادته، ولم يوافق على ذلك القراؤون⁽³⁾.

ز - الشّماس:

يطلق عليه بالعبرية «البرانسيم» أو الحارس للمعبد اليهودي. وهو الذي يقوم بوظائف متعددة، إذ كان يشرف على المعبد، وينفذ أحكام «بيت دين» أي المحكمة اليهودية. وكانت واجباته هذه تجعله مسؤولاً عن جمع معلومات تفصيلية عن اليهود⁽⁴⁾.

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 130 ، 131 . عبد الوهاب محمد المسيري الايديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الناشر عالم المعرفة الكويت عدد 60 ، 1982 جـ 1 ص 38 ، لكن نجد هذه الوظيفة يطلق عليها «الشلحصور» وهو الإمام الذي يصلي بهم. انظر القلقشندي: نفس المصدر، ج 5 ص 474 ، قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص 45 .

(2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، جـ 1 ، ص 38 .

(3) - محمد الهواري: نفس المرجع، ص 37 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 176 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، جـ 1 ، ص 38 .

ح - المعلم والناسخ:

يطلق عليه بالعبرية «سوفر»، ويتلقى مساهمة متواضعة من ميزانية الطائفة. غير أن مواردهم (الناسخ والمعلم) تكون من أجره مهنتهم، وهم يعيشون على الكفاف، ويعفون من ضريبة الرأس ومن الضرائب الجماعية⁽¹⁾. ويقوم الناسخ أيضاً بأعمال هامشية كتجارة الورق المتواضعة الصنع، أو الخبر الذي يقوم بصناعته، وكتابة التعاويذ والأحجية، كما يقوم بالذبيحة الشعائرية للدواجن والمواشي وينشد الأغاني الدينية⁽²⁾، ويمارس هؤلاء المسؤولون عن الطائفة اليهودية. والذين تحدث عنهم وعن عملهم - من خلال البيعة الخاصة بهم.

البيعة ووظيفتها:

هي المعبد أي «بيت هاكنسيت» بالعبرية⁽³⁾ وكنيسة اليهود⁽⁴⁾. وهي مكان الاجتماع الذي تعقد فيه الصلوات اليهودية، والمكان الروحي للأقليات اليهودية، الذي يتدارسون فيه تراثهم الديني، وتقام فيها الصلوات اليومية. وكان اليهود يجلسون في المعبد أو البيعة وفق ترتيب انتمائهم الطبقي. فيجلس الحاخامات والفقهاء وأصحاب المكانة العالية في المقدمة، ويجلس وراءهم أثرياء التجار ثم باقي اليهود⁽⁵⁾. وإن تعذر وجود بيعة أقاموا صلواتهم في البيوت، فكان كل بيت لليهود كنيسة، وكل أب كاهناً. فصلوات الكنيسة وطقوسها كانت لها مثيلاتها التي تقام بإيجاز في البيت. وكان الصوم والأعياد يحتفل بها أيضاً في البيوت⁽⁶⁾، وفي البيعة يجتمع مجلس الطائفة لاتخاذ القرارات أو

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 131 .

(2) - المرجع السابق، ص 63 .

(3) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 368 .

(4) - ابن منظور: نفس المصدر ج 1 ص 402 ، المعجم الكبير، الجزء الثاني، حرف الباء، طبعة أولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981 ص 730 .

(5) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 368 ، حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم سوريا 1987 ص 77 .

(6) - ديورانت: نفس المرجع، م 4 ج 14 ، ص 72 .

إعلان المراسيم علناً⁽¹⁾. وأيضاً يحثون اليهود على العصيان والغش، إذ يقولون لهم في مجلس وعظهم: اعلموا أن أبا القاسم نبي العرب قال لأمته: من غشنا فليس منا، فإن غششتهم فلستم منهم، وإن لم تغشوا فأنتم منهم. مما يتضح مدى تحريض هؤلاء اليهود على هذه الأفعال⁽²⁾.

وبذلك أصبحت البيعة نقطة الالتقاء الطبيعي للطائفة، وتجمع مواردها عن طريق بيع «الماصوت» وهو حق الصعود للمنبر لقراءة بعض الفرائض بالمزاد العلني، ومن الضرائب المباشرة وغير المباشرة التي تفرض على المواد الغذائية لدى التجار⁽³⁾. وفي البيعة صناديق للأعمال الخيرية يصرف منها إعانة للمحتاجين في حالات الضيق والمجاعات⁽⁴⁾.

ويؤكد أكثر من مؤرخ على وجود معابد قديمة لليهود في المغرب الأقصى منذ زمن طويل لا يمكن تحديده⁽⁵⁾. وكذلك توجد معابد محدثة البناء في بعض القرى المغربية⁽⁶⁾، ويعتبر هذا الأمر في نظر الفقهاء المسلمين نقضاً للعهد العمري، ولكن فقهاء المغرب الأقصى رأوا أن الوفاء لأهل الذمة واجب، ولذلك أباحوا لكل طائفة منهم بناء بيعة واحدة لإقامة شريعتهم، ولكنهم منعوهم من دق النواقيس⁽⁷⁾.

وقد نال اليهود منزلة سامية عند بعض الحكام فمنحت لهم عدة امتيازات من بينها حرية بناء البيع مثلما حدث في قصور توات، حيث كان يقيم أبو عبد

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 133، ماهر سمك: نفس المرجع، ص 331، الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 75، ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، دار المعارف مصر 1967، ص 123.

(2) - أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1986، ص 137.

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 133، 136.

(4) - المرجع السابق، ص 134.

(5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 4 ص 219.

(6) - الإمام الشافعي: نفس المصدر، ج 4 ص 126.

(7) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 2 ص 219، 220.

الله محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قام هو وعدد من الذين استجابوا له بمساعدة أهالي توات في هدم البيع التي بناها اليهود هناك وتطبيق الجزية والزي عليهم⁽¹⁾.

(5) (الصديقيون) اليهود:

كان للانتشار الإسلامي بين البربر بعد فتح بلاد المغرب أكبر الأثر في القضاء على العادات الوثنية، غير أنه بقيت بعض الأفكار الدينية التي كانت موجودة قبل الإسلام⁽²⁾، ولذلك نجد مناطق في المغرب الأقصى، ظل الإسلام بها سطحياً مثل بلاد غمارة⁽³⁾ المنعزلة التي يوجد بها عادات ومعتقدات غريبة وتنتشر بها أعمال السحر⁽⁴⁾، إلى جانب أن أهل مراکش انتشرت بينهم عادة التبرك بالقبور⁽⁵⁾، وهذا راجع إلى ظهور بعض مدعي التصوف من غير المتعلمين الجهلاء تماماً والذين تعوزهم الثقافة الدينية⁽⁶⁾.

وسادت نفس الظاهرة بين اليهود في المغرب الأقصى، فظهر بينهم من عرفوا «بالصديقيين» كما كان يطلق عليهم في أحيان أخرى لقب «ولي البلاد» الذي كان يعني ضمناً أنه بمقدوره رعاية الطائفة وحمایتها⁽⁷⁾، ونظراً لاعتراف

(1) - صالح محمد فياض: نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة اسكندرية 1977، ص 134، 135.

(2) - ديلاس أوليري: الفكر العربي ومكانة في التاريخ، ترجمة تمام حسان، مراجعة محمد مصطفى حلمي، عالم الكتب، القاهرة بدون تاريخ، ص 37.

(3) - غمارة: هي أرض بالقرب من مدينة سبتة، انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 199.

(4) - ابراهيم القادري: الإسلام السري في المغرب العربي، دار سينا للنشر القاهرة 1995، ص 28، 29.

(5) - المرجع السابق، ص 199.

(6) - ألفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي 1969، ص 386.

(7) - صموئيل اتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية (1850 - 1950م) ترجمة جمال أحمد الرفاعي، مراجعة عبد الله الشامي، عالم المعرفة عدد 117 الكويت 1995، ص 314، 315.

الإسلام بهم كأقلية داخل المجتمع المغربي، فقد مارسوا عاداتهم وتقاليدهم بحرية مثل الاحتفال بالأولياء والقصد إلى أضرحة حاخاماتهم بالذبح والصلوات⁽¹⁾.

وكذلك كان فقراء اليهود يعطون للصديقيين فدية أي مبلغ من المال عندما يباركونهم ويلتمسون منهم الشفاء، ونتيجة لذلك اغتنى كثيراً من الصديقيين بدرجة كبيرة⁽²⁾ ونظراً لأن أغلبية اليهود المتواجدين بالمغرب الأقصى في الجنوب من سلالة يهود الشتات الفلسطيني فقد كان لهم وضع خاص، حيث شكل الأولياء الفلسطينيون 90% من كل الأولياء بالمغرب⁽³⁾.

وقد أشاع الأولياء بين العامة من اليهود عدة أمور خارقة للعادة⁽⁴⁾ مثل تمكين العاقر من الانجاب، وتمكين العجزة من السير على أقدامهم، وتمكين المكفوفين من الابصار، ولذلك كان اليهود المغاربة يأمنون بالصديقيين والأولياء إلى جانب أنهم كانوا يعطون قدراً كبيراً من القداسة لكل ما يحيط بقبر «الصديق» والولي. وكان زوار هذه القبور يأخذون أي مخالقات من حول هذا المكان ويحتفظون بها إيماناً بأنها ستوفر لهم الأمن⁽⁵⁾، وشاعت ظاهرة زيارة قبور «الصديقيين» والأولياء في المغرب أكثر من شيوعها في أي مكان آخر «حيث كان يخيل للجهلاء أنه برفع القباب، ووضع الثياب، وتشيد القبور، واحراق البخور، فإنهم بذلك يتقربون إلى الله زلفى⁽⁶⁾». وكانت هذه الظاهرة تتزايد بقوة في جنوب المغرب عن شماله نظراً لكثرة عدد اليهود وجهلاء البربر هناك

-
- (1) - محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في بلاد السودان الغربي، ص 609 .
(2) - أحمد مرسي، فاروق محمد جودي: الفلوكلور والاسرائيليات، دار المعارف مصر 1977 ، ص 170 .
(3) - صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص 315 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 197 ، 198 .
(4) - ابن سيد الناس: المقامات العلية في الكرامات الجليلة، تقديم وتحقيق عفت وهالة حمزة، دار الملاح للطباعة والنشر طبعة أولى، القاهرة 1986 ، ص 9 .
(5) - صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص 315 .
(6) - عبد الكريم دهينة: الأضرحة وترك الاعتقاد، دار النوى المحمدي القاهرة 1993 ، ص 53 .

ولقسوة ظروف المعيشة في الجنوب⁽¹⁾. كان الأتقياء من اليهود يقومون بزيارة هذه القبور في الفترات التي كانوا يواجهون فيها أي نوع من الأزمات، وكانت زيارة القبور فرصة للالتقاء بأفراد العائلة⁽²⁾، وعند الانتكاسات يظهر الأولياء المنقذين لهم ولأحلامهم.

ولقد كان في الاحتفالات بهؤلاء الأولياء يلتقي السحر بالدين وبالأخص عندما يتعلق الأمر ببعض التقاليد والعادات والأمراض الشائعة ذات الطابع المحلي والمشارك بين الطوائف المغربية اليهودية والإسلامية معاً⁽³⁾، مثل العقم والإجهاض المتكرر. والحكم المأثورة في هذا الصدد، أن من لا ولد له لاهية له وأن المرأة العاقر شجرة ميتة. وعليه فإن على المرء أن يحتاط لهذا الأمر كثيراً، وأن يتقي شره بكل أنواع الأدوية الطبيعية، أو في حالة الضرورة عليه أن يلجأ إلى قوة طبيعية عليا أو أن يتشفع بها للأولياء الفلسطينيين أو أن يتجه إلى مزار الصالحين أو أن يقوم بممارسات متعددة، وبأشكال غريبة مختلفة مثل علم الباطن «القبالي»، والسحر أو الشعوذة الشعبية⁽⁴⁾، ويرفض القراؤون سلوك الربانين الذين كانوا يجلسون في المقابر ويسألون الأموات، واعتبروا ذلك ضرباً من الشرك⁽⁵⁾.

وكان للأولياء المسلمين كرامات يستنجد بها اليهود، مثلما استغاث يهودي بمراكش ببركة الشيخ أحمد بن جعفر الخزرجي أبي العباس السبتي في قضاء حاجة له، وهي أنه كان سائراً مع قافلة في مفازة فخرجت دابته فجلس يكي وبينه وبين الناس «القافلة» بعد فاستغاث بأبي العباس السبتي فاتصل بالقافلة⁽⁶⁾. ويدل ذلك على مدى انتشار عادة الاستغاثة بالأولياء سواء كانوا

(1) - صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص 317 .

(2) - المرجع السابق، ص 316 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 48 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 48 ، 49 .

(5) - محمد جلاء: نفس المرجع، ص 92 .

(6) - أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا 1989 ، ص 76 ، المقرئ: نفع الطيب، ج 7 ص 270 ، 271 .

يهوداً أم مسلمين في قضاء حاجاتهم مما أوجد علاقة من نوع ما بين المسلمين واليهود.

(6) - ملابس اليهود:

كان للمسلمين زي يختلف عن زي أهل البلاد المفتوحة، وبذلك لم يكن هناك ضرورة لفرض قيود على الزي، ولكن بمضي الوقت أخذ العرب الفاتحون بمظاهر الترف، وبدأ المغلوب يحاكي الغالب في كل شيء حتى في الزي⁽¹⁾. هنا بدأت الدولة تفرض على أهل الذمة زياً له صفات معينة. ففيما يتعلق باليهود كان يتكون من «ثياب كحلية وأكمام مفرطة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمام كانوا يلبسون كلوتات على أشنع صورة كأنها البرادع تبلغ تحت آذانهم وشاع هذا الزي بين جميع يهود المغرب، وفي عهد أبي عبد الله العادل الموحي (621 - 624 هـ / 1224 - 1227م) وبعد توسلهم سمح لهم بثياب صفر وعمائم صفر⁽²⁾.

هذا في عصر الموحدين، فهل استمر هذا الزي في عهد بني مرين وبني وطاس؟ الرد على ذلك هو أنه حدث تعديل، فقد فرضت عليهم نعال خاصة كما ألزموا بلبس عمامة سوداء أو طاقة تضاف لها قطعة من ثوب أحمر⁽³⁾، ويؤكد على ذلك رحالة معاصر إذ قال إنهم كانوا يضعون على رؤوسهم عمامات سوداء، وعلى العمامة أو الطاقية خرقة ملونة وحتى على ملابسهم لتمييزهم عن غيرهم⁽⁴⁾، وكذلك قال رحالة آخر بأنهم كانوا يلبسون نعالاً من قش، ويضعون فوق رؤوسهم عمامات سوداء، والذين يرتدون لباس قلنسوات

(1) - ترنون: نفس المرجع، ص 127 .

(2) - المراكشي: نفس المصدر، ص 383 .

(3) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب ط2، ص 1984 ، ج2 ص 191 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ص 156 .

فعلیهم أن یخیطوا فوقها قطعة من قماش أحمر⁽¹⁾، كما كانوا یضعون رقاعاً علی الأكتاف ویشدون الزنار فی الوسط⁽²⁾.

أما فی أواخر دولة بنی مرین فنجدهم یتشبهون بالمسلمین بارتدائهم الزي الإسلامی⁽³⁾، ولكن فی حالة صحوة الحاکم والقاضی نجد أنهم كانوا یتعرضون للعقوبة من القاضي بحبسهم وضربهم والطواف بهم فی مواضع أهل الذمة ردعاً لأمثالهم⁽⁴⁾، لكن الحریم لم یکن لهنّ زي خاص بهن، فقد كن یلبسن مثل حریم المسلمین⁽⁵⁾ نظراً لأن اليهودیات لیس لهن اتصال بالمسلمین مثل الرجال اليهود⁽⁶⁾ الذین كان لابد من تميزهم فی الزي عن المسلمین.

(7) - نظام الأسرة:

أ - الزواج:

یتم الزواج بعد أن یقدم الخطیب لخطبته قطعة نقدية أو شيء ذا قيمة، وعلیه یبارك الزواج بالقدوس (وهي مبارکات الخمر السبع)، ویصبح هذا الزواج قائماً ویشار إلى ذلك باللفظة العبرية (نسوئین) بمعنى حمل الزوجة إلى بیت الزوجية. والعقد یتضمن عدة إجراءات تحمي المصالح المالية للزوجة⁽⁷⁾، وكان لدى یهود المغرب الأقصى نظامان للزواج:

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 284 ، 285 .

(2) - الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص 254 .

(3) - المصدر السابق، ج6 ص 69 .

(4) - یحي بن عمر: أحكام السوق، تحقیق حسن حسني عبد الوهاب، راجعه فرحات الدثراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1975 ص 97 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص 69 .

(5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص 69 ، كان للنساء اليهوديات والمسیحيات نظم مماثلة إذ كان یتوجب علیهن أن یلبسن فی الشوارع ألبسة زرقاء أو صفراء علی رؤوسهم، انظر، ماير: الملابس المملوکیة، ترجمة صالح الشیثي، تقديم عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1972 ص 120 .

(6) - الهادي روجيه ادريسي: نفس المرجع، ج2 ص 383 .

(7) - حایم زعفراني: نفس المرجع، ص 79 .

الزواج القشتالي:

وهو نظام يعطي مساواة قانونية عند فسخ عقد الزواج بسبب وفاة أحد الزوجين من جهة وتوزيع الميراث من جهة أخرى، كما أنه يحرم تعدد الزوجات⁽¹⁾، ولكن القرائين اشترطوا العدل عند تعدد الزوجات⁽²⁾.

عقد يسمى بالصدّاق:

يقدمه الزوج ويبرم أمام مجلس قضاء مكون من قاضي وشاهدين عدلين⁽³⁾، إلى جانب الزواج التقليدي الذي لم يذكره المؤرخون.

تعدد الزوجات:

تعترف التوراة بتعدد الزوجات، ولم يرد فيها نص واحد يحرم التعدد، وكذلك لا توجد نصوص في التلمود تحرم التعدد، وليس في الدين اليهودي حد أقصى لتعدد الزوجات، واستمر ذلك إلى أن حرم على يد جرشوم بن يهودا، وطبق في أوروبا حوالي عام 1240م، وأما في أفريقيا فقد التزم به البعض ولم يلتزم به البعض الآخر⁽⁴⁾، وكان التعدد يمثل نوعاً من الحفاظ على العفاف والأخلاق، وجعلت المراسيم القشتالية المؤرخة في عام 1494 م من البند المانع للتعدد بنداً اجبارياً، وأصبح هذا التشريع ساري المفعول في المغرب الأقصى فاختلف نظام تعدد الزوجات، غير أن هذا التشريع تعرض فيما بعد لمعارضة اليهود المغاربة الأصليين الذين ظلوا أوفياء للنظام التقليدي الذي يسمح بتعدد الزوجات، وصدر تشريع جديد يسمح باتخاذ زوجة ثانية في حالة عدم إنجاب ذكر، وقد أدت معارضة الأحرار لتعدد الزوجات إلى تدخل السلطات الحكومية بإيعاز من بعض الأعيان اليهود ذوي النفوذ، الذين اتهموا الأحرار بانتهاك حرمة

(1) - المرجع السابق، ص 80 ، ماهر سمك، نفس المرجع، ص 131 .

(2) - محمد جلاء ادريسي: نفس المرجع، ص 115 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 79 ، ماهر سمك، نفس المرجع، ص 131 - 144 .

(4) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 192 ، 193 . محمد جلا ادريسي،

ص 114 ، 115 .

التشريع التلمودي، فصدر مرسوم من السلطات يسمح لليهود بأن يتزوج أكثر من زوجة، وقد هددت الزوجات اليهوديات اللاتي تزوج أزواجهن عليهن بالخروج عن الديانة اليهودية. وبعد فترة من الخلافات بين الفريقين سواء المؤيد للتعدد أو المعادي له، صدر تشريع يحدد الأسباب التي تسمح للزوج بزوجة أخرى، والأسباب هي⁽¹⁾:

- 1 - يسمح بالزواج بزوجة ثانية في حالة عقر الزوجة الأولى.
 - 2 - ضمان ممارسة زواج السلفة⁽²⁾.
 - 3 - إذا وجد الزوج بعيداً عن زوجته الأولى ويصعب عليه الاتصال بها لأسباب قهرية (طرق مقطوعة أو غير آمنة).
 - 4 - إذا كانت الزوجة الأولى مريضة مما يعسر إقامة علاقة معها⁽³⁾، أما القراؤون فيجيزون الزواج على المرأة الأولى إذا كان الزوج في سعة من الرزق ويستطيع معاشتهما معاً أو منفردتين ويعدل بينهما⁽⁴⁾.
- والزواج بغير اليهودية كان محرماً في هذين العصرين المريني والوطاسي⁽⁵⁾.

ب - الطلاق:

تفسخ الرابطة الزوجية بوفاة أحد الزوجين أو بطلاق مكتوب، ويملك الزوج وحده من حيث المبدأ حق التصرف فيه، وتبذل المحاولات للحد من الطلاق حماية للمرأة ونصرة للأخلاق.

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 80 ، 81 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص 132 ، 133 .

(2) - زواج السلفة: إذا مات زوج عن زوجته، دون أن ينجب أطفالاً فإن أخاه الشقيق أو أخاه من أبيه، يتزوج زوجته، ولا تحل لغيره ما دام حياً إلا إذا تبرأ منها، انظر: حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 81 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 132 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص 132 ، 133 .

(4) - محمد جلاء: نفس المرجع، ص 132 ، General Organization of the Alexandria Library

(5) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص 132 ، GOAL

وتنحصر أسباب الطلاق التي يقدمها الزوج ونادراً ماتقدمها المرأة في أمور معينة هي:

- 1 - الزنا.
- 2 - الامتناع عن المعاشرة.
- 3 - العيب أو العاهة.
- 4 - رفض الزوجة مصاحبة زوجها في البحث عن رزقه.
- 5 - إذا اعتنق الزوج أو الزوجة الإسلام أو مذهب آخر⁽¹⁾.

(8) أعياد اليهود في بلاد المغرب الأقصى:

في ظل دولتي بني مرين وبني وطاس، احتفل اليهود بأعيادهم في حرية، مستغلين تسامح الدولة معهم والوضع القانوني الذي تكفله لهم الشريعة الإسلامية، ولذلك مارسوا احتفالاتهم. ففي الحياة العامة احتفالات تذكارية، منها ما يخضع للتشريع العام «الهلخاة» ومنها ما أصبح جزءاً من الأعراف والعادات التي خلدها الممارسات الطويلة القديمة.

وسوف نتعرض إلى الاحتفالات المشتركة لدى كل اليهود حيث يعتبر يهود المغرب جزءاً من هذا الكل، ونرصد ما يميز اليهود المغاربة في احتفالاتهم وأثر البيئة التي يقطنونها عليهم وعلى حياتهم واحتفالاتهم.

١ - أعياد الحج الثلاثة عند اليهود:

يحج اليهود إلى القدس ثلاث مرات في السنة لزيارة الهيكل، حيث تقام الشعائر، وتقدم القرابين والهدايا، تبعاً لما جاء في النصوص التوراتية التي تقول: «ثلاث مرات تعبد لي في السنة تحفظ عيد القظيرة، تأكل فطيراً سبعة أيام كما

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 90، 92، «مأقر سملك»: نفس المرجع، ص 137.

أمرتك في وقت شهر أيبس⁽¹⁾، لأن فيه خرجت من مصر ولا يظهر أمامي فارغين وعيد الحصاد اباكار غلاتك التي تزرع في الحقل⁽²⁾؟ وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل. ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب. لاتذبح على خمير دم ذبيحتي. ولا يبيت شحم عبدي إلى الغد. أول اباكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك لاتطبخ جدياً بلبن أمه⁽³⁾؟.

العيد الأول: عيد الفصح أو (الفسح).

العيد الثاني: العيد المسمى الأسابيع (شافوعوت).

العيد الثالث: عيد سكوت الخيام (الظلل)

آ - عيد الفصح:

يسمى بالعبرية «بيساح» وأيضاً عيد «الفسح» أي عيد الفرج بعد الضيق⁽⁴⁾، ويسمى أيضاً عيد الفاسح⁽⁵⁾، ويحتفل به في أول الربيع، في الخامس عشر من شهر نيسان «ابريل» ويدوم ثمانية أيام تسمى «البيصح» أي المرور،

(1) - في المغرب يطلق عليه شهر الاسبال «شهر الفرك» انظر حايم زعفراني: نفس المرجع، 237 .

(2) - يدل يهود المغرب الأقصى الحقل بالصحراء حتى يتمشى مع طبيعة البيئة التي يعيش فيها أغلب اليهود خاصة في الجنوب والمناطق الجبلية. انظر حايم زعفراني: نفس المرجع، 237 .

(3) - التوراة سفر الخروج، اصحاح 23 آية 14 - 20 . أما طهي الجدي بلبن أمه، فتحريمه راجع إلى قداسة اللبن في الديانة المصرية القديمة فاللبن اعتبر في الشعائر المصرية سائلاً سحرياً مفعماً بمقدرات الهية، وقد صور الفرعون في النقوش والرسوم المصرية وهو يرضع من ثدي إيزيس، رمزاً إلى اعتبار الفرعون ابناً للالهية وحائزاً لقدرات تفوق قدرات البشر، ومن هذا النبع المصري، عرف اللبن طريقه إلى عبادة يهوه، ولكنه - للأسف - انزل إلى مستوى «لاتطبخ جدياً بلبن أمه» انظر شفيق مقار: السحر في التوراة العهد القديم، رياض الريس للكتب والنشر لندن 1990 ، ص 264 ، 265 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 276 .

(5) - المقرئزي: الخطط، ج2 ص 474 .

وحج «همصوت» بالعربية، وعيد الفطير (وزمت حيروتينو) أو موسم الحرية، وحج (هأيب) بالعربية أي عيد الربيع⁽¹⁾. والثمانية أيام هي المدة الشرعية والقانونية للعيد في الشتات وسبعة أيام في الأراضي المقدسة (فلسطين)⁽²⁾. ويتمسك اليهود القراؤون بكون العيد سبعة أيام⁽³⁾، ولم يختلف اليهود الربانيون والقراؤون إلا في مواعيد الاحتفال، وسبب ذلك، إن المشرعين اليهود زادوا يوم في الأعياد الكبيرة من باب الاحتياط ليتسنى للحجاج المسافرين أن يصلوا إلى الأراضي المقدسة في الموعد المحدد⁽⁴⁾، وقيل إن هذا العيد لا يصح أن يبدأ يوم الاثنين أو الأربعاء أو الجمعة وهو مالم يتقيد به القراؤون⁽⁵⁾.

ويبدأ الإعداد له في الصيف الذي قبله، عند جمع القمح الخاص بصنع الفطائر «الغائف» كما تسمى باللغة المتداولة في المغرب الأقصى، وتمر عملية صنع الرغائف بعملية معقدة حيث ينظف كل شيء حسب شريعة الطهارة. والفطيرة أو الرغائف يجب فيها على اليهودي أن يتأكد من أن أي خميرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماماً. ثم بعد هذا يأكل اليهود خبزاً لا تدخله خميرة ولا ملح، تذكيراً لهم بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم وقت للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر، ويوضع على مائدة الفصح ثلاثة أرغفة ترمز للكهنة واللاويين والشعب عامة⁽⁶⁾، ومن

(1) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 78 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 180 ، 181 .

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 39 .

(3) - مراد فرج: نفس المرجع، ص 17 ، 18 .

(4) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 182 .

(5) - قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر، ص 125 ، واليهود في مصر، /ص 47 ، وهذا خلط عند المؤلف والصح: «ولا يكون أول هذا الشهر عند الربانيين أبداً يوم الاثنين ولا يوم الأربعاء ولا يوم الجمعة. انظر المقريري: الخطط، ج 2 ص 474 .

(6) - اللاويين: أحد أسباط إسرائيل الاثني عشر من نسل لاوي، نصبهم موسى - عليه السلام - ليعلموا في خيمة الاجتماع مكافأة لهم على رفضهم الاشتراك في عبادة العجل الذهبي، ولذا أصبحوا هم الكهنة. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 331 .

أكل خبزاً مخمراً في هذا اليوم كأنه فصل نفسه عن الشعب اليهودي⁽¹⁾.

وهذا العيد يجلب متاعب لليهود فإنه بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودي مجاور في فترة عيد الفصح يتهمون بقتله، لأن الفطيرة يدخل في عجنها دماء بشرية يأخذونها من ضحية يقتلونهم من غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين. وهذا وصمة من الممكن أن تكون من الجاهلين كرد فعل لما عاناه من الاضطهاد والاحتقار والفقر والجهل والمرض والخوف، أو بتوجيه طائفي من بعض القادة الروحانيين الذين برعوا في التأويلات والاستنباطات الغريبة من التوراة والتلمود والقبالة وغيرها من الكتابات الصوفية الباطنية. ومن المحتمل جداً أن يكون هؤلاء الجهلة من اليهود قد استحدثوا هذه البدع الوحشية اشباعاً لما في نفوسهم من حقد على أبناء الملل الأخرى والمسيحيين بوجه خاص⁽²⁾.

ولعيد الفصح عند يهود المغرب الأقصى خصوصية انفردوا بها عن سائر يهود العالم، ففي الليلة الأولى وتسمى بالعبرية «ليلة السدر» أي «الترتيب والتوالي» وهي التي تكون الفترة المهمة واللحظة الطقوسية المفضلة حيث تكرر لأحياء ذكرى الخروج من مصر⁽³⁾، ويتم ذلك بقراءة «الهكدة» وتنطق

(1) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 276 .

(2) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 185 ، 186 ، ولكن يوجد رأي آخر خاص بالأضاحي بالعودة إلى خمسة آلاف سنة مضت وقت نشأة المدن في الهلال الخصيب وسيادة الذكور تزواج الثقافتين الرعوية الأبوية والزراعية الأمومية تحولت احتفالات الخصب لحث الأرض على الإنتاج، من إلهات الأرض والزهرة والإناث، إلى إلهة الذكور، فتحولت القرابين بالتالي إلى أضاحي، يضحى فيها الملك بنفسه، ويبدو أن تقديم الأطفال قرباناً للنيران - فيما نرى - قد نشأ عن محاولة الملوك للتهرب من هذا المصير المفزع، فنشأت عادة مضاجعة الملك للكهنة الكبرى «قاديشتو» لإنتاج إلهة من نسله الملكي الإلهي تخصص للتضحية. انظر سيد محمود القمني: الأسطورة والتراث دار سيناء القاهرة 1994 ، ص 106 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 238 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 276 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 181 .

«الهاجادة»⁽¹⁾، «قصة الخروج من مصر» وتبدأ بسرد القصص التوراتي الخاص بفكرة التحرر والخروج. وتقام هذه الاحتفالات الدينية الكبرى في البيعة، لكن طقس السدر يحتفل به في وسط العائلة، ويلعب الأب دور الحبر الواعظ ويرسخ في أذهان أبنائه التعاليم التي ترتبط بـ «معجزة الخروج من مصر» ومن المحتمل أن يكون هذا الطابع العائلي الخاص هو أصل الخرافات المتعددة والعادات والأعراف التي ترافق احتفال السدر ونظراً لجهل الأطفال والنساء باللغة العبرية لغة العبادة ترجمت «الهكدة» إلى لهجات البلدان التي قامت فيها طوائف يهودية وفي المغرب تعرف العديد من الترجمات الشفوية في العربية وفي القشتالية القديمة التي نقلها مهاجرو إسبانيا معهم منذ عام 898هـ/ 1492م. وتوجد ترجمة لهذه الطقوس إلى اللغة البربرية، وترجمة أخرى إلى لغة «تشلحيت» في سوس وتقرأ هذه الطقوس بهذه اللغات المحلية نظراً لما تحظى به من شعبية كبيرة لم تحظ بها بقية النصوص الدينية الأخرى في المغرب⁽²⁾.

ويبدأ نص «الهكدة» كالتالي (سراعاً خرجنا من مصر) ويدور طبق السدر الذي فيه الفطيرة والعنب المر وعظم خروف⁽³⁾ (رمز لحمل الفصح) وذلك

(1) - الهاجادة: لفظة آرامية بمعنى «روى، وسرد، وحكى، وقص» وهي مشتقة عن أصل عبري غير معروف على وجه الدقة فيقال إنها من فعل «هجد» بمعنى «قيل» للإشارة للقصص الشفوية في مقابل القصص المروية، وإن كان يقال إنها مشتقة من عبارة «هيجادتا لينجا» أي «تخبر ابنك». وتستخدم هذه الكلمة في معنيين ليس بينهما علاقة كبيرة (أ) صلوات عيد الفصح إذ تطلق على مجموعة الصلوات والأدعية والتعليقات المدرسية أي الدراسة والوعظ الذي يعتمد دائماً على الاستشهاد بالتوراة والمزامير والسرد القصصي الذي كان يرويه الأبحار عن اليهود في مصر والخروج منها، ثم الشكر لله على استرداد أرض إسرائيل والدعاء له أن يساعد اليهود على استردادها مرة أخرى، وتطلق أيضاً على الكتب التي تحتوي أدعية وصلوات (ب) وتستخدم الهاجادة ومرادفها إجاداة للإشارة إلى الفقرات والقطع التلمودية التي تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية أو الدعوات والتنجييم والسحر والتصوف.... انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 407 ، 408 .

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 239 ، ماهر سملك: نفس المرجع، ص 143 ، 144 .

(3) - وكأس من الماء بالملح انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة ص 276 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 183 .

لتذكيرهم بما عاناه أسلافهم أثناء فرارهم في الصحراء⁽¹⁾، ويمثلون في تفيلا⁽²⁾، وفي الأطلس، «مشهد الخروج السريع من مصر» إذ يغادر الرجال دورهم وعلى أكتافهم عصي ربطت بآخرها صرر ثم يجرون ويصيحون (هكذا خرج أجدادنا من مصر)⁽³⁾، ثم تشق إحدى الفطائر الثلاثة الموجودة على طبق السدر ويتلى بالعبرية، هكذا خلق الله البحر اثني عشر مسلكاً عندما خرج أجدادنا من مصر.... وتتابع قراءة «الهكدة» التي تتوقف خلال الوجبة بقراءة «الهلل» أي التسبيح⁽⁴⁾.

اختتام عيد الفصح:

إذا كان عيد الفصح هو ذكرى الخلاص التاريخي من النير المصري وهذا في اليوم الأول، فإن اليومين الأخيرين من الفصح يطلق عليه بالعربية «ميمونة» وبالعبرية «إمونة» (إيمان واعتقاد) أي الخلاص في المستقبل من نهاية النفي ورجوع الشعب اليهودي كما بشر بذلك الرب بالعودة إلى أرضه⁽⁵⁾. وقد جرى اليهود على اتخاذ هذا العيد ذريعة لنشر المطامع الصهيونية في مجتمعاتهم، وفي احتلال أرض فلسطين. وعلى كل حال فإن عيد الفصح هو الوقت المختار للقيام بالحج إلى مدينة القدس عند اليهود، فنجد الربان يعقوب بن ابراهيم ومعه أسرته جاؤوا من المغرب إلى القدس للحج، وكذلك قدم من شمال افريقيا مائة وواحد

(1) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 276، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 183.

(2) - تفيلا: اسم بربري لاقليم واسع يقع وراء الأطلسين المتوسط والكبير متاخماً لواحاح فجيج وحدود الجزائر شرقاً، ويطلق على هذا الاقليم أيضاً اسم عاصمته القديمة سجلماسة انظر محمد حجي: الحركة الفكرية في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر المغرب 1978، ج 2 ص 522.

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 239، أحمد علي مرسى، فاروق محمد جودي: نفس المرجع، ص 17.

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 240.

(5) - المرجع السابق، ص 241، ماهر سمسك: نفس المرجع، ص 144.

وسبعون حاجاً يهودياً عن طريق نابولي إلى القدس عام 982هـ/1574م⁽¹⁾، وكان العثمانيون يسمحون لهم بالحج إلى القدس بشرط عدم الإقامة⁽²⁾.

وهذا الاحتفال يتضمن الطقس الذي يأتي بعد صلاة الغداء المسمى بالعبرية «براكت هالنوت» أي مباركة الأشجار، والتوجه إلى الحدائق الواقعة خارج المدينة وغالباً ماتم شعائر هذا الطقس تحت شجرة كرم لم تنضج فاكهتها بعد، ويتجلى ذلك في الرجوع إلى الطبيعة والخلق الجديد⁽³⁾، وهم يحاولون بذلك الربط بين خروج الربيع من الشتاء بخروج اليهود من مصر، وهذا يعني إن ميلاد الشعب اليهودي بالخروج من مصر، وميلاد الطبيعة والكون شيئان متداخلان في الطقوس اليهودية⁽⁴⁾، وفي هذا الاحتفال الذي أطلق عليه المغاربة عيد ميمونة تزين البيوت بالزينة، ويتبادل السكان الهدايا، وكثير من جهلة المسلمين يقبلون الهدايا منهم في عيدة الفطيرة⁽⁵⁾، وبذلك يكون عيد ميمونة هو العيد اليهودي المغربي المحلي الذي احتفظت به الطائفة اليهودية المغربية.

(ب) عيد الأسابيع أو عيد الحصاد «شافوعوت»:

ومناسبة هذا العيد هو نزول التوراة والوصايا العشر على موسى عليه السلام على جبل سيناء ولكن أثير شك حول هذه الوصايا فقد قيل إنها منسوبة إلى نبي الله موسى عليه السلام⁽⁶⁾. ومدة هذا العيد يومان، ويسمى عيد

(1) - Amnon Cohen. Jewish life under islam london. 1984 P.P 67 . 106.

(2) - Ibid. P. 106

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 242 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 276 .

(5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 11 ص 112 .

(6) - قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ص 125 ، اليهود في مصر، ص 47 ، ويدعم ذلك ورود الوصايا العشر مرتين في سفرين من أسفار التوراة سفر الخروج اصحاح عشرين آيه 1 - 17 ، وسفر التثنية اصحاح 5 آيه 6 - 21 . وهناك خلاف بين اليهود فيما يخصها، فمنهم من يؤمن بأن يهوه أملاها أو كتبها بنفسه على ←

الأسابيع وهي الأسابيع التي فرضت على بني إسرائيل فيها الفرائض. ويقال لهذا العيد في زماننا عيد العنصرة⁽¹⁾، واصل هذه الكلمة في اشتقاقها اللغوي «الجمع» أو الحفل⁽²⁾، ولا يكون هذا العيد عند الربانيين يوم الثلاثاء ولا الخميس ولا السبت⁽³⁾، وأما عند القرائين فلا يلتزمون بأيام ويحتفل - الربانيون والقراؤون - معاً بهذا العيد في البيعة، ويكون الاحتفال بهذا العيد في اليوم السادس من شهر سيوان «آخر مايو - أول يونيو».

وهذا العيد عام عند اليهود، ويعرف بعيد الحصاد كما تقول التوراة «وعيد الحصاد ابكار غلاتك التي تزرع في الحقل.... أولى ابكار أرضك تحضره إلى بيت الرب»⁽⁴⁾ وفي هذا العيد يجتمع الربانيون والقراؤون للاحتفال بهذا العيد⁽⁵⁾، وتحبى السهرات حتى مطلع الفجر، فتقرأ نصوص مختارة من العهد القديم ومن «المشنا» و«الزوهار»، وترتل الأناشيد في البيعة أو في البيت. وبعد هذا الاحتفال يقام أيضاً احتفال شعبي حيث تشارك الأطفال في المآدب إذ توزع الفواكه والحلويات، وفي البيعة تقرأ أشعار سلمون بن كبرول، ويهودا اللاوي، واسحاق بن روين البرشلوني، وتسمى شعائر عيد «شفעות» وتقام «صلاة الهدية» بعد الظهر حيث يقرأ كل يهودي فقرة من النصوص السابق ذكرها، وإن ارتكب خطأ مهماً أثناء القراءة يصحح له الجميع وهم يصيحون

← لوحي الحجارة الذي هشمهما موسى - عليه السلام - يوم واقعة العجل الذهبي، ثم عاد فأعاد غيرها، ومنهم من يعتقد أنها وضعت بعد زمن موسى بقرون، في عهد القضاة، في وقت ما بين القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد ونسبت إلى موسى حيث إن من وضعوها استمدوا أفكارها من التراث المتناقل شفاهية من عصره إلى عصر القضاة، ولهذا الرصايا أصول مصرية، انظر شفيق مقار: السحر في التوراة، ص 416 - 418 .

- (1) - المقرئزي: الخطط، ج2 ص 474 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 275 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 189 .
- (2) - الأب متى المسكين الروح القدس، مطبوعات دير الانبامقار، القاهرة 1981 ص 139 .
- (3) - المقرئزي الخطط، ج2 ص 474 ، قاسم عبدة قاسم: اليهود في مصر، ص 47 .
- (4) - التوراة سفر الخروج اصحاح 23 آيه 16 - 19 .
- (5) - بنيامين التطيلي: نفس المصدر، ص 170 - 171 .

«أعد أعد إنك لاتعرف شيئاً» ويرشونه بالماء ومن يختم القصيدة يبلل بالماء كلية. وفي دروب الملاح يحمل الأطفال شبه مضخات صغيرة ومرشات كبيرة لرش الماء، أعدها الصنّاع ليوم العيد فيتعاركون ليعودوا إلى دورهم وقد ابتلوا من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ثم تمر السقاء لترش صحون الدور بالماء ويتسابق السكان إلى الأدوار العليا، ويفرغ الماء على الأرض بواسطة قرن ثور، وتسكب على السقاء أوعية الماء من أعلى ويرمى لهم الخبز وبعض النقود⁽¹⁾.

(ج) عيد سكوت الخيام أو عيد الظلل:

اسمه بالعبرية سكوت والأصل في هذا العيد أنه عيد زراعي، وكان يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية⁽²⁾، وقد قرره الشريعة اليهودية تذكراً لاقامة اليهود في خيام أو مظال في صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر⁽³⁾، وقيل عيد الظلل ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشرين «أكتوبر» ولمدة سبعة أيام⁽⁴⁾، ويضاف يومان آخران هما الثاني والعشرون والثالث والعشرون من تشرين ولهما لوناً آخر خلاف السبعة الأولى. فيوم الثاني والعشرين من تشرين يسمى اليوم الثامن الختامي «شيميني عصيرت» لأنه يختم عيد الظلل بأيامه السبعة، أما اليوم الثالث والعشرون من تشرين يسمى عيد فرحة التوراة⁽⁵⁾، والربانيون يعتكفون في اليوم الثامن الموافق الثاني والعشرون من تشرين ثم يصومون في اليوم الثالث والعشرين، وانفرد القراؤون بصوم يوم الرابع والعشرون من تشرين ويسمى صوم جدليا⁽⁶⁾.

-
- (1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 248 - 251 .
 - (2) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 169 .
 - (3) - زكي شنودة: المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي القاهرة بدون تاريخ، ص 275 .
 - (4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 277 .
 - (5) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 170 .
 - (6) - المقريري: الخطوط، ج 2 ص 473 ، قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر، ص 125 .

وبمجرد أن ينتهي اليهود المغاربة من صوم يوم الغفران⁽¹⁾ يبدأون في عمل خيمة السعف التي أوت أبناء إسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بأيام التيه⁽²⁾، ويشرعون في الصباح الباكر حتى الغداء في بناء الخيمة على السطوح أو في صحون الدور، ويتجه اليهود في المدن المغربية لمدينة الصويرة، إلى باب منها يسمى باب دكالة، حيث ينتظرون أمام السوق باعة أعواد القصب اللازم لبناء الخيمة. ونجد في الآداب الربية المحلية، مثل أشعار داود حسين، ويعقوب ابنسور، الأوصاف الدقيقة للمظلة التي يجب أن يكون بناؤها موافقاً لشروط دقيقة جداً، وقد وصفتها الشريعة في أدق دقائقها⁽³⁾.

ولهذا العيد جذور دينية قديمة لأنه يذكرهم بالطقوس التي كانت تقام أمام الهيكل بالقدس حيث كانوا يقدمون قرابة سبعين ثوراً، لأن هذا العدد يمثل عندهم عدد سبعين أمة تسكن العالم⁽⁴⁾.

وليلة السابع ليلة مبعجلة عند اليهود المغاربة حيث يقرأون فيها التوراة ويحضرها الأطفال الذين يسهرون، ثم يبدأون في التسلل إلى الخارج كباراً وصغاراً لمراقبة السماء لعلهم يباغتون اللحظة التي تنكشف فيها تلك الليلة فتحقق أمنياتهم⁽⁵⁾، وتسهر النساء لأعداد الطعام الخاص بهذه المناسبة الذي يسمى الكسكسي، وهو طعام تقليدي معروف في المحيط البربري⁽⁶⁾، وفي الليلتين الأخيرتين تفك المظلة وتضرم فيها النار، ويدعون الأطفال للقفز فوقها مرددين كثيراً من الصلوات والتعاويذ⁽⁷⁾، عكس مايجري في الشرق حيث يضربون الأغصان على الكراسي في البيعة حتى تتساقط أوراقها كلها،

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 252 .

(2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 277 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 252 .

(4) - نفس المرجع، ص 53 .

(5) - نفس المرجع، ص 252 ، 253 .

(6) - نفس المرجع، ص 254 .

(7) - نفس المرجع، ص 254 ، 255 .

ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم ذنوبهم التي ارتكبوها في السنة⁽¹⁾. ولأجل ذلك يكذبون ويغشون في حياتهم اليومية موقنين أن هذا العيد لإسقاط أفعالهم وذنوبهم.

وفي اليوم الأخير من أيام هذا العيد تؤدي صلاة الاستسقاء ففي بداية فصل الشتاء يتهلون إلى الله ليفتح خزائن السماء لكي تخصب الأرض⁽²⁾، ويمثل هذا العيد نهاية الأعياد التي تكثر في شهر تشرين «أكتوبر» وهو الشهر الأول من السنة اليهودية.

2 - السبت:

تعرضت الشريعة المكتوبة «العهد القديم» والشريعة الشفوية «المشناة والتلمود» والتشريع والفقه والكتابات الوعظية والأساطير اليهودية «القبالة» طويلاً لفضيلة وقداسة وبهجة يوم السبت، وحددت طقوسه ومحرماته، وهي أمور جعلت منه يوماً متميزاً عن باقي الأسبوع عند اليهود⁽³⁾، والسبت كلمة عربية يقابلها في العبرية «شبت» أي السابع⁽⁴⁾ والكلمة العبرية مشتقة من كلمة «شبتو» التي كان يستخدمها البابليون للإشارة لأيام الصوم والدعاء، وإلى مهرجان القمر الكامل، ولذلك يتضح أثر الحضارة البابلية على الطقوس العبرانية، والسبت هو العيد الأسبوعي أو يوم الراحة عند اليهود، ويقول الحاخامات إن الله قد خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، ولذلك بارك هذا اليوم وقده وحرم فيه القيام بأي نشاط⁽⁵⁾،

(1) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 170 .

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 255 .

(3) - نفس المرجع، ص 229 .

(4) - القس كيرلس كيرلس: أصوامنا بين الماضي والحاضر أصولها الروحية وجذورها التاريخية، القاهرة 1983 ، ص 107 .

(5) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 211 حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 166 .

وكما يقول الكتاب المقدس «غداً عطلة سبت مقدس للرب»⁽¹⁾. ويرى بعض الباحثين إن تقديس السبت هو إحياء لذكرى خروج اليهود من مصر وتخليصهم من العبودية⁽²⁾، ولذلك لايسافر اليهودي أيام السبت، فإن كان سفر اليهودي في قافلة، تزيد مدتها عن ستة أيام تخلف عنها وإن كان اليهودي غنياً أو صاحب نفوذ أو سطوة فإنه يستطيع أن يقنع القافلة كلها بالتوقف يوم الراحة الأسبوعية لليهود وهذا الوضع استمر سائداً دون تغيير حتى القرن السابع عشر الميلادي⁽³⁾، وهذا يؤكد التزام اليهود بالراحة في يوم السبت⁽⁴⁾.

الاحتفال الصوفي بيوم السبت:

كان لليهود المغرب الأقصى خصوصية في الاحتفال بيوم السبت، فيشير كتاب الزوهار⁽⁵⁾، إلى أن هناك عشرة أوامر ينبغي على اليهود المغربي القيام بها في يوم السبت، وتبدأ هذه الأوامر بغسل اليدين وإعداد خبزتين لكل وجبة من

-
- (1) - التوراة سفر الخروج الاصحاح 16 اية 23 .
 - (2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص212 «إن الشعب» المبارك لم يخرج من مصر بل طرد منها لانتشار البرص والأمراض الجلدية بين أفراد «وهو مايعززه انشغال سفر اللاويين انشغالاً خاصاً مطولاً بتلك الأمراض، ولأن المصريين كانوا قد اعتبروا «الشعب اليهودي» دائماً الشر الذي حل بالأرض ومن واقع ما تحكيه التوراة ذاتها، ظل الشعب يتمرد في القفر ويحاول العودة إلى مصر وينوح على ما حرم منه من خيرات وعيش رغد باخراجه. انظر شفيق مقار: السحر في التوراة العهد القديم ص418 .
 - (3) - صابر دياب: دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة المصرية للدراسات التاريخية عدد 24 ، القاهرة 1977 ، ص68 .
 - (4) - الونشريسي: نفس المصدر، ج8 ص262 .
 - (5) - الزوهار: كلمة عبرية تعني «الاشراق أو الضياء» وكتاب الزوهار هو أهم كتب التراث القبالي، وهو عبارة عن تعليق صوفي مكتوب باللغة الآرامية والعبرية على «المعنى الباطني» للعهد القديم، وينسب إلى الحاخام سيمون بن يوحان، ولكن يقال إن موسى بن ليون مكتشف كتاب الزوهار، في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو مؤلفه الحقيقي. انظر عبد الوهاب محمد المسيري الموسوعة، ص206 ، أسعد رزوق: التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث بيروت 1970 ، ص183 .

الوجبات الثلاث التي يتناولونها ويلي ذلك غسل المصاييح التي تنير مائدة الطعام، ثم مباركة كأس الخمر التي تفتح بها الوجبة عند بدء الطعام تبدأ مدارس التوراة في أثناء الجلوس حول المائدة والدعاء والتسبيح وأخيراً شرب كأس الخمر الأخير⁽¹⁾، وتمثل الخبرتان المتناولتان في الوجبة الشريعتين اللتين أنزلتا في يوم السبت، فالخبزة الأولى تمثل الشريعة المكتوبة، والخبزة الثانية تمثل الشريعة الشفوية، ويعتقد اليهود أن نار جهنم تخبو في يوم السبت فلا تحرق شيئاً⁽²⁾، وعادة ما يبدأ الاحتفال بيوم السبت بعد الظهر من كل جمعة.

ففي المغرب الأقصى وجد عند اليهود شعر يروونه في يوم السبت، وهو عبارة عن تراثيل خاصة تجمع بين الرمز الصوفي، والأمل في الرجوع إلى الأرض المقدسة، ومن الشعراء الذين نظموا مثل هذا الشعر اسحاق لوريا وسلمون هيلفي الذي قال في إحدى قصائده:

لنذهب حبيبي لاستقبال الخطيبة

وببدأ المقطع الثاني هكذا:

لاستقبال السبت علينا أن نذهب

لأنه مصدر كل بركة⁽³⁾.

وتسهر الطوائف المغربية من منتصف ليل الجمعة حتى صباح يوم السبت وهم ينشدون المدائح في تمجيد الإله بترديد مزامير داوود⁽⁴⁾.

-
- (1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 229 ، 230 .
 - (2) - المرجع السابق، ص 230 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 230 ، 231 .
 - (3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 231 .
 - (4) - لم ينفرد الاسرائيليون بالمزامير فنجدوها عند غيرهم من الشعوب الأخرى أمثال البابليين وقدماء المصريين، والشبه بين الفنين كبير جداً بل معظم المزامير العبرية ترجع في الواقع إلى الأدب البابلي حيث كان أثر البابليين شائعاً جداً في فلسطين قبل السبي البابلي منذ عهد الملك «أحاز منشى» حيث انتقلت الديانة البابلية وقت ذاك بمزاميرها وترانيمها الخاصة وكانت تغنى في الأعياد. وقد اهتمدى الباحثون الذين يعنون بالمصريات إلى الصلة القوية بين الفنين. انظر جيمس هنري برستد: فجر الضمير، ترجمة ←

ونشيد الأناشيد⁽¹⁾، للملك سليمان، ثم الألحان والتراتيل التي نظمها كتاب من الأجيال السابقة والمعاصرة في فترات من تاريخ المغرب، وينتهي احتفال يوم السبت عند حلول الليل بعد صلاة الغروب⁽²⁾.

3 - عيد رأس السنة اليهودية (روش هاشاناه):

اختلف المؤرخون والكتاب حول مناسبة هذا العيد، فذكر البعض أنه بمناسبة قتل «جداليابن احيقام» الذي ولاه بختنصر ملك بابل على البقية الباقية من اليهود في فلسطين بعد الاستيلاء عليها⁽³⁾، وقال البعض إنه ليست له أية مناسبة تاريخية وذكر في «المشناه» إن هذا اليوم هو اليوم الذي بدأ الله فيه خلق العالم⁽⁴⁾، ولهذا العيد عند يهود المغرب احتفال خاص فهو يأتي في نهاية فترة من الزهد تستغرق كل شهر «أيلول» وهو آخر شهر من السنة، وتكون فيه أعمال الإنسان بين يدي عدالة السماء. وتعتبر هذه الفترة التي تمتد إلى «يوم كييور» عيد الغفران مناسبة للتشدد فيما تأمر به الشريعة، وهي عبارة عن جلسات ليلية تعقد لصلوات التوبة يومياً في الساعات التي تسبق الفجر⁽⁵⁾. وبعد صلوات التوبة يستيقظ سكان حي الملاح ويملأونه حيوية، وعندما تلمس الشمس قمم الأشجار يبدأ طقس «النعيلة» أي اختتام الاحتفال وتقرأ البركة

← سليم حسن، عمر اسكندر، علي أدهم، مكتبة مصر القاهرة 1980 ، ص 302 - 304 ،
فؤاد حسنين علي: التوراة هيروغليفية، دار الكاتب العربي القاهرة، ص 131 ، شفيق مقار:
السحر في التوراة، ص 450 - 453 .

(1) - هذه الأناشيد ليست من وضع فرد بعينه بل مؤلفها هو الشعب وجامعها مجهول، أما زمان جمعها فيرجح إنه تم في القرن الثالث ق.م، بعد عصر سليمان، وذلك بدليل اللغة التي نجدها في التشيد، ولو أن بعض أغانيه قديمة جداً. انظر فؤاد حسنين علي: نفس المرجع، ص 164 ، السيد محمود القمني: الأسطورة والتراث، ص 195 .

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 234 .

(3) - حسن ظاظا: الفكر الدين اليهودي، ص 168 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 276 .

(5) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 275 .

الكهنوتية الرسمية وينفخ في البوق ويعلن نهاية الندم والافطار بعد الصوم⁽¹⁾.

4 - عيد يوم الغفران (يوم كيبور):

هو أهم الأعياد اليهودية، ويعتبر أقدس يوم في السنة ويطلق عليه سبت الأسبات، ويبدأ الاحتفال بهذا العيد قبيل غروب شمس اليوم التاسع من تشرين «أكتوبر» ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي أي حوالي 25 ساعة يصوم اليهود خلالها ليلاً ونهاراً ولا يقومون بأي عمل آخر سوى التعبد. والصلوات التي تقام في هذا العيد هي أطول صلوات، ويختتم الاحتفال في اليوم التالي⁽²⁾. وقد جعلوا من يوم الغفران أو التكفير هذا يوماً يعلنون فيه نقدهم للعهد والمواثيق التي قطعوها لغير اليهود كما سبق القول⁽³⁾، ويختتم الاحتفال في اليوم التالي بصلاة النعيلة التي تعلن أن السماوات قد أغلقت أبوابها⁽⁴⁾، وبمجرد ما ينتهي اليهود من الاحتفال بيوم الغفران يبدأون في الاحتفال بعيد الظلل.

5 - عيد التدشين (الחנוكة):

يرجع هذا العيد إلى عام 165 ق.م حين كانت بلاد الشام وساحل البحر المتوسط تحت السيطرة البطلمية وحاول «انطيوخوس ابيخانس» ارغام اليهود على عبادة الاله زيوس، فألغى إقامة الطقوس الدينية اليهودية في بيت المقدس، وحرّم الختان، والامتناع عن أكل لحم الخنزير، لكن سياسة انطيوخوس التي كانت تهدف نشر الحضارة الاغريقية وجعلها رابطة الوحدة الاغريقية فصادفت

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 283 ، 284 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 278 .

(2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 278 ، اقترن هذا العيد بذكرى تدمير اورشليم عام 586 ق.م وكذلك تدمير خط بارليف والانتصار الباهر في يوم 6 أكتوبر عام 1973 م العاشر من رمضان لعام 1393 هـ .

(3) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 169 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 252 .

مقاومة عنيفة من اليهود، عندما قاد كاهنهم متاتياً حركة مقاومة ضد انطيوخوس، يعاونه أبناؤه الثمانية وأمكن للكهنة «متاتياً» بمساعدة أصغر أبنائه «يهوذا المكابي» استعادت الهيكل من البطالمة وفتحه من جديد للشعائر الدينية، ولكنهم لم يجدوا الزيت الكافي لضاءة الهيكل فوزعوا الوقود على المصابيح التي يوقودونها على أبواب دورهم في كل ليلة حتى تمت ثمانى ليالى وهي مدة العيد⁽¹⁾.

وعني الاسم «حنكة» أو «الخانوكا» أو «الخانوكا» التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من تماثيل آلهة البطالمة⁽²⁾، ويطلق عليها أيضاً عيد الأنوار بسبب تحقيق معجزة أن قارورة من زيت طاهر كانت كافية لآلئة الشمعدان في أيام العيد الثمانية. ويحتفل في هذا العيد بإعداد الطعام والأفراح واللهو وبعد «خانوكا» مناسبة للألعاب والتسلية للأطفال والرواج للصناع الفاسيين الذين كانوا يصنعون لهذا العيد الشمعدان الشرعي ذا العروش التسعة ونماذج أخرى صغيرة للأطفال⁽³⁾. والقراؤون لايعترفون بهذا العيد⁽⁴⁾، ولكن جذور هذا العيد نجدها في التوراة حيث تقول: «فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل، فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصلي للرب ليرفع عنا الحيات... فقال الرب لموسى: إصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا فصنع موسى حية من النحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا»⁽⁵⁾.

(1) - ابراهيم نصحي: مصر في عصر البطالمة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1980 ، ج1 ص 221 - 223 ، زكي شنودة: المرجع ص283 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص171 ، فؤاد علي حسنين: نفس المرجع، ص194 .

(2) - المقرئزي: الخطوط، ج2 ص473 ، حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص171 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص275 ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص127 .

(3) - حايم زعفراني: نفس المرجع، ص257 ، 258 .

(4) - المقرئزي: الخطوط، ج2 ص473 .

(5) - التوراة سفر العدد، الاصحاح 21 آية 6 - 9 .

فعيد بنو إسرائيل تلك الراية طوال قرون بعد صنع موسى - عليه السلام - لها ورفعها فوق رؤوسهم حتى جاء حزقيا بن أحاز ملك يهوذا (وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوفدون لها)⁽¹⁾.

ومحجزة هذا العيد هي استمرار الزيت الذي يضيء الشمعدان ذا التسعة فروع، وهذا يؤكد انفصال اليهود ورفضهم للاندماج والتعامل مع الحضارات الأخرى، ولذلك تبالغ الصهيونية في الاحتفال به، ويستمر هذا العيد ثمانية أيام بدءاً من الخامس والعشرين من كسلو «ديسمبر»⁽²⁾.

6 - عيد النصيب (البوريم):

وهذا العيد بالعبرية عيد البوريم من كلمة «بور» أو «فور» الفارسية ومعناها «قرعة» ويحتفل به في الرابع عشر من آذار «مارس» وذلك بأن يسرفوا في الشراب⁽³⁾، ولذا فقد سماه العرب عيد المسخرة أو المساخرة⁽⁴⁾.

وتدور الأصول التاريخية لهذا العيد حول قصة المرأة اليهودية «استير»

(1) - التوراة سفر الملوك الثاني اصحاح 18 آية 4 ، نشأت في اليهودية طائفة عرفت باسم «عبدة الحية» ظلت متمسكة في العصور الأولى من انتشار المسيحية بعبادة الحية رافضة عبادة اليهود. وفي المنارة المقدسة «المينورا» أي الشمعدان الشعائري ذا الأفرع السبع - وقيل تسعة - يرمز الفرع الرابع الذي يتوسط هذا الشمعدان للحية الشاتوكا أو الحانوكا في عيد الأضواء بثمانية أذرع حتى لا يجد عبدة الحية فرعاً أوسط يضعون عليه حيثهم المقدسة. انظر شفيق مقار: السحر في التوراة، ص 179 ، 180 .

(2) - عبد الوهاب محمد المسري: الموسوعة، ص 275 .

(3) - عبد الوهاب محمد المسري: الموسوعة، ص 277 ، الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 78 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 258 ، قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص 126 ، اليهود في مصر، ص 48 ، ذكر أن اليهود يصومون اليوم الثالث عشر من شهر آذار تذكراً لصوم أستير مع كل اليهود لكي يبطل الله مشورة هامان الذي أراد أن يقبض عليهم، انظر كيرلس: نفس المرجع ص 44 ، 45 .

(4) - المقرئزي: الخطط، ج 2 ص 473 . حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 172 .

الواردة في السفر المعروف باسمها في التوراة، ويتكون من عشرة اصحاحات⁽¹⁾، تحكي قصة تدمير مملكة أورشليم في ستة عشر من آذار عام 597 ق.م وترحيل ثلاثة آلاف يهودي إلى وادي الرافدين، ومرة أخرى عام 595 ق.م لمعاقبة مملكة يهوذا، واستمر الحصار ثمانية عشر شهراً استسلمت مملكة أورشليم وألقى القبض على صدقيا - ملك أورشليم - وأجلى الآلاف من اليهود مع ملكهم إلى بابل⁽²⁾، وهدمت أسوارها وأحرق بيت الإله وسقطت مملكة أورشليم في عام 587 ق.م⁽³⁾. وعندما سقطت بابل في يد الفرس في عام 538 ق.م سمح الملك كورش لليهود بالعودة من المنفى وبناء المعبد من جديد⁽⁴⁾، وعاد من المنفى اثنان وأربعون ألفاً من بني إسرائيل ومعهم سبعة آلاف من الغلمان والجواري عملوا على تجديد بيت المقدس⁽⁵⁾.

وبالبحث في تاريخ إيران القديم لم أجد ملك باسم اكسر كيس الذي وقع في غرام استير أثناء السبي البابلي لأن السبي لم يستمر طويلاً فقد ظل حوالي واحد وخمسين سنة من عام 587 ق.م إلى عام 538 ق.م، إلى جانب أنه لا توجد امرأة باسم استير في البلاط الفارسي وكذلك السفر لا يعتبر من الأسفار القانونية⁽⁶⁾، ولكن ربما أراد المؤلف بهذه القصة أن يرفع الروح المعنوية لليهود.

-
- (1) - سفر استير يتكون من عشرة اصحاحات وليس 12 اصحاحاً. انظر قاسم عبدة قاسم أهل الذمة في مصر، ص 126، اليهود في مصر، ص 48.
 - (2) - حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص 32.
 - (3) - جورج رو: العراق القديم، ترجمة وتعليق، حسين علوان حسين، الشؤون الثقافية العامة بغداد 1986، ص 508، 509، سبتينو موسكاني: الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الرقي بيروت 1986، ص 146.
 - (4) - سبتينو مسكاني: نفس المرجع، ص 147.
 - (5) - حسن بيرنا: تاريخ إيران القديم من البداية حتى العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، راجعة يحيى الخشاب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1979، ص 84.
 - (6) - قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر، ص 126، اليهود في مصر، ص 48.

على أي حال فإن هذا الاحتفال الذي يقام في كل سنة في ذكرى خلاصهم كما ذكر في سفر استير نجد أيضاً احتفالاً مشابهاً له في مصر، حيث كان اليهود مضطهدين جزاءً لمساعدتهم الملك فيلومتور ابن بطليموس السادس (180 ق.م - 170 ق.م) وزوجته كليوباترا الوصية على العرش والذي كان يعتمد على حزب الأشراف في الاسكندرية وعلى طائفة اليهود التي كانت كثيرة العدد في تلك الفترة ضد الملك يورجتيس الثاني (بطليموس السابع 170 - 116 ق.م). والذي عدل عن رغبته⁽¹⁾ في الانتقام من اليهود خوفاً من عقاب السماء واستجابة إلى توسلات حظيته - ويطلق عليها اثافي والبعض الآخر يطلق عليها ايريني - وهذا هو منشأ الحفل المشهور الذي كان يهود الاسكندرية يقيمونه كل عام احتفالاً بذكرى نجاتهم من الهلاك⁽²⁾.

وليست هذه الملاحظات هي الوحيدة التي تسوقها الأدلة التاريخية على عدم تاريخية قصة استير فالتاريخ الايراني لا يعرف ملكة تدعى فشتي (بوشتي)⁽³⁾، ويبدو أن هذه القصة - الملكة استير - فيما يبدو لم تكن إلا شخصية قصصية من نسج الخيال اليهودي الخصب، ولم يقم دليل واحد على وجودها تاريخياً⁽⁴⁾. وفي النهاية فهي خرافة جعل الكهنة منها قصة مقدسة ودعو إلى الإيمان بها مع أن تصديقها يعد مستحيلاً نظراً لأن هذه القصة المقدسة تبدأ عادة بما يتنافى مع الآداب والأخلاق⁽⁵⁾، حيث تقول التوراة (لقد

(1) - لم يعدل عن رغبته بل قام بأعمال وحشية في عدد كبير من أعدائه لذلك ظهر النقص في عدد سكان الاسكندرية وهذه الجرائم ارتكبت في فترات متلاحقة طوال مدة حكم (ايرجيتيس الثاني) الطويلة من مدة (170 - 116 ق.م) انظر سليم حسن: مصر القديمة، القاهرة بدون تاريخ، ج16 ص396 .

(2) - ابراهيم نصحي: نفس المرجع، ج1 ص232 ، مصطفى كمال عبد العليم: نفس المرجع، ص83 ، جلانفيل داووني: انطاكية القديمة، ترجمة ابراهيم نصحي، نهضة مصر القاهرة 1967 ، ص84 ، 85 ، سليم حسن: نفس المرجع، ج16 ص400 .

(3) - فؤاد علي حسنين: نفس المرجع، ص174 .

(4) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص177 .

(5) - ليوتا كسيل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل، دار الجندي - دمشق 1994 ، ص497 ، حسن ظاظا: أبحاث في الفكر اليهودي، ص108 .

طردت وشتى لأنها رفضت أن تقف عارية أمام الشعب ولكن يبدو أن استير وافقت على ذلك»⁽¹⁾، إلى جانب أن الترتيب التوراتي هو سرد لقصص ليست لها علاقة بالتاريخ⁽²⁾.

ولكن كيف يحتفل اليهود بهذا العيد المزيف في المغرب؟ وبأي شيء ارتبط بيهود المغرب رغم أنه ليس له أي أساس من الصحة التاريخية.

ففي المغرب الأقصى تقام قبل غروب الشمس وليمة كبرى وفي الصباح وأثناء الصلاة تنتقل بينهم كأس بوريم «تست بوريم» لكي يلقي فيه كل واحد من الحضور ما استطاع من نقود ويقدم بعض ما جمع له (نستريم) أي لمستحقه من اليهود الفقراء المجهولين والبعض الآخر من هذه النقود كان يفتدى به الأسرى⁽³⁾.

والأعياد فرصة كبيرة للابداع الأدبي ففي بداية القرن الرابع عشر الميلادي بين عامي (719 - 722هـ / 1319 - 1332م) كتبت ثلاث هزليات. واحدة لقلونيموس، وثانية لمكلاك سلاريم، والثالثة هي سفر حبقوق هتفي المنسوبة إلى ليفي بن جرسون، حيث استعملوا الآداب التلمودية في أغراض الدعاية واللهو⁽⁴⁾.

وفي المغرب أيضاً استخدم اليهود العيد للافراط في الملهيات والمأكول، وهذا العيد أصبح رمزاً للجاهل فإن طوائف المغرب كغيرها من الطوائف الأخرى اتخذت لها أعياد «بوريم» أخرى خاصة أو محلية سميت بأسماء مختلفة، مثل بوريم سبيتانوس المسمى أيضاً بوريم المسيحيين. وهذا عيد بدأ الاحتفال به بعد

(1) - التوراة سفر استير الاصحاح 1 - ايه 1 .

(2) - ليوتاكسيل: نفس المرجع، ص 499 ، ماهر سمك: نفس المرجع، ص 144 ، يقول إن استير زوجة اسوريوس وأبيها مردخاي. انظر ماهر سمك: نفس المرجع، ص 144 ، ولكن الصحيح إن استير بنت عم مردخاي ولم يكن لها أب ولا أم. انظر التوراة سفر استير الاصحاح 2 ايه 7 .

(3) - حايم زعفراني: نفس المرجع، ص 259 .

(4) - حايم زعفراني: نفس المرجع، ص 261 ، 262 .

معركة الملوك الثلاثة⁽¹⁾، وانتصار السلطان المنصور الذهبي على الدون سيستيان ملك البرتغال في الرابع من اغسطس عام 1578م في معركة القصر الكبير والمعروفة بوادي المخازن ويحتفل بهذا الحدث كل سنة خصوصاً في طنجة وتطوان وفاس⁽²⁾.

7 - عيد الأشجار الجديدة «طاوبشباط»:

ارتبط هذا العيد بسقوط الأمطار لاجراج أعشار الأرض للسنة اللاحقة، وموعده الخامس عشر من شباط «فبراير» وجاء ذكره في الفصول الأولى من المشناة والتلمود وأثار هذا العيد انتباه متصوفي اليهود في مدرسة صفد في القرن السادس عشر الميلادي، فأعطاه أحد هؤلاء المتصوفة وهو اسحاق لوريا دلالة باطنية. ولم يحتفل به كل اليهود المغاربة ولكن وجد عند بعض العائلات اليهودية المغربية حيث تعد مائدة عليها الأنواع السبعة التي تذكرها التوراة⁽³⁾، «وهي حنطة وشعير وكروم وتين ورمان وزيت زيتون وعسل»⁽⁴⁾ إلى جانب الأطفال الذين كانوا يفرحون في هذا العيد.

تلك هي الأعياد التي جاء ذكرها في التوراة والتلمود والمشناة والزوهار وكيف كان يتم الاحتفال بها عند يهود بلاد المغرب الأقصى.

(9) - بعض العادات الاجتماعية لدى يهود المغرب الأقصى:

انتشر بين يهود المغرب الأقصى عادات اجتماعية الحسن منها قام على ما يميزون به من روح الترابط باعتبارهم أقلية داخل مجتمع مسلم ولذلك كانوا

(1) - الملوك الثلاثة هم 1 - أبو العباس أحمد الأول «المنصور الذهبي» (986 - 1012 هـ / 1578 - 1603 م).

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 264 .

(3) - المرجع السابق، ص 285 .

(4) - التوراة سفر التثنية الاصحاح 8 آيه 8 .

يتوادون ويتزاورون فيما بينهم ويحرصون على المشاركة في الاحتفالات الدينية والمناسبات الخاصة بهم وما تتميز به من عادات اجتماعية ومع ذلك فقد انتشرت بينهم عادات سيئة ومن أشهر هذه العادات.

(أ) شرب وتجارة الدخان «التبغ والحشيش»:

عرف الحشيش منذ عصور سحيقة فقد عرفه المصريون واليونان والصينيون. والمعروف أنه نشأ في بداية الأمر في أواسط آسيا ثم أخذ ينتشر في معظم بلاد الدنيا خاصة آسيا وأفريقيا⁽¹⁾، ويحتمل أن كلمة حشيش اشتقاق من كلمة «شيش» العبرية ومعناها فرح، وذلك نسبة إلى تأثيره المفرح⁽²⁾، والحشيش هو الاسم العربي لنبات القنب الهندي وكان في قيسارية فاس عدة دكاكين لبيع الحبال والخيوط والأمراس وإرسال الخيل المصنوعة من أليافه⁽³⁾.

ومع دخول القرن الرابع عشر الميلادي انتشر استعمال الحشيش في الشمال الإفريقي⁽⁴⁾ وزاد مع مجيء الاستعمار الأوروبي للمغرب ومع مجيء اليهود المطرودين من بلاد الأندلس، فبدأ المغاربة في تقليدهم في الانغماس في الملذات من مأكّل ومشرب ومسكن وانتشرت بينهم الرذائل مثل استعمال التبغ بالتدخين أو النشوق⁽⁵⁾، إلى جانب ارتباط التبغ والحشيش بسفلة القوم وأماكن البغاة، حيث يوجد اليهود⁽⁶⁾. وكان يوجد للتبغ سوق بمراكش لبيعه⁽⁷⁾، وكذلك في فاس سوق لبيع الدخان⁽⁸⁾. وبذلك يتأكد انتشار هذه الآفة في

(1) - سعد المغربي: ظاهرة تعاطي الحشيش دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف مصر 1963، ص 52 .

(2) - المرجع السابق، ص 52 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 240 .

(4) - مصطفى سويف: المخدرات والمجتمع نظرة تكاملية، عالم المعرفة الكويت عدده 20 ، 1996 ، ص 41 .

(5) - صالح محمد: دولة بني وطاس، ص 119 ، 120 .

(6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 250 ، 251 .

(7) - الادريسي: نفس المصدر، ج 1 ص 235 ، الحميري: نفس المصدر، ص 541 .

(8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 244 .

جسم المجتمع المغربي بما فيه اليهود بعد القرن السابع الهجري⁽¹⁾. ونظراً لانتشاره واستعماله بكثرة قام بعض فقهاء المغرب يدعون للقضاء على هذه العادة والتخلص منها⁽²⁾.

(ب) الخمر:

انتشر شرب الخمر عند كثير من المغاربة وكان لليهود دور كبير في ذلك سواء في صناعة الخمر أو في تجارتها وبيعها لهم، وكذلك في شربها. ولذلك نجد السلطان أبا الحسن المريني (731هـ / 1331م) اشترط على اليهود ألا يجاهروا بالشرب، ومن ضبط منهم وهو ثمل أو ثبت عليه أنه باع الخمر لأحد الرعايا المسلمين عوقب بشدة⁽³⁾. ولكون الشرع الإسلامي يمنع الخمر ويلعن صانعه وحامله وشاربه لجأ المسلمون إلى اليهود لشراؤه منهم. ولكونهم - أي اليهود - يشربونه في المناسبات الخاصة بهم إلى جانب حياتهم اليومية وكذلك لكونه حرفة من حرفهم، وجد اليهود التربة الخصبة لتوزيع تجارتهم سواء كانت خموراً أو دخان «تبغ» وحشيش بين المغاربة.

وللحد من هذه الحرفة، حرم بيع أصول الكروم لليهود نظراً لقيامهم بعصره وتخمييره⁽⁴⁾. ونظراً لارتباط صناعة الخمر باليهود وأهل الذمة بصفة عامة، فعندما ثور العامة بسبب أي مشاكل خاصة بالبلاد كانوا يهجمون على الملاح الخاص بسكنى هؤلاء اليهود للانتقام منهم لكثرة معاقرتهم الخمر بحيي الملاح⁽⁵⁾، ولم تفلح جهود السلطة في اقتلاع جذوره حيث انتشرت صناعة

(1) - عكس ما يذكر أن مجيء الدخان مع وصول السودانيين القادمين من تمبوكت عام 1005 - 1006 هـ / 1597 - 1598 م ثم إلى فاس 1007 هـ / 1599 م انظر محمد حجي: نفس المرجع، ج1 ص146 .

(2) - صالح محمد: دولة بني وطاس، هامش ص120 .

(3) - عادل عبد العزيز: الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين (668 - 869 هـ / 1269 - 1465 م) رسالة ماجستير في الدراسات الافريقية من قسم التاريخ غير منشورة القاهرة 1982 ص217 .

(4) - الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص69 .

(5) - ابن خلدون: نفس المصدر م7 ج13 ص654 .

الخمور عند أهل الريف⁽¹⁾، وكذلك في بلاد نول لمطة وتاذ كاغيست وهي بلاد لمتونة الصحراء⁽²⁾.

ومع ضعف السلطة المركزية في فاس زاد انتشار صناعة الخمور خاصة في الجنوب المغربي الوعر المسالك البعيد عن يد الحاكم والقاضي والمحاسب، ففي باديس غمارة وجد أكثر من مائة منزل لليهود تباع فيها أجود الخمور⁽³⁾.

ونظراً لانتشار هذه الظاهرة بأرجاء المغرب الأقصى فقد ظهر رد الفعل عند بعض المتصوفة مثل الشيخ عبد الله الهابطي الذين ذهب إلى أعيان كل قبيلة وعقد معهم جلسات طويلة وجمع الناس حوله ولم يغادر المكان إلا وأخذ العهد من الأعيان والوجهاء على الالتزام بعدم التعامل بالربا والتحذير من عصر الخمر، ولم يخرج من المدثر إلا وقد أريق الخمر وتاب متعاطوها وخزنتها. وفي هذا الشأن يروي ولده محمد الصغير الهابطي (ت 1100 هـ / 1592م) بأن والده أراق في سنة واحدة ما يزيد عن الألفين من الدنان⁽⁴⁾، وعن دور اليهود في صناعة وشرب الخمر يقول مؤرخ: إن اليهود نظروا إلى الخمور على أنها عمل من أعمال الشيطان⁽⁵⁾. وتقربهم منهم، لأن التوراة تبعدهم عنها. ولكن كيف وهم يكتسبون من وراء هذه الحرفة ويستخدمونها في تجارتهم التي يبيعونها للغير.

(ج) الزنا:

يضاف إلى عادة شرب الخمر عادة اجتماعية لاتقل خطورة وهي عشق الغلمان التي انتشرت في أوساط خاصة دون إنكار وجودها في أوساط عامة⁽⁶⁾.

(1) - الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص250

(2) - الادريسي: نفس المصدر ج1 ص223 ، 224 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص336 ، مارمول كريخال: نفس المصدر ج2 ص231 .

ولمزيد من التفاصيل انظر ص251 - 253 .

(4) - عبد القادر العافية: الداعية عبد الله الهابطي، مجلة دعوة الحق عدد 4 المغرب 1979 ، ص40 .

(5) - Franz Rosenthal. the jewish foundation of islam new york 1967 . P. 152.

(6) - ابراهيم القادري: المغرب والأندلس، ص99 .

ففي الأوساط الخاصة كانوا يبحثون عن وسائل جديدة للمتعة، أما بالنسبة للعامة فذهبوا إلى الملاهي وأماكن الدعارة الموجودة بفاس وغيرها إلى جانب وجود بيوت عامة تمارس فيها البغايا مهنتهن بثمن بخس وتستمد هؤلاء النسوة حمايتهن من مفوض الشرطة أو من قبل حاكم المدينة⁽¹⁾.

ويقوم خارج فاس ناحية الغرب ربض يضم حوالي خمسمائة أسرة كل بيوته متواضعة يسكنها فقراء الناس، ويقيم فيه بنات الهوى الكثيرات العدد، وكانت هذه البيوت أيضاً مسرحاً للمقامرين بالنرد وبائع الخمر حيث يمكن إقامة حانة أو بيت دعارة⁽²⁾، إذا كان ثمة عدد كبير من اليهوديات في هذه البيوت خاصة منهن الآتيات من الأندلس، إثر طرد اليهود من الأندلس وقدم الكثير منهم إلى بلاد البربر، أتيح للمسلمين بالمغرب ارتياد هذه البيوت بدون عقاب. وكان لهجرة اليهود إلى المغرب أكبر الأثر في ذلك حيث مرت أكبر أزمة لليهود تساوي أزمة السبي البابلي أو الطرد من مصر⁽³⁾.

فلم تكن المتعة هي التي تقود في الأصل إلى هذه الانحرافات إنما كان للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها اليهود أثر كبير، إذ كانت الخمارات التي كان يجتمع فيها أحياناً داخل الملاح يهود وغير يهود يُمارَس فيها الفسق والانحلال مما جعل النكيد (رئيس الطائفة اليهودية بالمغرب الأقصى) بالاتفاق مع السلطات الحاكمة يعمل على الحد من تجارة المشروبات الكحولية، ومنع اليهود من بيعها لجيرانهم المسلمين أو تقديمها لهم عند دعوتهم لتناول الطعام⁽⁴⁾.

وإذا كانت التوراة حرمت البغاة فإنها لم تحرمه إلا مع بنات بني إسرائيل، والوصايا العشر لا تمنع في ممارسة البغاة في أرض أخرى ومع بنات الغرباء⁽⁵⁾،

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 250 .

(2) - المصدر السابق، ص 278 .

(3) - كيرلس كيرلس: نفس المرجع، ص 39 ، 40 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 138 .

(5) - سلام خياط: البغاة عبر العصور أقدم مهنة في التاريخ، رياض الريس للكتب والنشر لندن قبرص 1992 ص 67 .

والتلمود يصرح للإنسان اليهودي أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سراً لعدم الضرر بالديانة⁽¹⁾، والتلمود لا يعتبر القريب إلا اليهودي فقط، فأتیان الأجانب وممارسة الدعارة معهم أمر جائز⁽²⁾. وفي التلمود لا يلام اليهودي إذا تعدى على الأجنبي لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة والعقد لا يوجد في البهائم⁽³⁾. ولذلك كان اليهود يمارسون الدعارة أو يمارسون التجارة مع الرقيق بقصد الثراء السريع وإذا ما افتقر اليهودي وعجز عن وفاء دينه اضطر إلى بيع نفسه للدائن⁽⁴⁾، واليهودي يرى أن استرقاق الأجنبي حق لليهود لأن الله جعل الأجانب عبيد لليهود⁽⁵⁾، ولذلك انتشر الزنا في بلاد عدة على أيدي اليهود، ونخص المغرب الأقصى بالذات نظراً لكثرة ماورد على هذه البلد من يهود من اسبانيا وماكان بها من يهود أصلاً وبسبب ضعف السلطة المركزية، ولذلك ظهر من ينادون بمحاربة هذه الرذائل، مثل الامام الهابطي⁽⁶⁾ الذي حارب ظاهرة الاختلاط المشين بين الرجال والنساء كالاختلاط في الأعراس والولائم والحفلات والمواسم وعلى شاطئ النهر أو ساحل البحر.... وصب جام غضبه على مثير الشهوات ومشجعي الفسق والفجور والسكر⁽⁷⁾.

(1) - صالح محمود صالح: الإنسانية والصهيونية والتلمود منشورات فلسطين المحتلة بيروت 1980، ص 41.

(2) - المرجع السابق، ص 42.

(3) - المرجع السابق، ص 42، 43.

(4) - عبد السلام الترماني: الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، عدد 23 الكويت 1979 ص 29.

(5) - المرجع السابق، ص 30.

(6) - ولد الامام عبد الله الهابطي بضواحي طنجة حوالي سنة (789هـ / 1485م) ويعد من الشخصيات التي كان لها تأثير كبير على المجتمع المغربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وذلك نظراً للدور الذي قام به في ميدان الاصلاح الاجتماعي انظر عبد القادر العافية نفس المرجع ص 37.

(7) - عبد القادر العافية: نفس المرجع، ص 40.

الفصل الثالث

يهود المغرب الأقصى والحياة الاقتصادية

- 1 - النشاط الزراعي ليهود المغرب الأقصى
- 2 - النشاط الحرفي والصناعي ليهود المغرب الأقصى
 - آ - دباغة الجلود وصباغتها وتصنيعها.
 - ب - صناعة المعادن والتعدين.
 - ج - معدن الحديد والنحاس.
 - د - صناعة النسيج.
- 3 - التجارة الداخلية ودور يهود المغرب الأقصى فيها.
- 4 - التجارة الخارجية ودور يهود المغرب الأقصى فيها.
- 5 - طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والمواني وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى:
 - 1 - بيع النجش
 - 2 - بيع الجزاف
 - 3 - بيع المرابحة

4 - بيع السلم (السلف)

5 - المضاربة

6 - الحوالة

7 - الوكالة

8 - الموازين والمكايل

9 - النقود

(1) النشاط الزراعي ليهود المغرب الأقصى:

لم تلعب الزراعة دوراً كبيراً في حياة اليهود بالمغرب الأقصى مثل الصناعة والتجارة، نظراً لكثرة تشتتهم وعدم استقرارهم في مكان معين رغم حرص التلمود على أن الرجل الذي لا يملك أرضاً لا يعتبر إنساناً⁽¹⁾، وتوجد عدة أسفار في التلمود تحض نصوصها على الزراعة مثل السفر الأول الذي يسمى «كتاب زراعيم» أي البذور أو الإنتاج الزراعي وسفر «فعاة» أي زوايا الحقل وسفر «ذماي» الذي يتحدث عن المحاصيل الزراعية⁽²⁾... الخ. ومن هنا كان التمسك اليهودي بالزراعة، فمارسوها بحرية، لكن مع الزمن تغير الوضع وأصبح يغلب عليهم الطابع التجاري.

ورغم ذلك تورد لنا المصادر والمراجع عدة إشارات عن وجود بعض الأراضي التي يمتلكها يهود، وهذه الملكية الفردية أو الجماعية ربما كانت نشأتها الأولى بسبب تأثير النفوذ الروماني⁽³⁾. وعندما دخل العرب المغرب بقي الفلاحون المحليون في الأراضي المستولى عليها محتفظين بحيازاتهم لأراضيهم بوصفها أراضي خراج وكانت تعتبر جزءاً من «الفيء» للفاتحين، ومن ثم كانت ملكاً للدولة رسمياً⁽⁴⁾.

(1) - محمد بحر: نفس المرجع ص7 .

(2) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص151 - 157 .

(3) - ماركس: حول الهند والجزائر، تعريب شريف الدشوني، دار ابن خلدون بيروت 1980 ، ص104 .

(4) - بيرى أندرسون: دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1983 ، ص86 .

وكان اليهود في المغرب يفضلون شراء المحاصيل الزراعية من الفلاحين البربر للتجار فيها على الزراعة التي كانت تحملهم مشقة العمل وتحملهم نفقة الأجير لأن المسيحي والمسلم كانا يرفضان العمل أجراء لدى اليهودي، ولذلك كان اليهودي يجمع المحاصيل للتجار فيها بين القبائل المتطاحنة بدلاً من الصبر والاحتمال على انتظار محصول لا يعلم مدى نضجه وحصاده، بخلاف التجارة والصناعة فإنه يستطيع اكتناز ربحها وهي بعيدة عن غدر البيئة المتكرر، الذي يصيب المحاصيل أحياناً في المغرب الأقصى، فضلاً عن بعدهما عن التطاحن القبلي الذي يؤدي أحياناً إلى بوار الأراضي الزراعية، وبذلك يزداد ربحه من التجارة أو من أي حرفة أخرى يكون هو سيدها، أكثر من الزراعة التي لا يستطيع انتظار جني محاصيلها، نظراً لكثرة تعرضهم لغضب السلطة عليهم بسبب خيانتهم. لكن التجارة أو الحرفة مهارة فردية، من الممكن حمل بضائعها والترحال بها إلى مكان آخر يأمن فيه على نفسه وماله، بخلاف الأرض فإنها تربط صاحبها بها وتجعله مستقراً من الصعب مغادرتها.

ولذلك وجدت إشارات نادرة عن دورهم في الزراعة. خاصة لدى اليهود المهاجرين من الأندلس. فكان بعضهم من الأثرياء يزرعون ويمتلكون الأرض، بل ويملكون قرى أو ضواحي بعض المدن بما فيها من حقول وبساتين وحدائق الفاكهة ومزارع العنب. أما اليهود الأقل ثراء، فكانوا يعملون بأنفسهم ويبيعون محاصيلهم⁽¹⁾. وهؤلاء سوف يكون لهم أكبر الأثر عند الهجرة إلى المغرب الأقصى، وسوف يمتهنون نفس المهنة وهي الزراعة وشراء البساتين قبل نضجها والمضاربة عليها.

وهنا يثار تساؤل وهو، هل كان اليهود وخاصة في الجنوب المغربي الذي يكثرون فيه يزرعون الكروم لصناعة الخمر منها؟ أم كانوا يشترون هذه الكروم من المسلمين؟

(1) - Therese and Mendel Metzger, Jewish life in the nidel Ages. switzerland. 1982. P. 153.

الواقع أنه من المستحيل الاعتماد الكلي على شراء أغلب الكروم من المسلمين، خاصة وأنه كان يحرم على المسلمين في بعض السنين بيع الكروم لليهودي⁽¹⁾. وأنهم كانوا يزرعون حتى ولو لصناعة الخمر، إلى جانب تجارتهم الربحية منه، واعتماد الدولة على مكس الخمر كجزء من دخلها⁽²⁾، ولذلك نرجح أن اليهود كانوا يزرعون كثيراً من الكروم اللازمة لصناعة الخمر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى جاءت هجرة اليهود القادمين من الأندلس، وأحسن المغاربة استقبالهم، وكانت لهم إقطاعات كالتى ظهرت في عصر الوطاسيين⁽³⁾، إلى جانب ذلك اعترف الملك البرتغالي دون مانويل في عام 1521م. في كل من أسفي وأزمور للجالية اليهودية بحرية التدين، وضمن لها أمن أملاكها وأرواحها، وقرر مقابل ذلك أن يؤدي كل فرد ضريبة تصل إلى 320 ريال أو أوقية⁽⁴⁾. فهذه الإقطاعات التي توزع عليهم من الناحية النظرية كانت ممتلكات عامة للدولة، يدفع عنها اليهود إيجاراً مقابل انتفاعهم بهذه الإقطاعات، وكان في إمكانهم تحويلها إلى رهون شخصية كأنهم يمتلكونها⁽⁵⁾. ولكن احتكار الدولة للأرض كان أمراً تقليدياً، والملك البرتغالي يملك فيما لاحق له فيه. ولهذا أعطى لليهودي أرضاً في بعض نواحي المغرب الأقصى التي استولى عليها.

وتوجد عبارة غامضة تفيد بوجود عدة جماعات صغيرة في الجنوب المغربي تتعاطى الفلاحة منذ أزمنة عريقة في القدم⁽⁶⁾، وربما كان اليهود بعض هذه الجماعات، يدل على ذلك إشارة الونشريسي إلى شراء مسلم جنة من

-
- (1) - الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص 69 .
 - (2) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج2 ص 709 .
 - (3) - الحسن السائح: نفس المرجع، ص 269 ، 270 ، محمد بن تاويت: إمارة ابن مشعل اليهودية، دعوة الحق عدد 1 السنة 12 المغرب 1980 ، ص 96 .
 - (4) - مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص 92 ، بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص 326 .
 - (5) - بيرى أندرسون: نفس المرجع، ص 86 .
 - (6) - حاييم زعفراني: نفس المرجع ص 158 .

يهودي وحبسها فقام يهودي آخر يدّعي استحقاقها⁽¹⁾. مما يدل على الملكية الخاصة وأنه كان لليهود مكانة خاصة لدى المربين والوطاسيين، ومن خلال هذه العلاقة منحوا اليهود بعض الأراضي لزراعتها والانتفاع بها على ألا تكون ملكية دائمة⁽²⁾.

كل ذلك يؤكد أن بعضاً من اليهود كانوا يشتغلون بالزراعة رغم إغفال المصادر والمراجع ذكر هذه الحقيقة. ولكن المزارعين منهم كانوا أقلية بالمقارنة بمن يعملون بالتجارة. وهذا راجع إلى اشمئزاز اليهود من الأعمال اليدوية الشاقة ذات المردود القليل، كما أن الشغل في الحقول لا تسمح غالباً للمزارع اليهودي بأن يتفرغ للدراسة⁽³⁾، أو بممارسة المهن الأخرى. ومما أضعف من اشتغالهم بالزراعة ما سبقت الإشارة إليه من صعوبة استئجار أرقاء مسيحيين أو مسلمين لزراعة الأرض. في حين حرمت عليهم الشريعة اليهودية استئجار أرقاء يهود، وكان استئجار العمال الأحرار يكلفهم نفقات طائلة. كل هذا جعلهم لا يحبون العمل في الزراعة كثيراً، كما جعل الملكية شبه مستحيلة بالنسبة للمزارعين اليهود⁽⁴⁾. نظراً لذلك ولخوفهم الدائم وتوجسهم من احتمال طردهم من البلاد على نحو مفاجئ⁽⁵⁾.

كما أن نظام الملكية (ملكية الأرض) في المغرب الأقصى كان يغلب عليه طابع الملكية أو ملكية المشاع، وبذلك تغيب الملكية الفردية للأرض داخل المشاعة نظراً لجفاف التربة في أفريقيا الشمالية، كما استلزم الري المكثف وإقامة المنشآت المائية على يد الدولة المركزية⁽⁶⁾.

يضاف إلى ذلك أن الديانة اليهودية كَبَلَتْ أتباعها بالطقوس الدينية

(1) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ 7 ص 438 .

(2) - المصدر السابق: جـ 7 ص 73 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع ص 159 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، جـ 1 ص 19 ، 20 .

(5) - قاسم عبده قاسم: رأفت عبد الحميد: ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، م 1 ص 158 .

(6) - بيري أندرسون: نفس المرجع ص 58 .

الكثيرة، التي جعلت من المحتم على اليهودي البقاء على مقربة من بقية أعضاء جماعته الدينية، حتى يتسنى له القيام بهذه الطقوس، والتردد على المعبد والحصول على الطعام. وهذا يتعارض مع الاشتغال بالزراعة الذي يؤدي إلى تباعد الوحدات السكنية. في حين يتطلب الاشتغال بالتجارة - على عكس ذلك - التجمع حول السوق، الذي كان غالباً مايقام حول المعبد أو داخل الحي. مما أدى باليهود في المغرب الأقصى إلى تركيز جهودهم في الأعمال التجارية والربوية⁽¹⁾.

(2) - النشاط الحرفي والصناعي ليهود المغرب الأقصى:

في ظل سياسة التسامح التي سادت المغرب الأقصى في عصر بني مرين، أسهم اليهود بدور في الحرف والصناعات، نظراً لتمتع البلاد بالاستقرار السياسي، خاضعة في عهد سلاطينها الأوائل العظام، إلى جانب الحرية الدينية التي تمتع بها اليهود مما أدى إلى ازدهار اقتصادي خاصة وأن المغرب يتمتع بوفرة المواد الخام بالقرب من أماكن الصناعة، مما أدى إلى الاستقرار في نمط الإنتاج. وإذا كان ثمة تغير في هذا الوضع فإنه كان بسبب تقلبات تعود إلى تغير في الوضع السياسي، ففي عصر سيطرة الوزراء المرينيين وعصر بني وطاس نجد الإنتاج الحرفي والصناعي يتدهور تدهوراً مشابهاً للتدهور الزراعي، بعد أن كان أحد الأعمدة الاقتصادية للازدهار الاقتصادي في المغرب الأقصى. فقد كانت هذه البلاد - من قبل - مشهورة بأقمشتها الفاخرة من الصوف والقطن والكتان والحرير، فباتت المنسوجات الواردة من فلورنسا وجنوة والبندقية والبرتغال وفرنسا تغزوها، بالإضافة إلى صناعات أخرى.

ويذكر الرحالة الحسن الوزان، أن بفاس مائتي فندق أصبحت لايقطنها التجار من الغرباء، بل يسكنها الرجال سيئوا السمعة من أهل المدينة⁽²⁾، إلى

(1) - عبد الوهاب محمد المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، ج1 ص20 .

(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص236 ، 237 .

جانب فنادق أخرى أصبحت مقصداً لأهل المعاصي⁽¹⁾. وقد أدى إلى ذلك أيضاً عوامل أخرى مثل قيام مشايخ العربان بفرض الرسوم والضرائب والإتاوات الباهظة على التجار والحرفيين. كما ساهمت الحروب الدائرة بين القبائل والسلطة الحاكمة والحروب التي شنتها الدول الاستعمارية على بلاد المغرب الأقصى إلى إصابة الحرف والصناعات بأضرار شديدة.

وعلى أي حال فقد كان لليهود المغرب الأقصى دورهم في هذا المجال، أقصد مجال الحرف والصناعات التي كان لهم الدور الرئيسي في البعض منها. نذكر من هذه الصناعات والحرف دباغة الجلود وصباغتها وغيرها.

أ - دباغة الجلود وصباغتها وتصنيعها:

كان الدباغون يجلبون الجلود من الجزارين المنتشرين في أنحاء المغرب الأقصى، وكان لليهود بفاس القديمة أربعون دكاناً للجزارين يباع فيها اللحم بالوزن لدى خروجه من المجازر الواقعة على النهر⁽²⁾، إلى جانب حوانيت أخرى للجزارين في بقية الأحياء.

وكان المسلخ يقام على مقربة من مخرج النهر من المدينة⁽³⁾، وبعد سلخ الذبائح تؤخذ جلودها لدباغتها. وتعني الدباغة معالجة الجلود بإصلاحها وتليينها وإزالة مايفسدها من العفونة والرطوبة باستخدام مواد مساعدة تعين على إزالة الصوف والشعر من الجلد بسهولة، وبدون أذى لهم أو للجلد، مثل مادة الجير أو مواد أخرى مثل زبل الحمام⁽⁴⁾، الذي يكثر حول فاس⁽⁵⁾. إلى جانب ذلك

(1) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص147 .

(2) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص43 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص29 ، ج5 ص25 ، مارمول كربخال: أفريقيا، ج2 ص151 ، 152 ، مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، مخطوط ورقة 4 .

(3) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص130 .

(4) - نفس المرجع، ص148 .

(5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص262 .

كان الدباغون يستوردون من تيفيلالت (سجلماسة) ثمار شجرة التاكوت الذي يستخدم في دبغ الجلود⁽¹⁾، كما كانوا يجلبون مواد أخرى تستخدم في الدباغة، مثل شجرة السلمة التي كان ورقها وقشرها يستخدم في الدباغة ويسمى ورقها القرظ⁽²⁾، ومثل الصرف وهو شجر أحمر يدبغ به الأديم⁽³⁾. والطرطار - اللون الأحمر - يستخرج من الخمر⁽⁴⁾. ومن مواد الصباغة، النيلة والقرمز والزعفران⁽⁵⁾.

وكان اليهود المغاربة مهرة في تركيب الألوان الأولية، ويمنع الصباغون من أن يصبغوا الأحمر بالبقيم⁽⁶⁾ فإنه لا يثبت⁽⁷⁾. ويؤكد المؤرخون أن الممارسين لهذه الحرفة - الدباغة والصباغة - عادة كانوا يمارسونها قرب الأنهار وبعيداً عن الأحياء السكنية وخارج أسوار المدن، نظراً لما يخرج منها من روائح كريهة⁽⁸⁾، إلى جانب ماتتطلبه هذه المهنة من استعمال المياه فكانوا يقومون بها على جانبي النهر⁽⁹⁾، أما غير الموجودين بالقرب من النهر فكانت مدابغهم تثير مشاكل خاصة عندما يطرحون المياه القذرة في الأزقة والشوارع المجاورة لمداغهم، إذ

(1) - البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص 152، محمد عيسى الحريري: مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي الدولة الرستمية، دار القلم، الكويت 1983، ص 209.

(2) - ابن منظور: نفس المصدر، ج 3 ص 2082.

(3) - المصدر السابق، ج 4 ص 2436.

(4) - الوئشريسي: نفس المصدر، ج 6 ص 314.

(5) - المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت 1968، ج 1 ص 141، عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص 131. وفي إقليم درعة كان التجار يصنعون كميات كبيرة من النيلة يشتريها منهم تجار فاس وغيرهم من تجار المغرب الأقصى، انظر مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 3 ص 145.

(6) - البقيم «الصوفية يغزل بها ويقي سائرهما» ابن منظور: نفس المصدر، ج 1 ص 329.

(7) - المالقئ: في آداب الحسبة دار الفكر الحديث بيروت 1987، ص 78. ولمزيد من التفاصيل انظر صفحة (78 - 84).

(8) - عثمان الكعاك: الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة 1965، ص 66.

(9) - الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس المطبعة الملكية الرباط 1967، ص 44، الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 249.

كانت تلوث السابلة والمارة فيزدادون كراهية لهم، فيصبون جام غضبهم على البريء والمذنب من اليهود سواء بسواء⁽¹⁾.

وهؤلاء الدباغون والصباغون اليهود كانوا منتشرين في عدة أماكن من المغرب الأقصى، مثل (أيت داؤد) التي كان اليهود يمارسون فيها عدة حرف منها حرفة الصباغة⁽²⁾. وكذلك في (تفتنة) التي كانت تدبغ فيها جلود الماعز⁽³⁾، كما كان أهل إقليم هسكورة يمتلكون عدداً ضخماً من الماعز، وكان يدبغ جلود هذا الماعز في مدينة (تكوداست) على يد اليهود، وكذلك كانوا يفعلون بالجلود التي تأتي من الجبال المجاورة⁽⁴⁾. ويذهب أهل هذه المدينة لبيع هذه الجلود في فاس حيث تصنع منها الأحذية النصفية وأغطية السروج المطرزة⁽⁵⁾ بالذهب وسائر أنواع الأحذية الجميلة⁽⁶⁾.

ويصاحب هذه الحرفة نقع الجلد وشطفه بعد كل الخطوات المتبعة في الصناعة، وبعد الانتهاء من الدبغ والصبغ ينتقل الجلد بألوانه المختلفة لأصحاب الحرف من اليهود وغيرهم، حيث كانوا يصنعون منه السروج للدواب التي تتخذ ركائب، وكذلك كانت تصنع منه الحقائق والأحذية. وكان لهؤلاء الصناع في فاس مائة وخمسون دكاناً⁽⁷⁾. كما كان يوجد في (أيت داؤد) صناع من اليهود⁽⁸⁾، وفي مراكش قامت عدة صناعات جانبية معتمدة على

(1) - بنيامين التطيلي: نفس المصدر، ص 82 .

(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 117 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 120 .

(4) - المصدر السابق ص 171 .

(5) - كان المسلمون يحرمون على أنفسهم تطريز السروج بالذهب والعمل فيه، بينما كان اليهود يقومون بهذا العمل ولذلك سمح لهم بالقيام بتطريز السروج بالذهب. انظر الوثائقي: نفس المصدر، ج 6 ص 341 .

(6) - مارمول كريبخال: نفس المصدر، ج 6 ص 341 .

(7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص 239 ، مارمول كريبخال: نفس المصدر ج 2 ص 153 .

(8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 117 .

الجلود⁽¹⁾. وفي (تدسي) وجد تجار أحذية⁽²⁾. وفي مدينة الجمعة يوجد السراجون⁽³⁾. وكانت السروج والألجمة يطرزونها بالذهب، وهنا تدخل النساء من اليهوديات وغيرهن مجال هذه الصناعة لأن التطريز كان من اختصاصهن، وهو على اختلاف أنواعه يتم في البيوت، كما هو الحال في تطريز الجلد⁽⁴⁾. وكذلك وجد يهود يمتحنون حرفة الخرازة⁽⁵⁾ وصناعات أخرى يطول شرحها. ولكن اليهود انفردوا بحرفة الصباغة والدباغة⁽⁶⁾ وماصاحب هذه الحرفة من صناعات كانت من نصيب اليهود.

لم يسلم أهل المغرب الأقصى من غشهم في هذه الصناعة. وقد ذكر المالقي كثيراً من الحرف والغش فيها على يد اليهود نظراً لتعودهم على الغش وخداع الناس في الحواضر والبادي. ولذلك صدرت أوامر من السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (656 - 685 هـ / 1258 - 1286 م)، وأوامر من السيد محمد الحفيد بن علي بن عمران الشريف الجوطي (869 - 875 هـ / 1464 - 1470 م) وأوامر من السلطان أحمد بن محمد الثاني الوطاسي (931 - 957 هـ / 1524 - 1550 م) بتحديد نشاطهم واشتغالهم بحرف يكون الغش فيها خفيفاً⁽⁷⁾ وسهلاً كشفه. ورغم ذلك لم يسلم الناس مما تعود عليه هؤلاء اليهود.

ب - صناعة المعادن والتعدين:

دفعت حاجة الإنسان إلى المعادن فاستخرجها واستخدمها في أموره الحربية والزراعية والمنزلية، وانصرف إلى تصنيعها وتحويلها إلى أشياء نافعة.

-
- (1) - المصدر السابق ص 110 .
 - (2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص38 .
 - (3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص176 .
 - (4) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص134 .
 - (5) - ابن الخطيب: مثلي الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق عبد المجيد التركي، دراسات ووثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987 ، ص95 .
 - (6) - الحكيم: نفس المصدر، ص137 .
 - (7) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، مخطوط ورقة 4 ، 7 ، 8 .

ولذلك ظهرت عمليات التنقيب عن المعادن واستخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها، كما اشتغل الصناع في خلط المعادن لايجاد أنواع جديدة منها، وقد اقتصت، أماكن دون أخرى بوجود هذه المعادن، كما وجدت الأسواق لبيعها بعد تصنيعها في عدة أماكن بالمغرب الأقصى.

وكان يظن - في نظر بعض المؤرخين - أن الذين يعملون في مثل هذه الصناعة لا بد أن تكون لهم معرفة بالسحر لأنهم يستخدمونه، فكان الناس يخشونهم ويحتقرونهم في الوقت ذاته، ولذلك كانت هذه الأعمال كثيراً ماتترك اليهود⁽¹⁾، مما أدى إلى اشتهاار اليهود بالصناعات المعدنية⁽²⁾، مثل صناعة الذهب وخلافة.

وقد ورد ذكر الذهب بأسماء مختلفة، منها التبر الذي كان الزوج يسمونه نكناكي⁽³⁾، ويجلب من السودان الغربي أرض هؤلاء الزوج. كما وجد ذهب في أودغست⁽⁴⁾، وهو أجود من ذهب البلاد الأخرى⁽⁵⁾، إلى جانب ماكان يستخرج من إقليم السوس⁽⁶⁾. وفي مدينة يتازارات وجد معدن الفضة⁽⁷⁾، كما وجد أيضاً في مدينة درعة⁽⁸⁾، بالقرب من مكناسة الزيتون

(1) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع ص 135 .

(2) - أحمد أمين: فجر الإسلام، النهضة المصرية القاهرة 1978 ، ص 24 .

(3) - مارمول كريخال: نفس المصدر، ج 2 ص 28 .

(4) - أودغست: كانت مدينة كبيرة يطل عليها جبل كبير، وحولها بساتين النخل وبها آبار مياه عذبة، والغنم والبقر أكثر شيء عندهم، وسوقها عامرة الدهر كله لايسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله، وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة، وبها مبان حسنة، واندثرت هذه المدينة الآن. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 158 .

(5) - المصدر السابق، ص 159 .

(6) - مارمول كريخال: نفس المصدر، ج 2 ص 55 .

(7) - البكري: المغرب في ذكر افريقية والمغرب ص 160 . (بتازارات: موضع يبعد عن جبل درن المعمور بقبائل صنهاجة مسيرة يوم، ويقع في الطريق بين مدينة أغمات إلى السوس. نفس المصدر، ص 160 ، 161 .

(8) - ابن خرد ذابة: المسالك والممالك، ليدن 1889 ، ص 88 .

حصن يدعى وركناس وجد فيه أيضاً معدن الفضة⁽¹⁾. وقد قام على معدن الذهب ومعدن الفضة حرفة الصاغة. وهذه الحرفة ثلاث حرف متداخلة يقوم بها دكاك وصائغ وسكاك⁽²⁾، ويطلق على الصائغ أو من يشتغلون بالذهب (صورفيم) بالعبرية، وبالعربية (الدهاين). وكذا كان يطلق اسم السكاكين أو الصياغين على من يشتغل بالفضة⁽³⁾. وكان معظم الصاغة من اليهود الذين كانوا ينجزون أشغالهم من الذهب والفضة في فاس الجديدة، ثم يحملونها إلى المدينة القديمة لبيعها. ونادراً ما كان المسلم يمارس مهنة صائغ، إذ كانوا ينظرون إلى الذي يبيع الأشياء الذهبية بسعر أعلى من الذي يساويه وزنها على أنه ربا، ولذلك كان سلاطين فاس يعطون اليهود الترخيص بممارسة هذه الصناعة⁽⁴⁾.

وبذلك انتشر الصاغة اليهود في عدة مدن بالمغرب الأقصى مثل (أيت داود)⁽⁵⁾، (وتدنست) حيث كان اليهود يسيطرون على حرفة الصاغة وسك العملة⁽⁶⁾. وفي مراكش كان معظم اليهود الساكنين في الحي الخاص بهم بالقرب من باب أغمات صاغة⁽⁷⁾. وفي مدينة الصويرة عدة صياغ⁽⁸⁾. وفي تدسي وهي مدينة في إقليم السوس كان يوجد صاغة يهود⁽⁹⁾. وكانت الأساور

-
- (1) - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص 448 .
 - (2) - عبد السلام بن سودة: حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق عدد 1 ، 2 المغرب 1971 ، ص 113 .
 - (3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 152 .
 - (4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 284 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج 2 ص 157 ، انظر نوال علي عبد العزيز: نفس المرجع ص 141 ، يقدم حاييم زعفراني تبرير لا يؤخذ به على أهمية اشتغال اليهود بالذهب (حيث الدقة والابتكار والذوق وينفذ ما يطلب منه أفضل من زميله المسلم) انظر حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 152 ، 153 .
 - (5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 117 .
 - (6) - المصدر السابق ص 110 ، 111 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 10 .
 - (7) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 55 .
 - (8) - حاييم زعفراني: نفس المصدر، ص 152 .
 - (9) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 131 .

والخلاخيل والأقراط والأطواق والخواتم الذهبية والفضية من الأشياء التي تقتصر صناعتها على اليهود⁽¹⁾. أما الصباغة المسلمون فقد كانوا يصنعون الخواتم والأقراط لنساء الأعراب والقرويين⁽²⁾.

وإلى جانب صياغة الذهب اشتغل اليهود في دور سك العملة الواقعة بجوار القصر السلطاني، حيث يقيم المشرف عليها والصراف الذي يملك حق السك ويزن النقود ويضع عليها السعر⁽³⁾، وكذلك في سجلماسة عمل اليهود بدار السكة⁽⁴⁾. وإلى جانب ذلك اشتغل اليهود بتجارة الذهب والفضة مما أدى إلى نقص مايعود على دار السكة من هذه التجارة⁽⁵⁾. كما اشتغلوا في تجارة الأحجار الكريمة الأخرى⁽⁶⁾، خاصة المرجان المستخرج من شواطئ سبتة⁽⁷⁾، والياقوت المستخرج من جبل هزرجة قرب اغمات، وهو ياقوت متناهي في الجودة وحسن اللون⁽⁸⁾.

ولقد عارض الفقهاء في اشتغال اليهود في دور السكة، لأن الإمام مالك أوصى بذلك احتراماً للفظ الجلالة الذي يكتب عليها، ورغبة في الاطمئنان على وزنها⁽⁹⁾. ولكن هذه الوصية لم يؤخذ بها فقد عمل بعض اليهود بدار السكة، ولذلك لم يسلم المسلمون من غش اليهود في تلك الحرفة، حيث قام اليهود بضرب عملة خارج دار السكة وقاموا بترويجها، ولذلك لم توجد عملة

-
- (1) - روجيه لورتورنو: نفس المرجع ص 139 .
 - (2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 157 .
 - (3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 283 ، 284 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص 157 .
 - (4) - الحكيم: نفس المصدر، ص 78 ، 79 .
 - (5) - المصدر السابق ص 95 .
 - (6) - روجيه لورتورنو: نفس المرجع ص 54 .
 - (7) - ابن حوقل: صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ ص 76 .
 - (8) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 152 ، 153 ، الادريسي: نفس المصدر، ج2 ص 529 ، الحميري: نفس المصدر، ص 303 .
 - (9) - صالح محمد: دولة بني وطاس، ص 152 .

من الدنانير أو الدراهم المضروبة خارج دار السكة إلا بأيديهم⁽¹⁾. كما غشوا الدينار اليعقوبي بدار سك العملة بسجلماصة وظهر ذلك عندما عير الدينار فشك أمين دار السكة فيه إذ وجد نقصاً فيه، فأحضر اليهود الذين يسبكون الدنانير والدراهم وهددهم واستبرأ أمرهم، فاعترف أحدهم بأنه أخذ عند السبك جزءاً من الفضة، وجعله في جوف قطعة من الفحم الذي سبكوه به بعد ثقبها ووضعها فيها، ونزع من الذهب بعد ذوبانه كمية الفضة وأتلفها في فرن السبك، ولما حقق في ذلك عوقب الفاعل⁽²⁾. ولكن اليهود لم يتوقفوا عن أفعالهم، مما جعل الناس تشتكي من أفعالهم للسلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني الذي تولى الحكم سنة 731 هـ، سنة 1330 م، فأمر بضرب أبشارهم والشدة في نكالهم⁽³⁾.

ج - معدن الحديد والنحاس:

كما ازدهرت في المغرب الأقصى صناعات تتعلق بمعادن أخرى غير الذهب والفضة، مثل النحاس الذي توفر بمدينة السوس⁽⁴⁾ ومدينة (داي)⁽⁵⁾، وفي إقليم جزولة⁽⁶⁾. كما توفر الحديد في عدة أماكن بالمغرب الأقصى منها (تانزيرا)⁽⁷⁾، وفي جبل دمنسرة⁽⁸⁾ وإقليم جزولة الذي اشتهر بعدد من مناجم الحديد⁽⁹⁾، وفي مدينة (الجمعة) بإقليم هسكورة⁽¹⁰⁾، وفي جميع الجبال المجاورة

-
- (1) - الحكيم: نفس المصدر، ص 138 ، 139 .
 - (2) - المصدر السابق، ص 79 .
 - (3) - المصدر السابق، ص 137 .
 - (4) - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص 448 ، الحميري: نفس المصدر، ص 330 .
 - (5) - الإدريسي: نفس المصدر، ج 1 ص 241 .
 - (6) - مارمول كريبخال: نفس المصدر، ج 2 ص 69 .
 - (7) - المصدر السابق ج 2 ص 25 .
 - (8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 123 .
 - (9) - مارمول كريبخال: نفس المصدر، ج 2 ص 69 .
 - (10) - المصدر السابق ج 2 ص 110 ، 111 .

لمدينة أمجاو⁽¹⁾ وفي جبل (بني سعيد)⁽²⁾. وانتشرت مصاهر⁽³⁾ الحديد في عدة أماكن من بلاد المغرب الأقصى، مثل مدينة مراكش حيث كان يعمل بها أسرى المسيحيين⁽⁴⁾، كما كان الصنّاع اليهود يقومون بتشكيل الحديد في مدن تدنست⁽⁵⁾ وهاديكس⁽⁶⁾ وفي (أيت داؤد)⁽⁷⁾. وفي مراكش كان اليهود يصنعون الأقفال والمهاميز والركابات التي كانت في غاية الزخرفة⁽⁸⁾، وفي جبل سوساوة عاش كثير من اليهود مختلطين بالمسلمين، وهم الذين كانوا يمارسون في هذا الجبل حرفة الحدادة ويصنعون الكجارف والمناجل وحدوات حوافر الخيل⁽⁹⁾. وفي مدينة شيشاوة كان صانعوا الأقفال من اليهود أيضاً⁽¹⁰⁾. وفي مدينة مائة بير وجد عدد من الحدادين اليهود⁽¹¹⁾. كما كان اليهود يحتكرون صناعة الأمشاط⁽¹²⁾ التي تستخدم لنفش الصوف، ويطلق على أصحاب هذه الحرفة القراشليين بالعبرية⁽¹³⁾. وكذلك كانوا يصنعون الأمشاط التي كانت

-
- (1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 346، المصدر السابق ج 2 ص 264.
 - (2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 348، مارمول كربخال: نفس المصدر ج 2 ص 266.
 - (3) - مصاهر الحديد: عبارة عن حفرة يوضع بها خام الحديد ومعه الخشب والأغصان أو الفحم المستخرج من مدينة العرائش، ثم توقد النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الغريبة المختلطة في خامه، وبعد ذلك يعالج لتنقيته واستخراج المواد التي تجعله هشاً. انظر مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 199، واضح الصمد: الحرف والصناعات عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1981، ص 111.
 - (4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 52.
 - (5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 110، والمصدر السابق ج 2 ص 10.
 - (6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 113.
 - (7) - المصدر السابق، ص 117.
 - (8) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 55.
 - (9) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 152.
 - (10) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 65.
 - (11) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 163.
 - (12) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص 137.
 - (13) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 154.

تستعمل لتمشيط صوف الأغنام كما كان منها ما يستعمل للآدميين⁽¹⁾. وكان لليهود في فاس وحدها خمسة عشر دكاناً تصنع فيها هذه الأمشاط⁽²⁾. ولم يسلم المسلمون من غش اليهود، حيث كانوا يطرقون المسامير القديمة ويبيعونها على أنها جديدة⁽³⁾. وأيضاً كانوا لا يصهرون الحديد جيداً فكان سريع الكسر⁽⁴⁾.

وكان اليهود متخصصين في صناعة المفاتيح، وكثيراً ما كانوا يعملون مفتاحاً على آخر لكل من أتى برسم مفتاح على طين وعجين، رغم تحذير المحتسب بعدم صنع مفتاح على آخر لأي شخص إلا للشخص المعلوم الهوية. ومع مزيد من الانهيار شاعت ظاهرة الصنّاع المتجولين كالحزازين والنجارين والصباغين⁽⁵⁾، مما سهل عملية الغش التي أكد عليها أكثر من مؤرخ. ولذلك كان المسلمون يثرون على اليهود في حالة تفشي الغش⁽⁶⁾، مما أدى إلى انهيار الاقتصاد المغربي لعدم وجود طبقة متوسطة تقوم على أكتافها نهضة اقتصادية كما جرى في أوروبا. بينما وجدت طبقة هامشية عاشت مستفيدة من الأوضاع العامة في الإثراء السريع⁽⁷⁾، ولذلك كان الاقتصاد المغربي ينهار بانهيار السلطة.

د - صناعة النسيج:

لم تقتصر هذه الصناعة على اليهود فقط، بل شارك فيها أيضاً الصناع المغاربة المسلمون. وهذه الصناعة من الصناعات التي يقوم بها الرجال أصلاً،

-
- (1) - روجيه لوتورنو: نفس المرجع، ص 137 .
 - (2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 153 .
 - (3) - المالقي: نفس المصدر، ص 80 .
 - (4) - المصدر السابق، ص 81 .
 - (5) - المصدر السابق، ص 81 .
 - (6) - محمود اسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي دار سيناء للنشر القاهرة 1995 ، ج 3 ص 73 .
 - (7) - مجهول: قصة المهاجرين المسيحيين بالبلدين، مخطوط ورقة 4 .

ولكن مع ذلك كانت النساء تعملن على النول وفي التطريز وخلافه. وكانت هذه الحرف تورث. والمغرب من البلاد المشهورة بصناعة المنسوجات خاصة الصوفية نظراً لكثرة المراعي. فكان يرسل إلى بغداد الفراء الأبيض لأمير المؤمنين⁽¹⁾. أما في زمن هذا البحث فقد انتشرت هذه الصناعة في أيت عياض⁽²⁾، وفي جبل مديونة وسلا وبلاد السوس وبلاد رجرجة وسجلماصة.

ولكثرة مزارع القطن المتواجدة في أغلب مدن المغرب الأقصى مثل أم الربيع⁽³⁾ ومنطقة تادلا⁽⁴⁾، وبلاد الهبط قرب سجلماصة⁽⁵⁾، كثرت معامل النسيج. ففي فاس وحدها وجد «ثلاثة آلاف وأربعة وتسعون معملًا للنسيج»⁽⁶⁾. وحظيت الصناعات الكتانية بنصيب وافر من الاهتمام، نظراً لكثرة زراعته ببلاد المغرب الأقصى وخاصة مدينة (مقرة)⁽⁷⁾ ومدينة (بونة)⁽⁸⁾. وكان يجلب منها إلى أماكن صناعته⁽⁹⁾ في مدينة تارودنت⁽¹⁰⁾، وفي مدينة بوشنا⁽¹¹⁾.

-
- (1) - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج4 ص254 .
 - (2) - مارمول كريخال: نفس المصدر، ج2 ص120 .
 - (3) - الإدريسي: نفس المصدر، ج1 ص237 .
 - (4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص303 .
 - (5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج8 ص625 .
 - (6) - الجزناني: نفس المصدر ص44 .
 - (7) - مقرة: بينها وبين المسيلة من بلاد الزاب مرحلة، وهي مدينة صغيرة: الحميري: نفس المصدر ص556 .
 - (8) - بونة: بلاد افريقية، البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص54 ، الحميري: نفس المصدر، ص115 .
 - (9) - يعد الكتان بقيام الصانع بعد البيل والتعطيل إلى النفث والدق ثم المشط والغزل ثم إلى الطبخ ثم سائر أعمال النساجة ثم إلى الصفر - صبغة بصفرة - والقصارة والخياطة حتى يصلح أن يكتسى به، انظر الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري، الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1977 ، ص20 ، ابن منظور: نفس المصدر، ج4 ص2458 ، والذي يقوم بدق الكتان من المهن الضارة، انظر الدمشقي: الإشارة: نفس المصدر، ص64 .
 - (10) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص129 .
 - (11) - المصدر السابق، هامش ص308 .

وكان لليهود دور كبير أيضاً في صناعة الحرير. فكان الحرفيون اليهود يشتركون في هذه الصناعة⁽¹⁾. وكان الحرير الخام يجلب من مدينة (خميس متغارة)⁽²⁾ التي استوطنها أهل غرناطة المهاجرون إلى المغرب، والذين أكثروا من زراعة أشجار التوت الأبيض للانتفاع بها في تربية دود القز⁽³⁾.

وكانت الملابس تطرز بخيط الذهب التي يحتكرها اليهود، لدرجة أنهم أطلقوا على أرباب العمل والعمال الذين كانوا يمارسون هذه المهنة اسم الصقليين، نسبة إلى عملية الصقل، ويبدو أن اليهود الصقليين نقلوا معهم هذه المهنة إلى المغرب فعرفت باسمهم⁽⁴⁾.

ولتواجد بعض المواد اللازمة للصباغة بالمغرب، صبغت الملابس سواء قطنية أو صوفية أو حريرية أو كتانية بعدة مواد، منها النيلة⁽⁵⁾ التي كانت يكثر استخراجها من بلاد السوس ويصبغ بها⁽⁶⁾، إلى جانب القرمز⁽⁷⁾ الذي يجلب من أرمينية المشهورة به⁽⁸⁾، ومن بلاد الأندلس وشيراز وأرض فارس، حيث احتكرت طائفة من اليهود الحصول على هذه المواد⁽⁹⁾، إلى جانب الطرطار الذي ينبت في الخمر ويصبغ به الصوف باللون الأحمر. وكانت هذه الصبغة

-
- (1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 155 .
 - (2) - مدينة خميس متغارة: بناها الأفارقة في ضواحي زواغة على مسافة عشرة أميال إلى الغرب من فاس، انظر الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 222 .
 - (3) - المصدر السابق، ص 222 .
 - (4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 153 .
 - (5) - النيلة: يستخلص منها اللون الأزرق، انظر السيد طه السيد أبو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991 ، ص 42 .
 - (6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 28 .
 - (7) - القرمز: يستخرج منه اللون الأحمر، السيد طه أبو سديرة: نفس المرجع، ص 41 ، وكان يستغنى عنه بالطرطار الذي ينبت في الخمر، انظر الونشريسي: نفس المصدر، ج 6 ص 314 .
 - (8) - الاصطخري: نفس المصدر، ص 110 .
 - (9) - الجاحظ: التبصر بالتجارة، عني بتحقيقه ونشره حسن عبد الوهاب، دمشق 1932 ، ص 31 ، المقري: نفح الطيب، ج 1 ص 141 .

أيضاً في يد اليهود نظراً لاشتغالهم بصناعة الخمر. كما كانوا يستعملون الكبريت ليردوا به أكسية الصوف بيضاء⁽¹⁾. وكانوا يجلبون من حصن (طليمة)⁽²⁾، وعادة كانت أحواض الصباغة خارج المدينة، نظراً لما يصاحبها من روائح كريهة وكثرة استخدام المياه، ولذلك كانت دور الصباغة تبني على شواطئ الأنهار، وكان لليهود يد في الصباغة فكانوا يشتغلون بصباغة الحرير⁽³⁾.

وعندما هاجر عدد كبير من اليهود الأندلسيين إلى المغرب، امتهنوا نفس المهن التي كانوا يمارسونها في الأندلس مثل التجارة والبناء⁽⁴⁾. ففي سجلماسة كان القائمون بعملية البناء يهوداً، كذلك في (شيشاوة) كان بعض البنائين من اليهود⁽⁵⁾. إلى جانب حرفة خرط الأخشاب⁽⁶⁾، حيث انتشرت في فاس المستودعات الكبرى التي كانت توجد فيها الأخشاب. وكان يقوم بهذا العمل رقيق النصاري الذين كان مواليهم يقدمون لهم مايتعيشون به بدلاً عن الدراهم التي يستحقونها⁽⁷⁾. وفي (تدنست) عاش عدد من اليهود الذين امتهنوا حرفة التجارة⁽⁸⁾.

كذلك فقد اقتصرت حرفة عصر الخمر على أهل الذمة من اليهود والنصارى. إذ سمح لهم السلطان أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الشيخ أبي زكريا الوطاسي ويعرف بأبي حسون 932هـ/ 1525م، بعصر الخمر في مدينة فاس⁽³⁾. وكان أهل الذمة يستعملون الخمر في حياتهم اليومية، وكان

-
- (1) - الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص40 .
 - (2) - عبد الواحد المراكشي: نفس المصدر، ص433 ، ويقع هذا الحصن بين برقة وطرابلس، انظر نفس المصدر ص433 .
 - (3) - ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص180 .
 - (4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص154 .
Taereses and mendel - op cit. P. 154.
 - (5) - ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص180 .
 - (6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص55 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص155.
 - (7) - حسن الوزان: نفس المصدر، ص250 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص157 .
 - (8) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص10 ، السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص149
 - (9) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج1 ص474 .

بعض المسلمين يتعاطونها في الفنادق والملاح⁽¹⁾. ولكثرة ما بأرض المغرب الأقصى من مزارع للكروم، فقد انتشرت صناعة الخمر من الكروم لدرجة أنها كانت تصنع في البيوت⁽²⁾، وخاصة في مدينة تازا حيث قام بهذه الصناعة اليهود نظراً لكثرة عددهم بها⁽³⁾ كما في كافة أرجاء المغرب الأقصى.

وقد كثرت الفتاوي التي تمنع اليهود من العمل في الخبز وبيعه، وبيع الزيت والخل وغيرها من المائعات بالأسواق⁽⁴⁾، مما يدل على مدى انتشار هؤلاء اليهود في العمل بهذه الحرف⁽⁵⁾، وقد منعوا من العمل بها نظراً لكثرة غشهم فيها. وقد مارس اليهود أيضاً مهن الخدم، فكان يوجد منهم من قام بالخدمة في بيوت المسلمين⁽⁶⁾، ومارسوا غسل الثياب فيها، وكذلك عجن الدقيق لصناعة الخبز⁽⁷⁾.

بعد رصد وتحليل حرف وصناعات أهل الذمة، نجد منهم من كانوا يجمعون بين الحرفة والقيام بتوزيع إنتاجها في الأسواق الداخلية، ومنهم من كان ينتج فقط وغيره يقوم بتوزيعها، سواء في الأسواق الداخلية أو بيعها للتجار النصاري المتمركزين بالمدن الساحلية. والأغلبية كانوا ملاكاً لوسائل الإنتاج التي لم تتطور واستمرت على نمط واحد، مما أصابها بالتخلف والتقهقر أمام المنتجات الأوروبية الأكثر تطوراً والقادمة مع المستعمر البرتغالي أو مع وكيله اليهودي، فزاد الطلب على هذه المنتجات مما أصاب المنتجات المغربية بالشلل، وتحول المغرب الأقصى إلى مورد للمواد الخام.

(1) - انظر الرسالة، ص 97 ، 98 .

(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 358 .

(3) - مارمول كريبخال: نفس المصدر، ج 2 ص 273 .

(4) - ابن الخطيب: مثلي الطريقة، ص 90 ، النشريسي: نفس المصدر، ج 6 ص 68 .

(5) - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 95 .

(6) - هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية في الأندلس، دار الفرقان الأردن 1984 ، ص 365 . Solomon: op - cit. P. 727 .

(7) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 148 .

ورغم كثرة الحرف التي عرضنا لها والتي اشتغل بها اليهود في المغرب الأقصى، إلا أن المسلمين لم يسلموا من الاتهامات الموجهة إليهم من هؤلاء اليهود باحتكارهم للحرف التي تعود عليهم بالربح السريع، وترك الحرف التي تحتاج لمجهود أكبر لليهود. مما أثار رغبة الباحث في الكشف عن حقيقة هذا الاتهام الموجه للمسلمين من اليهود الذين يحسون دائماً بالدونية، لأنهم كانوا يشعرون بأنهم دخلاء على أي وطن، إلى جانب كثرة غشهم وخداعهم مما أدى إلى النظر إليهم كأقلية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وانعكس ذلك على احترافهم لمهن وحرف معينة مارسوها مثل المعادن أو العمل في الصباغة والحدادة.

ولم تكن هذه الحرف التي امتنوها قاصرة عليهم وحدهم، فقد مارسها غيرهم من سكان المغرب الأقصى في المدن التي كانت تخلو من اليهود، وخاصة في الشمال المغربي حيث يقل التواجد اليهودي. ولذلك كان من الممكن أن يعمل في هذه الحرف الحفيرة الهاربون من شظف المعيشة في الريف، واللاجئون من الأندلس إلى المدن المغربية، التي توجد فيها حرف لا يرضى أصحاب المدينة العمل بها فتكون من نصيبهم. مثل الحجامين والبنائين والكناسين والكنافين⁽¹⁾.

وكان اليهود هم الذين يقبلون بأنفسهم على هذه الحرف لكونهم محبين للاكتساب منها⁽²⁾، ولم يجبر اليهودي على القيام بأعمال محتقرة في نظر الغير، إلا في أيام التشدد الديني في عهد دولتي المرابطين والموحدين⁽³⁾، فقد أجبر اليهود على العمل في الحرف الوضيعة نتيجة لسلوكهم الاجتماعي والاقتصادي القائم على الغش والخديعة⁽⁴⁾.

(1) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 148 .

(2) - الحميري: نفس المصدر، ص 306 .

(3) - عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص 111 - 113 .

(4) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، ورقة 5 .

وفيما عدا ذلك لم توضع أية قيود على اليهود فيما يتعلق بأنشطتهم الاقتصادية فيما عدا استثناءات طفيفة، مثل منع بيعهم الخمر أو الخنزير للمسلمين⁽¹⁾، فقد حرم ذلك عليهم. ومن الواضح أن اليهود لا قوا بعض المتاعب في عهد الدولة الموحدية بسبب ما كانوا يقومون به من غش ومكايد، ولذلك شاركوا العامة في مهن اعتبرها المغرضون حقيرة⁽²⁾ رغم اشتراك العامة فيها. لكنهم خصصوا اليهود بها كنوع من الاضطهاد الذين وقع عليهم من قبل المسلمين، ولم يذكروا كلمة واحدة عن اضطهاد اليهود في أوروبا والذي كان اضطهاداً متكرراً، ولكنهم صوروا حياة المغرب الأقصى على هذا النحو الذي يجافي الحقيقة، حيث عاش هؤلاء اليهود هناك وما زالوا يعيشون في سماحة وسلام.

(3) - التجارة الداخلية ودور يهود المغرب الأقصى فيها:

استفاد يهود المغرب الأقصى من الإصلاحات التي قامت بها الدولة المرينية لتنشيط حركة التجارة داخل البلاد، فعملت الدولة على استقرار الأمن في جميع أرجائها، فألغى السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله (685 - 706 هـ / 1286 - 1306 م) الضرائب التي تعرف باسم الأنزال، وضرائب أخرى باسم اللوازم المخزنية، وضرائب تسمى القبالة والمكوس التي كانت تفرض على السلع المارة من أماكن العبور⁽³⁾.

(1) - الشافعي: نفس المصدر ج4 ص126 ، مجهول: قصة المهاجرين المسلمون بالبلدين، مع ورقة 1 ، جوانيان: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية الخوصي، وكالة المطبوعات الكويت 1980 ، ص167 .

(2) - ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص180 .

(3) - ضريبة الانزال هي ضريبة مفروضة على ديار الأغنياء، وضريبة اللوازم المخزنية هي ضرائب جديدة يفرضها القصر السلطاني وتحصل لصالح الخزن أي الحكومة، وضريبة القبالة هي ضريبة يؤديها أصحاب الحرف أو بائعوا السلع الرئيسية مقابل السماح لهم بالبيع في القيسارية. انظر حسن علي حسن نفس المرجع، ص225 ، محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني، 281 ، 282 .

وكانت هذه الضرائب الجائرة تلغى في عهد السلاطين الأقوياء، لأنه كان من عادة كل حاكم أن يزيل ظلم عمال الحاكم السابق⁽¹⁾، مثل رفع السلطان أبي عنان للمظالم عن الرعية⁽²⁾. ولكن في حالة انهيار الوضع الاقتصادي كانت تفرض هذه الضرائب وكان يعاني منها المغاربة ومعهم اليهود.

كما كانت الدولة تبني الأسواق وتمهد الطرق في المدن الجديدة مثل فاس وتطوان، إلى جانب الأسواق التي كانت قائمة، وكذلك الفنادق للتجار الأجانب. فأقام السلطان أبو الحسن المريني (732 - 749هـ / 1331 - 1348م) نظاماً لحماية الطرق، حيث تم في عهده إقامة خيام تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة اثني عشر ميلاً، يربط فيها جنود على امتداد كل الطرق الهامة المتصلة بفاس، على أن يقطع الجنود إقطاعات يستغلونها لتغطية ضروراتهم وبيع الفائض للمسافرين، ولحفظ أمتعتهم ودوابهم⁽³⁾. كما قامت الدولة بالقضاء على حركات الأعراب، مثل قبائل الهلالية والمعلل المقيمين في إقليم درعة، والذين كانوا يهددون طريق سجلماسة⁽⁴⁾.

غير أن التقلبات السياسية في بلاد المغرب الأقصى كانت حائلاً دون تواصل تلك الترتيبات الأمنية. فشهدت الدولة المرينية تفككاً عقب وفاة السلطان أبي عنان في عام 759هـ / 1357م، وانتقال السلطة الفعلية في الدولة من يد السلاطين إلى الوزراء، حتى انهارت الدولة وتبعثها دولة بني وطاس، التي لم تستطع السيطرة إلا على المنطقة الشمالية. أما باقي الدولة فكانت في حالة حرب دائمة بين القبائل بعضها البعض، وبينها وبين الاستعمار البرتغالي مما أضر بالأمن في الطرق التجارية.

-
- (1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 436 .
(2) - ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية ط 2 بيروت 1993 ، ص 671 .
(3) - ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، مخطوط مصور بالميكروفيلم، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 645 تاريخ) ورقة 125 .
(4) - الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي في العصر المريني ص 86 .

وكانت هذه الطرق تبدأ غالباً من المدن الكبرى المطلة على سواحل البحر المتوسط؛ إلى الداخل مروراً بالمدن الكبرى والقرى حتى تصل إلى أماكن الإنتاج، سواء صناعية أو مواد خام. أو إلى البلاد المجاورة مثل الطريق الممتد من طنجة إلى فاس⁽¹⁾، والطريق الذي يربط بين سبتة وفاس ويستغرق ستة⁽²⁾ أيام⁽³⁾، ومن فاس تتفرع عدة طرق إلى كافة مدن وقرى المغرب نظراً لكونها عاصمة البلاد، فنجد طريقاً من فاس إلى سجلماسة⁽⁴⁾، ومن سجلماسة تخرج عدة طرق إلى درعة.

ولم تكن الصحراء حائلاً بين المغرب وبقية الأقطار الإفريقية بل كانت أداة ربط، فعبرتها قوافل التجارة محملة بمختلف المنتجات، وكان بين المغرب وإفريقية عبر الصحراء عدة طرق، طريق من سجلماسة إلى أودغست ومنها إلى غانة⁽⁵⁾، ومن سجلماسة إلى مدينة تمبكت عبر مدينة تغازي⁽⁶⁾. وطريق من درعة إلى سجلماسة إلى بلاد السودان عبر مدينة ولاتة⁽⁷⁾. وطريق آخر من إيكلي قاعدة إقليم السوس إلى حوض السنغال، وطريق آخر محاز لشاطئ المحيط من وادي ماسة ووادي نون إلى قرية اندر (سان لوي) التي يصب عندها نهر السنغال في المحيط الأطلسي⁽⁸⁾. ولكن مع نهاية دولة بني مرين استجذبت طرق جديدة خلاف الطرق التي كانت متجهة إلى الشمال للبحر المتوسط. فأخذت اتجاه المحيط الأطلنطي نظراً لظهور الاستعمار البرتغالي على شواطئ

(1) - البكري نفس المصدر، ص 109 .

(2) - المصدر السابق، ص 115 ، الأديسي: نفس المصدر، ج 2 ص 532 .

(3) - وقيل ثمانية أيام وليست ستة أيام، الأديسي: نفس المصدر، ج 2 ص 532 .

(4) - البكري: نفس المصدر، 156 ، ابن حوقل: نفس المصدر، ص 90 ، الأديسي: نفس المصدر، ج 1 ص 243 .

(5) - البكري: نفس المصدر، ص 149 ، ابن حوقل: نفس المصدر، ص 91 .

(6) - عبد الوهاب بن منصور: مناقب أهل الصحراء في تشييد صرح الدولة المغربية الغراء، الرباط، 1975 ص 24 .

(7) - المرجع السابق، ص 24 .

(8) - المرجع السابق، ص 24 .

المغرب، وفقد الطريق القادم من الجنوب إلى الشمال المتجه نحو البحر المتوسط شيئاً كبيراً من أهميته، بسبب فتح التجار المسيحيين لطرق جديدة نحو المحيط الأطلسي، ووصل البرتغاليون إلى المناطق الإفريقية التي يستخرج منها الذهب⁽¹⁾. وكان نشاط المغاربة الحربي في البحر المتوسط رد فعل لضياح هيبة التجارة المغربية في الشمال فلجأوا إلى هذا النشاط، كما فعل الإنجليز بعد قرنين من الزمان ضد الاحتكار الإسباني، إذ كانت الموانئ المغربية مختنقة ومهددة وكانت لاتستطيع التفاوض من أجل السلام والتجارة⁽²⁾. ولذلك اتجه المغاربة بتجارتههم إلى المحيط الأطلسي، وزاد الطلب على المواد الخام التي لم تكن لها قيمة من قبل مثل الشمع. فنشط طريق من فاس إلى ميناء سلا، ومن مراكش إلى اسفي، ومن تارودنت⁽³⁾، إلى ماست⁽⁴⁾، ثم إلى نول لمطة⁽⁵⁾. ونشطت الموانئ المغربية المنتشرة على المحيط لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام 903 هـ / 1497م⁽⁶⁾. وانتقال النشاط التجاري إلى المحيط الأطلسي

-
- (1) - عبد القادر جغلول: نفس المرجع، ص 81 .
(2) - عبد الله العروي: نفس المرجع، ص 234 . bdallah larow. op. cit. 217
(3) - تارودنت: حاضرة بلاد السوس الأقصى، وهي مدينة عامرة وكثيرة الفواكه وتشتهر بزراعة السكر وأهل السوس فرقتان متحاربتان. انظر. الادريسي: نفس المصدر، ج1 ص 227 ، 228 .
(4) - ماست: نهر عظيم يصب في البحر المحيط، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة وبساتين وأنواع عدة من الفواكه وقصب السكر وبين الوادي ونول لمطة ثلاث مراحل في عمائر متصلة. انظر. الادريسي: نفس المصدر، ج1 ص 240 ، 241 ، الحميري: نفس المصدر، ص 522 .
(5) - نول لمطة: من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشر مرحلة، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وسميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنونها ولا يعرفون الحرث والزرع، ويصنع بهذه المدينة السروج وتباع بها الأكسية والبرانس ويبيع بها الجلود لكثرة الحيوانات بها، وفي أرض لمطة يوجد الملح ويجهز إلى بلاد السودان مثل غانة وغيرها، وله غلة عظيمة. انظر. الادريسي: نفس المصدر، ج1 ص 223 - 225 ، الحميري: نفس المصدر، ص 584 .
(6) - للمزيد من التفاصيل انظر. دوزسانتوس يوميات رحلة فاسكوداجاما، ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 .

والهندي. ونظراً للانقلاب الصناعي في أوروبا وزيادة الطلب على المواد الأولية للصناعة، أصبحت السوق المغربية مركزاً لتوزيع المنتجات الأوروبية وأصبح الأوروبيون يبحثون عن وسطاء أو سماسرة⁽¹⁾ لهم داخل المغرب، فكان التجار اليهود هم الذين يقومون بهذه المهمة لإتقانهم عدة لغات⁽²⁾، ولضياح دورهم في التجارة العالمية لازدياد نشاط الممالك النصرانية البحري، وتحولهم إلى تجار محليين⁽³⁾. فأصبحوا الوسطاء أو السماسرة بين أوروبا الغربية المنتجة وبين المغرب الأقصى المستورد للسلع الأوروبية، والمصدر للمواد الخام.

كذلك فقد انتقل بعض اليهود المقيمين بالداخل، إلى جانب اليهود المهاجرين من الأندلس والبرتغال وباقي أوروبا، واستقروا في المدن الساحلية ولعبوا دور الوسيط⁽⁴⁾. ولذلك انتشر اليهود في أرجاء المغرب الأقصى خاصة في الأماكن ذات الموقع الاستراتيجي الذي يتحكم في مفارق طرق أو موانئ مثل مدينة أنفة صاحبة العلاقات الوثيقة مع البرتغاليين والانجليز⁽⁵⁾، وميناء أسفي الذي كان يقيم به تجار مسيحيون أتوا مع المستعمرين البرتغاليين، وكان يأتي إليه العديد من التجار اليهود للإتجار مع هؤلاء البرتغاليين⁽⁶⁾، وحصن المأمون (تابوعسمة) المكتظ بالتجار اليهود والغرباء⁽⁷⁾، وفي أيت داود عدد كبير من التجار الغرباء من اليهود⁽⁸⁾، وإقليم جزولة كان يفد عليه عشرة آلاف أوربي للتجارة⁽⁹⁾. ووصل التسامح مع التجار اليهود في تكوداست أن أصبح لهم حرية

-
- (1) - الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص175 .
 - (2) - الترماني: نفس المرجع، ص87 .
 - (3) - لويس لومبار: نفس المرجع، ص87 .
 - (4) - سونياهاو: في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه محمد النحاسن مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ ص130 .
 - (5) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص203 .
 - (6) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص71 .
 - (7) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص497 .
 - (8) - المصدر السابق، ص192 .
 - (9) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص69 .

الاعتقاد⁽¹⁾، مما شجع الأجانب على الوفود على البلدة والاتجار فيها. وكانوا يحظون بمحبة كبيرة من قبل اليهود والمسلمين فيها. كما وجد في درعة عدد من اليهود التجار، وتقع هذه البلدة على الطريق المؤدي من فاس إلى تمبكت وموريتانيا⁽²⁾، وهو طريق الذهب والرقيق، فكانوا يرحلون بالمنتجات المغربية ويأتون بالمنتجات السودانية. وكان اليهود بسجل ماسة طائفة كبرى، وكانت هذه الطائفة مشهورة بتجارتها مع بلدان ساحل النيجر ووسط أفريقية ومع مصر والهند. وكان لليهود بها النصيب الأوفر في التبادل التجاري، وكان أحبارها على اتصال دائم مع إخوانهم في تونس والعراق⁽³⁾ وكذلك مع استنبول؛ مثل الخواجة يحيى بن عبد الكريم اللبدي المغربي⁽⁴⁾. وكذلك كانت لهم اتصالاتهم مع أوروبا، ولذلك ظهرت مجموعة من التجار اليهود ارتبطت مصالحهم بالمستعمر الأوربي وتواطئوا معه، وأصبحوا عيوناً له داخل البلاد مثل حاخام أسفي إبراهيم بن زاميرو⁽⁵⁾، الذي ظهر كتاجر وليس كرجل دين، واحتكر التجارة مع السودان الغربي. وكذلك يعقوب روط الذي عمل بالتجارة، وتضخمت تجارته إلى أن أصبح مورد المؤن للجيش الوطاسي⁽⁶⁾. وهؤلاء التجار اليهود ذوو المصالح المرتبطة بالمستعمر الأوربي، كانوا يلعبون دور الجاسوسية. فهذا سليمان بن زاميرو بن أخ إبراهيم والذي كان من أغنى تجار مراکش، يكلف نفسه عناء السفر إلى أسفي ليخبر عمه باستعدادات السعديين⁽⁷⁾.

ورغم ذلك وبعد استقلال الحواضر التجارية، دخل يهودها تحت حماية

-
- (1) - المصدر السابق، ج2 ص110 .
 - (2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص491 ، المصدر السابق، ج3 ص145 .
 - (3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص11 .
 - (4) - ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الزهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984 ، ج5 ص426 .
 - (5) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص325 .
 - (6) - نوال علي عبد العزيز: نفس المصدر، ص90 .
 - (7) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص328 .

الأعيان والحكام⁽¹⁾، الذين عاملوهم أحسن معاملة وتركوا لهم حرية التنقل بين البوادي والمدن، فكان يهود مدينة أفزة أو فستالة يحملون الأقمصة والثياب التي تسمى فستالة إلى فاس ومراكش⁽²⁾. وكان لهم بكل بلد من بلاد المغرب الأقصى نشاط وذكر وموعد منتظم يصلون فيه إليها، مع ما يجلبونه من بضائع وعروض. وبذلك أثروا ثراءً كبيراً وتحكموا في الأسواق، وأصبحوا وحدهم هم المملوون للبلاد في كل ما تحتاج إليه⁽³⁾. ومن ثم استعان بهم الملوك وكبار القوم ووكّلوا إليهم تدبير مواردهم⁽⁴⁾.

وكان التركيز - الزعيم الديني لليهود - إلى جانب مهنته يقوم بأعمال تجارية، وإن توقف عنها كانت الطائفة اليهودية تلتزم بتعويض خسائره المادية التي يتعرض لها أثناء تأدية مهامه الدينية⁽⁵⁾. وكان الأخبار المعلمون في البيعة لا تسمح لهم المكافأة التي كانوا يتلقونها أن يعيشوا حياة لائقة، فكانوا مضطرين على الدوام أن يقوموا بأشغال هامشية أو ثانوية، كتجارة الورق أو الحبر الذي كانوا يقومون بصناعته⁽⁶⁾.

كما لعب اليهود دور الوسيط أو السمسرة⁽⁷⁾، بين التاجر الأجنبي الوافد على البلاد وأهل البلاد من المغاربة. وهذا راجع إلى معرفتهم بلغات الشرق والغرب⁽⁸⁾. ونظراً لانتشارهم في الجنوب، وظهور أهمية الجنوب لما به من مواد خام، لعب اليهود الدور الأهم في تجارته، فكانوا ينتقلون بين البوادي والمدن

-
- (1) - المرجع السابق، ص 325 .
 - (2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 119 .
 - (3) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 6 ، جدع جلادي: إسرائيل نحو الانفجار من الداخل دار البيادر القاهرة 1988 ، ص 26 .
 - (4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 156 . صالح محمد: نفس المرجع، ص 267.
 - (5) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 126 .
 - (6) - المرجع السابق، ص 63 .
 - (7) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 6 ص 157 ، المغيلي: مصباح الأرواح، ص 42 .
 - (8) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 42 ، الترماني: نفس المرجع، ص 87 .

الداخلية⁽¹⁾. حيث كان الأوروبي لا يخاطر بالتوغل في الداخل خاصة في بلاد السودان الغربي. وكان منهم من كان يكتفي بالبقاء في المراكز الساحلية حتى يسلم له الرقيق عن طريق الوسطاء، ثم يتم نقل هذا الرقيق إلى العالم الجديد⁽²⁾ أو إلى أوروبا. وقد لعب اليهود دوراً كبيراً في هذه التجارة منذ زمن طويل.

كذلك كان اليهود إلى جانب الأعراب وبعض القبائل بمثابة النافذة المفتوحة لأوروبا على المغرب، وكانوا الوسيط وأحد الأطراف الأساسية العاملة في التجارة المغربية⁽³⁾. وقد يتخذ - الوسيط - وهو السمسار أو الدلال حانوتاً. ففي فاس القديمة زقاق للدالين، وعددهم سبعون دلالاً كانوا يأخذون فلساً واحداً تقريباً عن كل درهم من مبيعاتهم⁽⁴⁾. وكان هؤلاء الدالون يحملون السلعة من دكان إلى دكان، ولا يسلمونها إلا للتاجر الذي أعطى فيها أعلى ثمن⁽⁵⁾. وكان التجار الغرباء ينزلون على زقاق الدالين بفاس، وعن طريقهم يصرفون تجارتهم. وكان الدالون اليهود يتواطئون إما على المشتري أو على البائع⁽⁶⁾، مما جعل الفقيه المغيلي يشن حرباً شعواء على هؤلاء اليهود.

وقد ظهر في السوق الجلاسون⁽⁷⁾ المتواطئون مع الدالين اليهود، من خلال حوانيتهم على البائعين خاصة الغرباء. فكانوا يقومون بأعمال مريبة⁽⁸⁾، إذ كان الجلاسون لبيع القرق - وهو نوع من الأحذية - أسوأ التجار سلوكاً⁽⁹⁾. وكان الدلال والتاجر اليهودي كثير الإلحاف على المشتري، فلا يستطيع أن

(1) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 26 .

(2) - الترماني: نفس المرجع، ص 272 .

(3) - عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص 283 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 2 ص 149 .

(5) - المصدر السابق، ج 2 ص 149 .

(6) - مجهول: قصة المهاجرين، مخطوط ورقة 3 .

(7) - الجلاسون: هم أصحاب محلات داخل السوق، يتم فيها البيع بالمرزاد لحساب التجار النصارى أصحاب السلع المباعة، انظر. الونشريسي: نفس المصدر، ج 12 ص 63 .

(8) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 12 ص 63 .

(9) - الملقى: نفس المصدر، ص 73 - 78 ، القادري: الإسلام السري، ص 181 .

يتخلص منه إلا بعد عناء كبير، عكس التاجر المسلم الذي كان ينتظر أمام دكانه متزناً صابراً، ولا يزعج أحداً من المارة⁽¹⁾.

وكانت عملية البيع والشراء في الأسواق تتم بكل حرية وتتم بطريق المزاد العلني. ففي مدينة فاس غالباً ما كان يبدأ البيع بالمزاد ظهراً وينتهي عصرًا⁽²⁾، بخلاف أسواق أخرى كان البيع والشراء يتم فيها طوال النهار.

وكان لليهود نشاط كبير في هذه الأسواق. ودراسة هذا النشاط وفي فترة تاريخية معينة يعتبر مدخلاً حقيقياً لدراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في العصر المريني والوطاسي. وهذا العصر لا يزال في حاجة إلى مزيد من الدراسات التاريخية في شتى مناحي المجتمع المغربي، خاصة اليهود الذين مارسوا حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال هذا المجتمع، ولم يكن من السهل فصلهم عن حركة السوق المغربي.

ويتميز هذا العصر بوفرة الحركة وكثرة الأحداث، نظراً لأنه يمثل المرحلة الأخيرة قبل تدهور الحضارة الإسلامية في المغرب الأقصى. والذي يهمننا من هذه الدراسة محاولة رصد حركة اليهود والتعرف على بعض أوجه النشاط الاقتصادي لهم من خلال السوق.

وفي هذا الصدد فإن نظرة على الأسواق الداخلية بالمغرب، تؤكد أن الشطر الأول من عصر دولة بني مرين كانت فيه ثروة البلاد طائلة بفضل نشاطها التجاري المزدهر واستتباب الأمن، فضلاً عن رسوخ أسس الدولة ونظامها. ولكن في الشطر الثاني من عمر هذه الدولة، بدأ الانحلال السياسي فضعفت سلطة السلاطين، وقصرت مدة حكمهم، كما تهددت الأخطار الخارجية، وكثرت الحروب الداخلية، وانهار النقد، وانتشرت الأوبئة، فانعكس ذلك على الأسواق الداخلية في البلاد.

(1) - غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعير، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

الحلي القاهرة 1964 ، ص 365 ، 366 .

(2) - الحسن الوزان: نفس المرجع، ص 243 ، روجيه لوترنو: نفس المرجع، ص 155 .

وقدّم عدة مؤرخين وجغرافيين ورحالة كتابات واضحة عن أسواق فاس ومراكش وباقي المدن المغربية. ويمتاز كل من الحسن الوزان ومارمول كربخال بأنهما قدما تقريراً وافياً عن تطور الأسواق من حيث الرواج والكساد فأحصيا ما بها من دكاكين. وعلى سبيل المثال فقد أشارا إلى أنه في وسط مدينة فاس وجد مكان مسوّر يدعى القيسارية، حيث دكاكين التجار وجميع ثروات فاس. ولهذه القيسارية اثنا عشر باباً كبيراً مغلقاً بسلاسل غليظة من الحديد تستعمل كحواجز لمنع دخول المارة إليها وهم ركوب، وتضم خمسة عشر زقاقاً للدكاكين⁽¹⁾، هذا خلاف الأسواق التي تكونت خارج القيسارية نظراً لكثرة العرض والطلب، إلى جانب الأسواق المنتشرة بالمدن والقرى المغربية الأخرى.

ويضيق بنا الحال عن محاولة تتبع كل الأسواق. من هنا فإننا سوف نكتفي بعرض الأسواق التي يكثر تعامل اليهود فيها سواء بالبيع أو الشراء. ولنبدأ بأسواق المواد الغذائية. وهذه الأسواق كانت منتشرة في جميع المدن والقرى التي توجد بها كنائس أو بيع أو أحياء يهودية، حيث تقام بجوار المعابد أو داخل الحي⁽²⁾ أو قرية من أضرحة الأولياء اليهود. إلى جانب دخول اليهود أسواق المدن لبيع منتجاتهم لأنهم اشتهروا بصناعة الخبز وبيع الزيت والخل وغيرها من المائعات كما سبق القول⁽³⁾. وكان بقيسارية فاس التي يرجع تأسيسها إلى بداية إنشاء المدينة أربعون دكاناً يباع فيها اللحم⁽⁴⁾، إلى جانب بيع اللبن⁽⁵⁾، وأصناف أخرى.

أما الأسواق التي تخصصت في بيع الملابس والمنسوجات ولوازمها، فقد

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 245، مارمول كربخال: نفس المصدر ج2 ص 148.

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 15، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 156.

(3) - لسان الدين بن الخطيب: مثل الطريقة، ص 95، الوئشريسبي: نفس المصدر، ج6

ص 68. مجهول: قصة المهاجرين المسلمين بالبلدين، مخ ورقة 2، حاييم زعفراني: نفس

المرجع، ص 156.

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 125.

(5) - مجهول: قصة المهاجرين المسمون بالبلدين، مخ ورقة 4.

كانت منتشرة عبر مدن وقرى المغرب الأقصى بأكملها. فنجد في (تيدسي) حياً كبيراً لليهود، وسوقاً يقصده أعراب هذه المنطقة بالماشية والصوف والجلود والسمن، فيشترون بدل ذلك الجوخ والقماش والأحذية⁽¹⁾. وفي فاس كان يقام المزاد ويبدأ البيع ظهراً وينتهي عصر⁽²⁾، وكان لليهود سوق للخياطين⁽³⁾.

ولكثرة تواجد اليهود بالأسواق والخوف على المسلمين من غشهم كثرت الفتاوى التي تحذر من غشهم في سلع كثيرة، منها بيع الأقمشة⁽⁴⁾. حيث كثر اليهود المشتغلين بصناعة الأقمشة وبشراء الصوف⁽⁵⁾، وصبغه وإعادة بيعه كما في (تدنست). التي كان بها عدد من اليهود لا يبيعون سوى أقمشة خشنة مصنوعة في البلاد. أو يتجرون في أقمشة مستوردة من أسفي حيث يأتي بها النصارى الأوربيون⁽⁶⁾. وبعد سقوط الأندلس كثر التوافد اليهودي على المغرب الأقصى، ولذلك كثرت متاجرهم في عهد الوطاسيين وامتدت في شارع طويل⁽⁷⁾.

وكان سوق الشماعين من أهم الأسواق المنتشرة في الجنوب المغربي، الذي ازدادت أهميته مع الاستعمار الأوربي، نظراً لأنه كان مهملأ قبل ذلك⁽⁸⁾. ولكن بعد مجيء هذا الاستعمار ظهرت أهميته وزاد الطلب عليه، فأصبح الشمع من أهم المواد التي يتم التبادل بها في الأسواق. لدرجة أن اليهود أقاموا بناية لعصر شمع العسل⁽⁹⁾. وكان اليهود وسطاء للأوربيين في الحصول على هذه السلعة، فكانوا يجمعون الشمع ويبيعونه لتجار جنوة والبرتغاليين⁽¹⁰⁾.

-
- (1) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص38 .
 - (2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص243 .
 - (3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص155 .
 - (4) - الهادي روجيه: نفس المرجع، ج2 ص373 .
 - (5) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص120 .
 - (6) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص110 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ص9 ، 10 .
 - (7) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج2 ص191 .
 - (8) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص107 .
 - (9) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص157 ، 10 .
 - (10) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص157 .

والى جانب ذلك وجد في الأسواق دكاكين لبيع الأحذية وأغطية السروج المطرزة⁽¹⁾. وأغلب الصناعات القائمة على الصباغة والديباغة كانت من نصيب اليهود. فكانوا يتاجرون فيما يصنعونه منها. إلى جانب سوق الصباغة التي احتكرها اليهود أيضاً. ففي فاس الجديدة، كانت توجد دكاكينهم، وكانوا يذهبون منها إلى فاس القديمة لبيع مصنوعاتهم في ساحة قرية من سوق العطارين⁽²⁾.

وهذه الأسواق تختلف حسب مدة كل سوق. فنجد أسواقاً تقام كل عام مثل سوق مدينة (أديكيس) الذي يدوم خمسة عشر يوماً كل عام، ويقصده سكان الجبال المجاورة وضواحي المدينة⁽³⁾. وفي إقليم جزولة يقام سوق يدوم شهرين كل عام، وأثناء هذه المدة كلها كانوا يطعمون الغرباء الوافدين على هذا السوق مجاناً، ويوزع التجار على دكاكين مختلفة فيها حسب اختلاف البضائع. وكانت هذه الدكاكين منظمة في الأزقة والدروب حسب ترتيب معين، ويأتي إلى هذا السوق عشرة آلاف تاجر أجنبي⁽⁴⁾. كما يوجد في هذا الإقليم سوق أسبوعي للتجارة يدوم ثلاثة أيام في الأسبوع⁽⁵⁾. وفي هذا الإقليم تكثر الحروب بين القبائل، وهنا يظهر دور اليهودي، السواقة والدوازة⁽⁶⁾، لبيع ما يتطلبه المشتري قبل انعقاد السوق. خاصة وأن هذا الإقليم يقع بجوار إقليم حاحا الذي يكثر فيه اليهود.

(1) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص106 ، مجهول: قصة المهاجرين، مخطوط ورقة 2 .

(2) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص284 .

(3) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص16 .

(4) - المصدر السابق، ج2 ص69 .

(5) - المصدر السابق، ج2 ص69 .

(6) - السواقة أو الدوازة: هم الباعة المتجولون الذين يغادرون قراهم غداة عيد الفصح ويعودون عشية رأس السنة ثم يعودون للتنقل بعد عيد المظلات ليعودوا عشية عيد الفصح. انظر. حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص25 .

وإلى جانب الأسواق السنوية والأسبوعية وجدت الأسواق اليومية الحافلة بكل أنواع البضائع، مثل أسواق قيسارية فاس، حيث يقام المزاد كل يوم للأقمشة والصوف الخام وجميع المواد الخام والسلع اللازمة للاستهلاك. وقد كانت الأسواق تقام في أماكن يراعى فيها أن يكون السوق متعدد المنافذ والمسالك من أجل الدخول إليها والخروج منها⁽¹⁾.

ويشير الونشريسي إلى أن بعض الباعة من المسلمين واليهود، كانوا يقومون ببيع السلع للنساء في الدور وليس في الأسواق. ويضيف بأن النساء كن يخرجن إليهم للشراء سافرات الوجه عندما يشتد الحر في فصل الصيف⁽²⁾. وكان البيع في الأسواق يتم عن طريق الدلالين والجلالين. وجرت العادة أن تكون أسواق المواد السائلة مثل اللبن والزيت والخل أمام المدينة أو أسوارها أو أمام ضريح أحد الصالحاء⁽³⁾.

وأهم بضاعة لعب اليهود دوراً في رواجها تمثلت في تجارة الرقيق، حيث كانت توجد شبكة من اليهود تنتشر في إسبانيا والمغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي، مروراً بمصر وبلاد الشام حتى المشرق الأقصى وأماكن أخرى، مستغلين معرفتهم بعدة لغات⁽⁴⁾. إلى جانب اعتمادهم على الطوائف اليهودية المتمركزة في عدة مدن وأماكن مختلفة في العالم. وكان اليهود يقومون بخصي الذكور من الرقيق على مر العصور الإسلامية⁽⁵⁾.

وكان المصدر الذي تأتي منه هذه التجارة إلى المغرب الأقصى بلاد السودان الغربي، وذلك بفضل تنظيم القوافل التجارية عبر الصحراء للمتاجرة في الذهب والرقيق. وكان هذا الرقيق يصدر إلى نول لمطة وإلى سجلماسة ثم

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 243 ، 244 ، روجيه لوتورنو: نفس المرجع ص 155 .

(2) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 5 ص 197 .

(3) - عبد القادر زمامة: أزمة التجارة في الأندلس، مجلة المناهل عدد 32 المغرب 1985 ، ص 333 ، 334 .

(4) - ابن خردزاية: نفس المصدر، ص 153 .

(5) - الترماني: نفس المرجع، ص 99 .

يتم بيعه نقداً في سوق مراكش وفاس⁽¹⁾.

وكانت أسواق المدن المغربية تقام في مواعيد ثابتة، ويقوم المحتسب بالإشراف عليها لمنع غش السلع، والمضاربة في الأسعار، والاحتكار، وغش الموازين والمكاييل⁽²⁾. وكان للمحتسب غلمان وأعوان ملتزمون بالأمانة والعفة في عملهم⁽³⁾. وقد اهتم المرينيون بهذه الوظيفة، فجعلوا صاحبها أحد عناصر الإدارة الهامة في كل مدينة.

وكان اليهود يتحكمون في النشاط التجاري داخل الأسواق أثناء ضعف الدولة، سواء كانت مرينية أو وطاسية، وحسب قوة وشكيمة محتسب السوق⁽⁴⁾. ففي حالة ضعف الدولة والمحتسب كانوا يسيطرون على الأسواق خاصة القيسارية بفاس. وعند استعادة الدولة لقوتها كانوا يطردون منها، أو يلتزمون الأدب والعمل في أمانة⁽⁵⁾.

(4) التجارة الخارجية ودور يهود المغرب الأقصى فيها:

وصلت التجارة الخارجية ذروتها في بداية العصر الماريني، نتيجة الدور اليهودي والمسيحي إلى جانب المغربي، ولحجيء دولة ذات اتجاهات سياسية وليست دينية. مما أعطى لليهود حرية ممارسة نشاطهم التجاري خاصه الخارجي، ولذلك ازدهر دورهم التجاري، وشجعت الدولة على ذلك بعقد عدة اتفاقيات دولية مع الجمهوريات التجارية، والممالك المسيحية في حوض البحر المتوسط.

(1) - سيدي عبد المجيد بكر: الأقليات المسلمة في افريقيا، كتاب دعوة الحق عدد 32 مكة 1985 ، ص27 . موريس لومبار: نفس المرجع، ص299 ، الترماني: نفس المرجع، ص88 .

(2) - المالقي: نفس المصدر، ص18 ، عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص294 ، فتحة النبراي: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية دار المعارف مصر 1981 ، ص118 .

(3) - الشيرازي: نفس المصدر، ص10 ، ابن الأخوة: نفس المصدر، ص128 .

(4) - ليفي بروفسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص39 .

(5) - مجهول: قصة المهاجرين، ورقة 4 .

فقد أبو الحسن المريني في عام (739هـ / 1339م) معاهدة سياسية تجارية في تلمسان مع وفد ميورقة. وقد سمح هذا الاتفاق لرعايا ميورقة بالتجارة في المغرب، ولكن منع عليهم أن يصدروا منه القمح والسلاح والخيل والجلود المملحة والمدبوغة⁽¹⁾. ولكن تطور الوضع بعد ذلك، ففي عهد السلطان أبي عنان (749 - 759هـ / 1348 - 1357م)، تم عقد عدة معاهدات مع البرتغال وقشتالة وأرغون وميورقة وصقلية وجنوة⁽²⁾ والبندقية⁽³⁾. وكان لهذه الاتفاقيات أكبر الأثر على الرواج التجاري، حيث كان يهود الأقطار الإسلامية ومنها المغرب الأقصى يسافرون على سفن تخص مواطني هذه البلاد غير الإسلامية⁽⁴⁾، نظراً لما كانت تقوم به هذه البلاد من حماية طرق التجارة البحرية بينها وبين المسلمين حسب الاتفاقيات التي أشرنا إليها. وانتهاز يهود المغرب الأقصى هذه الفرصة ولعبوا دوراً كبيراً في التجارة الخارجية للمغرب الأقصى، وذلك من خلال عقد صلات قوية بينهم وبين يهود ومواطني هذه البلاد الأجنبية، جعلتهم يكوّنون فيما بينهم ما يشبه أول نظام ائتماني عالمي، يسهل فيه عملية انتقال التاجر من بلد إلى آخر، وتسهل عمليات التبادل التجاري وتنظمها⁽⁵⁾.

وساعد على ذلك تحدث اليهود بعدة لغات مثل العبرية والفارسية والرومية والآرامية والإفرنجية والصقلية والبديشية⁽⁶⁾، إلى جانب اللغة العربية. مما أدى إلى رواج التجارة وإلى ازدهار الموانئ المغربية المطلّة على البحر المتوسط مثل ميناء باديس، الذي أصبح من أهم الموانئ التجارية لتصدير السلع القادمة من فاس.

-
- (1) - محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي عدد 3 ، 4 ، ص 251 .
 - (2) - المرجع السابق، ص 251 .
 - (3) - شارل دبل: البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق اسكندر، دار المعارف مصر 1947 ، ص 66 .
 - (4) - جواتاين: نفس المرجع، ص 213 .
 - (5) - عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية، ج1 ص 18 .
 - (6) - ابن خردزابة: نفس المصدر، ص 153 .

ففي القرن الرابع عشر الميلادي كانت السفن التجارية تأتي كل سنتين من مدينة البندقية إلى ميناء باديس، لإنزال مختلف أصناف البضائع وشحن بضائع أخرى⁽¹⁾.

كذلك اشتهر ميناء سبتة في ميدان التجارة العالمي، فكان يقصده تجار المدن الإيطالية وبخاصة تجار مدينة جنوة حيث كانت لهم سبعة فنادق فيها⁽²⁾. كما كانت مدينة سبتة بداية طريق القوافل المؤدية إلى إمبراطورية غانة والسودان الغربي⁽³⁾. ووصلت سبتة أوج مجدها كميناء أثناء حكم عائلة العزفي من قبل السلاطين المرينيين، فحظيت بقوة سياسية واقتصادية حقيقية. حتى أن صاحب أرغون المسمى نحامي الأول - جايمش - (610 - 675هـ / 1213 - 1276م) عقد معاهدة سلم مع صاحب سبتة في (فبراير 1269م / 668هـ)، فكان هذا أول اتفاق بين صاحب أرغون ومدينة مغربية. وفي عام 694هـ / 1294م عينت أرغون سفيراً لها لدى أبي حاتم العزفي. ونظراً لأهمية هذا الميناء على البحر المتوسط وسيطرة عائلة العزفي عليه، اضطر السلطان أبو سعيد المريني (تولى عام 719 - 732هـ / 1310 - 1331م) إلى تغيير سياسة الدولة تجاه هذه الأسرة العزفية، وهي إقصاؤها عن هذا الميناء وتوزيع السلطة فيه على أكثر من فرد⁽⁴⁾.

وهناك مواني أخرى لعبت نفس دور ميناء سبتة مثل ميناء مليلة. فكان في

(1) - ابن سعيد: نفس المصدر، ص 140 ، الحميري: نفس المصدر، ص 75 ، راجع المؤتمر الثالث للآثار: بحث أحمد المكناس، ص 209 .

(2) - السبتي: اختصار الأخبار عما بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية. الرباط 1969 ، ص 45 .

(3) - ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، ص 139 ، الأدرسي: نفس المصدر، ج 1 ص 290 ، مارمول كريخال: نفس المصدر، ج 2 ص 216 ، 217 ، أمين توفيق الطيبي: النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية القرن 8هـ / 14 ميلادي، مجلة البحوث التاريخية عدد 2 يوليو 1982 السنة 8 ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ص 292 .

(4) - محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي الأندلسي في العصر المريني، ص 105 .

كل هذه الموانئ فنادق خاصة بالدول التي تتعامل معها، وذلك بتخزين تجارتها إلى أن يتم تصريفها داخل البلاد المغربية عن طريق التجار الوسطاء وهم غالباً يهود.

وكان لكل جماعة من الجماعات اليهودية المتمركزة في الموانئ المغربية رسول خاص بها ينبهها بوصول القوافل والسفن القادمة من البلاد الأجنبية، وإلى أهمية شحناتها ونوع السلع التي تنقلها، وترتبط بعلاقات مع الضامنين الذين يقومون بإيواء التجار القادمين على متن هذه السفن. وكان لكل جماعة يهودية أيضاً قاض خاص يحكم في معاملاتها التجارية، ومراقب لهذه المعاملات والأسواق⁽¹⁾.

وكان التجار اليهود مغاربة وغير مغاربة يتعاملون فيما بينهم متخذين من الوكالة نظاماً للتعامل، حيث كان الوكيل يوزع بضائعهم على التجار الصغار لبيعها لحسابهم⁽²⁾. وقد كان للتجار اليهود دور أقوى من التجار المسيحيين في المجالات الاقتصادية، لكثرة حركتهم وتغلغلهم في المجتمعات الإسلامية⁽³⁾. ولذلك تغلغلوا في المدن المغربية حتى وصلوا إلى المدن السودانية، فكان بها مغاربة مغترين، ويهود منهمكون في تجارة الصحراء⁽⁴⁾، مما جعل تجارة المرور أهم أنشطة التجارة في الدولة المرينية، التي جمعت مبالغ كثيرة من الضرائب والرسوم الجمركية التي كانت تفرضها على هذا النوع من التجارة.

وعندما سيطر الوزراء على السلطة الفعلية في الدولة المرينية، تفككت أوصال التجارة الخارجية في دائرتها الواسعة، إذ باتت خاضعة لرحمة الزعماء الهلاليين وآخرين، مما جعلها تتحول نحو موانئ المحيط الأطلنطي ونحو الصحراء

(1) - مورييس لومبار: نفس المرجع، ص 313 .

(2) - عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص 304 .

(3) - عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس (626 - 981هـ / 1228 - 1573م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة 1991 هامش ص 350 .

(4) - الشيخ الأمين: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغى، دار المجمع العلمي جدة 1979 ، ص 165 .

تجاه الشرق⁽¹⁾. وتعرض ميناء سبتة لغزوات البرتغاليين، ونزل يهود أوروبا في ذمة النصارى بمرسى هذا الثغر لكونه قد تولاه النصارى⁽²⁾ بعد أن احتله البرتغاليون في عام 818هـ/1415م. ولم يستمر طويلاً استقراراً اليهود بسبتة أو تطوان، حيث تعرضوا للتنكيل والإهانة من الغزاة الإسبانيين والبرتغاليين⁽³⁾.

وفي هذا الفترة المضطربة سياسياً ضعفت مواني الشمال، ونشطت المواني المطلة على المحيط الأطلسي مثل سلا وأنفي وأسفي وأزمور وأغادير وماسة ونول لمطة، حيث أصبح ميناء سلا بدلاً من ميناء باديس المطل على البحر المتوسط، مركزاً لتصدير تجارة إقليم فاس. ورست في هذا الميناء سفن من مختلف الجنسيات⁽⁴⁾. وبدأ تبر السودان ينقطع وصوله بالكميات الكبيرة السابقة منذ العقود الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى مدن الشمال الأفريقي. ونتج عن ذلك أن الرخاء المحلي في المواني الغربية المغربية السابق ذكرها انهار⁽⁵⁾، حيث سجل مجيء ثلاثين سفينة خلال شهر وستة عشر يوماً، ووفد على هذه المنطقة الجنوبية سفن إنجليزية وهولندية⁽⁶⁾. وبدأ اليهود يتجهون حيث تتجه التجارة، فتمركز البعض منهم في هذه المواني للقيام بدور الوسيط بين مناطق الإنتاج والتاجر الأوربي، واتجه البعض الآخر منهم للعمل في الربا والمضاربة. ولذلك وثق يهود فاس في عهد بني وطاس صلاتهم بيهود الواحات السوسية حتى بلاد السودان، واحتكروا أغلب تجارة البلاد. بينما وقف تجار الجنوب المسلمين ضدهم⁽⁷⁾.

-
- (1) - العروي: نفس المرجع، ص238. . Larui. op. cit.. p238.
 - (2) - الجوطي: تأليف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 1442 تاريخ) ورقة 11 .
 - (3) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج2 ص192 .
 - (4) - الحسن الوزان نفس المصدر، ص123 ، مارمول كربخال: نفس المصدر، ج1 ص489 ، ج2 ص135 .
 - (5) - فرنان برودل: من ذهب السودان إلى فضة أمريكا، بحث ضمن أبحاث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة 1961 ، ص84 ، 85 .
 - (6) - محمد رزوق: نفس المرجع، ص224 .
 - (7) - ابراهيم حركات، أوضاع المغرب قبل قيام السعديين، ص88 .

كما استخدم اليهود سلاح الرشاوي والهدايا المحرمة. يؤكد ذلك أن ظاهرة الرشوة شاعت بينهم، وأيضاً بين مجموعة من أمناء الأسواق⁽¹⁾. ولذلك سيطر اليهود على أهم المدن وعلى مصادر التجارة والمال، وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين، فأصبحوا صنائع لهم⁽²⁾. ولذلك عملوا على السيطرة على تجارة السودان الغربي⁽³⁾، فوصلت أقمشة أوربا إلى تمبكت عن طريقهم⁽⁴⁾، وكرد فعل لهذه الهيمنة اليهودية التجارية، إلى جانب آراء الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي⁽⁵⁾ المحرصة على التصدي لهم، حرم عليهم حاكم تمبكت⁽⁶⁾، وهو العدو اللدود لليهود، التجارة مع هذه المدينة⁽⁷⁾.

وهؤلاء اليهود المسيطرون على بعض المدن المغربية تجارياً، كان منهم الرؤساء الدينيون لليهود. الذين كانوا يمارسون التجارة إلى جانب مهامهم

-
- (1) - الونشريسي: نفس المصدر، ج8 ص351 ، ج10 ص120 - 122 .
 - (2) - عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1982 ، ص153 .
 - (3) - d oliver and Anthany Atnore. The African Midle Ages 1400 - 1800 - Paress 1981. P. 66.
 - (4) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص540 .
 - (5) - كان محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إماماً وعلامة في الفقه والتفسير والحديث والمنطق وغيرها من العلوم. بدأت دراسته الأولى في تلمسان وغيرها من مدن بلاد المغرب ثم غادرها إلى واحة توات بالصحراء الكبرى ووقعت له حادثة مع يهودها في أواخر القرن التاسع الهجري مما جعله يكتب رسالة «مصباح الأرواح في أصول الفلاح» إلى علماء فاس وغيرها مما اثار لغطاً كبيراً بين معارض وموافق واشتد في مطاردة اليهود إلى أن قتل اليهود ولده عبد الجبار فعاد المغيلي حزيناً إلى توات وتوفي بها في عام 909هـ/ 1503م. انظر محمد عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح.
 - (6) - كانت تمبكت في تلك الفترة خاضعة لحكم اسكيا الحاج محمد سلطان دولة صنغي الإسلامية التي كانت تحكم غرب افريقيا، وكانت تمبكت الولاية الثانية بعد العاصمة في هذه السلطنة وقد تأثر هذا السلطان بآراء المغيلي ضد اليهود فكان عدواً لهم انظر وداد نصر محمد السيد الطونخي: مدينة تمبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة 1986 ، ص52 .
 - (7) - المصدر السابق، ص541 .

الدينية، مثل حاخام أسفي إبراهيم بن زاميرا وحاخام ازموور. وكان كبار تجار اليهود بهاتين المدينتين من أصل برتغالي أو إسباني⁽¹⁾، وكذلك أسرة الديب بأزموور. وكان لهؤلاء اليهود أصدقاء وأقارب بفاس ومراكش ومناطق أخرى، وكانوا يخبرون البرتغاليين والإسبانيين باستعدادات كل من الوطاسيين والسعديين لمواجهةهم⁽²⁾. كما كان هؤلاء التجار الكبار المحتكرون لبعض المواد الخام على علاقة بالسلطة الحاكمة⁽³⁾، ولهم وسائلهم الخاصة في الحصول على المعلومات ذات الطابع الاقتصادي، ولهم مراسلون في الدول الأخرى. وكانوا يحتكرون تصدير المواد المحلية مثل الحبوب والفراء والشمع⁽⁴⁾، وكذلك السكر والتمر والصمغ والعسل وملح البارود والنحاس والجلود الخام والمذبوغة والقطن⁽⁵⁾، ويجمعون هذه المواد عن طريق أصحاب الدكاكين في الملاح أو السوق، ومن المتجولين ببضائعهم في البوادي. كذلك كانوا يجمعون المنتجات المحلية لحساب موكلهم أو شركائهم في المدن، وتعرف هذه المهنة باسم (تادوداست). وكان يطلق على الذين يمارسها داوس، أي بائع متجول⁽⁶⁾. وكان التجار المتجولون في الأسواق لجمع السلع يعرفون بالسواقة أو الدوازة.

وكان يهود بسجلماسة مشهورون بتجارتهم مع بلدان ساحل النيجر ووسط أفريقيا⁽⁷⁾، وعن طريق البرتغاليين والإسبان تركز البعض منهم في عدة قواعد مثل قاعدة ساوتومي وفرناندوبو⁽⁸⁾، ولذلك بدأ اليهود والبرتغاليون في

(1) - بوشارب أحمد: نفس المرجع، ص 325 .

(2) - المرجع السابق، ص 328 .

(3) - جون ماتربوري: الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة ماجد نعمة، دار الوحدة بيروت 1983 ص 23 .

(4) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص 25 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 9 .

(5) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج3 ص 147 ، عبد الكريم كريم: نفس المرجع، ص 9.

(6) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 149 .

(7) - المرجع السابق: ص 25 ، ص 11 .

(8) - فيجي: تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف 1982 ، ص 129 .

عام 1530م بنقل عبيد أفريقيا عبر الأطلنطي⁽¹⁾. وحرّم المغرب الأقصى من عبور هذه التجارة بأرضه وبالتالي حرّم مما كان يدفع عليها من رسوم كانت تدعم اقتصاد المغرب. ولذلك شهد المغرب الأقصى انهياراً في التجارة الخارجية في نهاية الدولة المرينية وبداية الدولة الوطاسية، حيث تناقصت موارد الرسوم والمكوس التي كانت تجبي من الجمارك بصفة عامة.

وتعرف رسوم الجمارك بالمكس⁽²⁾، وكان يهود المغرب الأقصى عندما يجلبون بضائع من الخارج يدفعون رسوم الجمارك المقررة عليهم بنسبة 5٪، أما الغرباء وغير المسلمين القادمين من خارج البلاد، فكانوا يدفعون رسوماً على بضائعهم التي يدخلون بها للمغرب الأقصى نقداً بنسبة 10٪. وللهرب من هذه الرسوم كان هؤلاء الغرباء يحاولون مشاركة اليهود المغاربة في استيراد بضائعهم⁽³⁾. وكان فقهاء المسلمين لا ينظرون إلى هذه الرسوم بعين الرضا، لأنها رسوم غير شرعية⁽⁴⁾ نظراً لعدم وجود سند شرعي لها، ولكنها تواجدت من عصور سابقة⁽⁵⁾. ولكن هذه الرسوم أمدّت الدولة المرينية بكثير من الأموال. فكان إيراد ميناء سبتة في اليوم الواحد يتراوح بين خمسمائة دينار إلى سبعمائة،

(1) - المرجع السابق: ص 134 .

(2) - المكس هو العشور، وأصل المكس في اللغة الحباية، وذكر كلود كاهن بأن كلمة مكس وهي كلمة من أصل آرامي استعملها اليهود بمعنى ما يدفع من الضرائب على السلع، انظر الندوة الدولية لتاريخ القاهرة: تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، دار الكتب القاهرة 1971 ، ج 2 ص 121 ، ابن منظور: نفس المصدر، ج 6 ص 4248 ، المقرئ: الخطوط، ج 2 ص 121 ، ابن سلام: نفس المصدر، ص 471 ، 472 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، ج 1 ص 126 .

(3) - عاشور بوشامة: نفس المرجع، ص 339 ، 340 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، ج 1 ص 124 .

(4) - أبي يوسف: نفس المصدر، ص 145 ، ابن القيم الجوزية: نفس المصدر، ج 1 ص 124 ، عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة 1948 ، ص 220 ، 221 .

(5) - المقرئ: الخطوط، ج 2 ص 121 ، نعيم زكي: طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973 ، ص 354 .

وفي بعض الأحيان كان يصل إلى ألفي دينار⁽¹⁾.

وكان لرئيس إدارة الثغر سلطات قانونية وتنفيذية يساعده في ذلك أعوان مختصون من أجهزة الشرطة والقضاء وذلك لمواجهة الإشكالات التي تنشأ مع التجار، أو التي تطرأ بين التجار سواء أكان الطرفان من المسلمين أو من الرعايا اليهود مع المسلمين، أو بين مسلمين وأطراف أخرى مسيحية. أما المشكلات التي تطرأ بين التجار المسيحيين فقد كان قناصلهم مكلفين بالنظر فيها⁽²⁾. وما إن تصل السفينة إلى الثغر حتى يستقبلها رجال من موظفي الثغر، فيصعدون عليها ويثبتون جنسيتها عن طريق القنصل الذي تتبعه، أو عن طريق مواطنيهم المقيمين بالثغر. كما كانوا يعرفون عدد ركابها وأسمائهم وأنواع السلع التي معهم⁽³⁾. وبعد ذلك يتم إنزال حمولتها في الفنادق الخاصة بهم في انتظار تصريفها. ويبدأ التعامل بين التجار الوافدين وتجار البلد، وغالباً مايكونون من اليهود المغاربة مثل يهود مدينة تفضة الذين كان التجار يقصدونهم بالخصوص⁽⁴⁾. وفي أماكن أخرى من البلاد نجد الأوروبيين يدخلون السوق بتجارتهم لبيعها بأنفسهم⁽⁵⁾.

أما رجال القوافل البرية القادمة من البلاد المجاورة فكانوا يدفعون الرسوم قبل دخول الأسواق، وهذه الرسوم أسهل الضرائب من ناحية الجباية، لأن المدن محاطة بأسوار عالية ولا تدخل هذه القوافل إلا من أبوابها حيث يجبي منها الضرائب المفروضة⁽⁶⁾.

(1) - المقرئ: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون). لجنة التأليف

والترجمة والنشر القاهرة 1939 الجزء الأول ص 42 - 44 .

(2) - مارمول كريخال: نفس المصدر، ج2 ص 143 ، عاشور بوشامة: نفس المرجع، ص 341 .

(3) - ابراهيم طرفان: مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1960 ، ص 285 .

(4) - مارمول كريخال: نفس المصدر، ج2 ص 117 .

(5) - المصدر السابق، ج2 ص 55 .

(6) - المصدر السابق، ج3 ص 145 ، هوبكنز: النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار المصرية للكتاب ليبيا وتونس 1980 ، ص 92 .

وحفاظاً على دخل الدولة من الضرائب سواء كانت تجبي من القوافل أو من التجارة المحملة على سفن، أمنت الثغور حتى لأتھرب البضائع إلى داخل البلاد. ولذلك نقل الجمرك من سلا إلى فاس الجديدة لمزيد من الأمن، حيث كانت سلا مهددة بالغزو البرتغالي⁽¹⁾، أما المناطق التي يضعف فيها نفوذ الدولة فكانت الرسوم الجمركية يستخلصها الأعراب⁽²⁾، أو أكابر السكان لأنفسهم⁽³⁾.

(5) - طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والمواني وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى:

تشرف عدة جهات في الدولة الإسلامية على تنظيم التعامل الاقتصادي في المواني والمدن وفق الشريعة الإسلامية⁽⁴⁾. والمقصود بالتعامل هنا هو طرق البيع والشراء بين المسلمين وأهل الذمة سواء كانوا يهوداً أم نصارى. وهذه الطرق عديدة وهي التي أقرتها كتب الفقه الإسلامي. ولكن وجد عدة طرق وأساليب تعامل بها اليهود مع المسلمين ونهت عنها هذه الكتب منها:

آ - بيع النجش:

وهو الزيادة في البيع، بأن يزيد شخص في قيمة السلعة دون أن يكون له حاجة إليها، ولكنه يريد أن يوقع غيره في شرائها⁽⁵⁾. وهذا عمل محرم نهى عنه

(1) - الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 150 .

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج 3 ص 153 .

(3) - المصدر السابق، ج 2 ص 38 .

(4) - الجهات هي القضاء وصاحب المظالم وصاحب المدينة والشرطة وصاحب السوق (المحتسب). انظر. ابن الأنحوة: نفس المصدر، ص 25 .

(5) - مجهول: قصة المهاجرين المسمون بالبلدين، مخطوط ورقة 3 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾. ولكن السماسرة اليهود كانوا⁽²⁾ يقومون بالنجش لحصولهم على أجر مقابل هذه النوع من البيع⁽³⁾.

ب - بيع الجزاف:

وهو الذي لا يعلم قدره على التفصيل أو وزنه أو كيـله أو عدده وهو جائز، ولكن إن علم قدره ووزنه وعدده فلا يجوز البيع جزافاً، مثل بيع المسكوكات من الدنانير أو الدراهم⁽⁴⁾. وكان اليهود يشتغلون ببيع الدنانير والدراهم ويعرفون بالصيارفة ولسوء معاملتهم ألحقوا الضرر بالمسلمين⁽⁵⁾. وقد نهى المشرع عن هذا البيع، وكذلك أنواع أخرى مثل (أ) بيع الملامسة وهو أن يلمس كل منهما ثوب صاحبه أو سلعته فيجب البيع بذلك دون علم بحالها أو تراض عنها. (ب) بيع المخاضرة وهو بيع الثمرة الخضراء قبل صلاحها ونضجها⁽⁶⁾. (ج) بيع الصوف في الظهر أي قبل قصه من على ظهر الدابة. (د) بيع السمن في اللبن⁽⁷⁾. وكان ينتشر في فاس عدد كبير من بائعي اللبن من اليهود⁽⁸⁾، وكانوا يغشونه بالماء⁽⁹⁾، وينقصون وزنه⁽¹⁰⁾، إلى جانب أفعال أخرى من البيع بأن يجعل في حانوته

(1) - الشافعي: نفس المصدر، جـ 3 ، جـ 3 ص 80 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ 2 ص 199 .

(2) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ 6 ص 157 ، المغيلي: مصباح الأرواح، ص 42 .

(3) - مرمول كربخال: نفس المصدر، جـ 2 ص 149 .

(4) - ابن رشد: بداية المجتهد، جـ 2 ص 175 ، السيد سابق: فقه السنة، دار التراث القاهرة بدون تاريخ، جـ 3 ص 137 ، الملقاوي: فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة 1972 ، ص 90 ، 91 ، الونشريسي: نفس المصدر، جـ 5 ص 35 .

(5) - الحكيم: نفس المصدر، ص 137 .

(6) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ 5 ص 22 .

(7) - ابن رشد: بداية المجتهد، جـ 2 ص 176 - 182 ، السيد سابق، نفس المرجع، جـ 3 ص 146 .

(8) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 4 .

(9) - الونشريسي: نفس المصدر، جـ 6 ص 412 .

(10) - المصدر السابق، جـ 6 ص 424 ، 425 .

ماهو أعلى من المنتجات وماهو أدنى، ويرى المشتري الأعلى ويتفاوض معه في الثمن الذي يتم به البيع، ثم يأخذ من يد المشتري ماأراه من الأعلى ويرده لحانوته ثم يعطيه الأدنى الذي لم يره مما يضر بالمشتري⁽¹⁾.

ج - بيع المربحة:

وهو أن يذكر البائع للمشتري الثمن الذي اشترى به السلعة ويشترط عليه ربحاً ما للدينار أو الدرهم⁽²⁾. وكان اليهود يقترضون الأموال بربا زهيد ثم يقرضونه بربا فاحش، فيربحون الفرق وهو الذي يسمى المربحة⁽³⁾. وفي ذلك تقول التوراة «أخذت الربا والمربحة وسلبت أقرباءك بالظلم»⁽⁴⁾.

د - بيع السلم «السلف»:

وهو البيع بثمن معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم⁽⁵⁾. والفقهاء تسميه بيع المحاويج، لأنه بيع غائب تدعو إليه ضرورة كل واحد من المتبايعين، فإن صاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري السلعة، وصاحب السلعة محتاج إلى ثمنها قبل حصولها عنده لينفقها على نفسه وعلى زرعه حتى ينضج⁽⁶⁾. وهنا يتواجد اليهودي لتسليف المزارعين ما يحتاجونه، ثم يقومون بجمع المحاصيل التي يسلمها لهم الفلاحون مقابل ديون أو رهون كان متفقاً عليها، وكانت تلك

(1) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، مخطوط رقم 4 .

(2) - ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2 ص256 .

(3) - زكي شنودة: نفس المرجع، ص394 .

(4) - التوراة سفر حزقيال اصحاح 22 آية 12 .

(5) - الشافعي نفس المصدر، ج3 ص81 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2 ص240 .

(6) - الشافعي: نفس المصدر، ج3 ص81 - 83 ، السيد سابق: نفس المرجع، ج3 ص171 .

المواد التي يتلقونها منهم أداء لهذه الديون⁽¹⁾. وهذا مخالف للشرع الذي ينص على «من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»⁽²⁾. ولذلك قام اليهود بتسليف المحتاج بفائدة بلغت في بعض الحالات 60٪ وفي أخرى 100٪⁽³⁾.

كما وجدت عدة معاملات أخرى نهى عنها الشرع مثل بيع العنب لمن يتخذه خمراً⁽⁴⁾، حيث كان اليهود يربحون من عصر العنب خمراً⁽⁵⁾. ومنع بيع السلاح أثناء قيام فتنة⁽⁶⁾، نظراً لكون أغلب الحدادين وصناع السيوف والنبال يهود⁽⁷⁾. وكذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كثرة الحلف أيماناً بما جاء في كتاب الله العزيز «إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»⁽⁸⁾ وكان السماسرة والدلالون والتجار اليهود كثيرون الالحاف على المشتري، فلا يستطيع أن يتخلص منهم إلا بعد عناء كبير⁽⁹⁾. لذلك حرم بعض الفقهاء بيعهم⁽¹⁰⁾.

وتستدعي عملية البيع والشراء الكبرى إبرام عقد من عقود المعاملات، وعلى أساسه ينظم التعامل في المواني والمدن بحيث يتحقق الهدف المرجو وهو الربح المجزي، من هذه العقود عقد المضاربة.

-
- (1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 149 .
 - (2) - الشافعي: نفس المصدر، ج3 ص 281 ، ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2 ص 240 - 242 ، السيد سابق، نفس المرجع، ج3 ص 171 .
 - (3) - عز الدين أحمد موسى: نفس المرجع، ص 81 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج5 ص 18 .
 - (4) - الشافعي: نفس المصدر، ج3 ص 65 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج5 ص 20 .
 - (5) - الونشريسي: نفس المصدر، ج6 ص 69 .
 - (6) - الشافعي: نفس المصدر، ج3 ص 65 .
 - (7) - مجهول: ذكر قضية المهاجرين، مخطوط ورقة 2 .
 - (8) - سورة آل عمران آية 77 .
 - (9) - غوستاف لوبون: نفس المرجع، ص 365 ، 366 .
 - (10) - الونشريسي: نفس المصدر، ج5 ص 22 .

هـ - المضاربة⁽¹⁾ :

وتسمى أيضاً قراضاً وهو مشتق من القرض⁽²⁾، والمضاربة في اللغة هي أن يدفع شخص مالا لآخر ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على ما شرطاً والخسارة على صاحب المال⁽³⁾. وفي الشرع عقد توكيل صادر من رب المال لغيره على أن يتجر بخصوص النقدين المضروبين ضرباً يتعامل به وإن يشترط له جزءاً من الربح⁽⁴⁾، وشرط عقد المضاربة أو المقارضة أن يكون بين المسلمين بعضهم البعض وإما بين مسلم صاحب المال واليهودي العامل في الاتجار بهذا المال⁽⁵⁾. وتستوجب المقارضة شروطاً لا تجوز إلا بها وهي (أ) أن يكون رأس المال نقداً، فإن كان تبرأ أو حلياً فإنها لاتصح. (ب) أن يكون معلوماً. (ج) أن يكون الربح بين العامل وصاحب رأس المال معلوم النسبة، كالنصف أو الثلث أو الربع. (د) أن تكون المضاربة مطلقة فلا يقيد رب المال العامل بالاتجار في بلد معين أو في سلعة معينة، أو يتجر في وقت دون وقت⁽⁶⁾. (هـ) أن يكون البيع والشراء في يد المسلم دون اليهودي لأنهم يأكلون الربا ويستحلون الأموال ويتاجرون في الخمر والخنزير⁽⁷⁾. وعندما دخلت الدولة خضم مشاكلها السياسية والاقتصادية نشط اليهود ففسدت المعاملات والتجارات⁽⁸⁾، مما أفسح المجال أكثر لليهود في زيادة نشاطهم التجاري فأقرضوا المتعاملين معهم ومدادنتهم إلى آجال يتفقون عليها⁽⁹⁾، فظهر التجار الصغار وأصحاب الدكاكين

(1) - المضاربة من الضرب في الأرض وهو السفر للتجارة وفي سبيل الله. انظر. ابن منظور: نفس المصدر، ج4 ص2566 .

(2) - السيد سابق: نفس المرجع، ج3 ص212 .

(3) - ابن منظور: نفس المصدر، ج4 ص2566 .

(4) - الملقاوي: نفس المرجع، ص106 .

(5) - ابن القيم الجوزي: مصدر سابق، ج2 ص193 .

(6) - ابن رشد: بداية المجتهد، ج2 ص285 - 294 ، السيد سابق: مرجع سابق، ص213 - 214 .

(7) - ابن القيم الجوزي: مصدر سابق، ج1 ص205 .

(8) - الحكيم: مصدر سابق، ص139 .

(9) - بوزياتي الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الوات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1993 ص214 .

في الملاح أو السوق (السواقه) والمتجولون ببضائعهم في البوادي والذين كانوا يقومون أيضاً بجمع المنتجات المحلية لحساب موكلهم أو شركائهم في المدن⁽¹⁾.

و - الحوالة:

وهو مأخوذ من التحويل بمعنى الانتقال. والمقصود هنا نقل الدين من ذمة الحيل إلى ذمة المحال عليه⁽²⁾. وهي أيضاً أن يعطي تاجر مالاً لمن له مال بالبلد الذي يريد أن يسافر إليه بأسعار صرف ذلك البلد⁽³⁾. وفي الغالب يقوم الصرافون بمهمة تحويل تلك الحوالات إلى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول⁽⁴⁾. ويرى بعض الفقهاء أن الحوالة ربا وقد نهوا عن التعامل بها⁽⁵⁾، لكون أكثر الصرافين يهوداً وكانوا يسيطرون على سوق الصرف⁽⁶⁾، إلى جانب أن التجار كانوا يدفعون للصيارفة الدراهم ويأخذون بدلاً منها دنانير ولا يتعجلون، ثم يشترون من الباعة ما يريدون ويحيلون الباعة إلى الصيارفة المذكورين، فذلك مما لا يسوغ ولا يحل بالإجماع، والحوالة فاسدة مفسوخة⁽⁷⁾، لوجوب تماثل الحقين في الجنس والقدر والحلول والتأجيل والجودة والرداءة، فلا تصح الحوالة إذا كان الدين ذهباً وأحاله ليأخذ بدله فضة⁽⁸⁾. ويقوم الصرافون بذلك مقابل خصم جزء من المبلغ المحول مقابل صرفهم⁽⁹⁾، ولا بد للصيارفة أن يكونوا على دراية واسعة بشأن أسعار صرف العملات، والتغيرات التي تطرأ عليها ليتسنى لهم مقارنتها مع قيمة العملة المحلية.

-
- (1) - حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص 149 .
 - (2) - الشافعي: مصدر سابق، ج 3 ص 203 ، ابن رشد: بداية المجتهد، ج 2 ص 363 ، السيد سابق، مرجع سابق، ص 217 .
 - (3) - عاشور بوشامة: مرجع سابق، ص 363 .
 - (4) - المرجع السابق، ص 364 .
 - (5) - الحكيم: مصدر سابق، ص 109 ، 110 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج 66 ص 130 .
 - (6) - الحكيم: مصدر سابق، ص 136 ، 137 .
 - (7) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 2 ص 316 .
 - (8) - السيد سابق: نفس المرجع، ج 3 ص 218 ، الملقاوي: نفس المرجع، ص 127 .
 - (9) - عاشور بوشامة: نفس المرجع، ص 364 .

ز - الوكالة:

ومعناها التفويض وشرط الوكيل أن لا يكون ممنوعاً بالشرع من تصرفه في الشيء⁽¹⁾، ولا يكون من أهل الذمة⁽²⁾، لأنه مايسري على الشركاء يسري على الوكلاء، خاصة عندما يكون وكلاء عن المسلمين، حيث كان الملوك وكبار القوم المغاربة يوكلون اليهود بتدبير مواردهم لمعرفةهم بدقائق الأمور التجارية⁽³⁾.

ح - الموازين والمكايل:

استعمل في المغرب القنطار والرطل والأوقية والوسق والصاع والمد⁽⁴⁾، وحاول السلطان أبو يوسف بن عبد الحق (656 - 685 هـ / 1258 - 1286 م) توحيد هذه المكايل والأوزان لأنها كانت موحدة فجعلها مرينية. وعندما بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة ظهر غش اليهود، إذ عثر بيد يهودي حبات من شعير أعدها ليزن بها، فاتهمه أحد الأمراء لأنه شك في وزنها فاختبرها فإذا في جوفها أطراف من إبر ركزها فيها بعد أن رطبها بالماء ثم جففها، فاشتدت على تلك الحال. فإن وزن لغيره وزن بالتي فيها أطراف الإبر، وإن وزن لنفسه وزن بالتي لإبر فيها⁽⁵⁾، ولزيد من هذه الأفعال الخبيثة انظر المالقي⁽⁶⁾.

وكانت المكايل والموازين داخل القيسارية تخضع لرقابة المحتسب

-
- (1) - ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2 ص366 .
 - (2) - ابن القيم الجوزي: نفس المصدر، ج2 ص192 .
 - (3) - مارمول كريبخال: نفس المصدر، ج2 ص155 ، 156 .
 - (4) - الحكيم: نفس المصدر، القلقشندي: نفس المصدر، ج5 ص177 ، وحول مقدار هذه الموازين والمكايل، انظر الحكيم: نفس المصدر، ص103 ، 104 ، ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1961 ص312 - 348 ، محمد أمين صالح: النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة النهضة الشرق، القاهرة 1984 ص193 - 198 .
 - (5) - الحكيم: نفس المصدر، ص82 .
 - (6) - المالقي: نفس المصدر، من ص26 - 35 .

الشديدة، وكان يصدر أحكامه القمعية ضد المخالفين منهم. وأما خارج المدن والثغور وبعيداً عن رقابة المحتسب كان التجار يهوداً ومسلمين يطففون في الكيل والميزان⁽¹⁾، ويقومون بهذا مستغلين بعدهم عن رقابة السلطة. كما كان لليهود دور كبير في انهيار الاقتصاد المغربي بما قاموا به من تزيف للعملة التي كانت أساس الاقتصاد.

ط - النقود:

تناول عدة مؤرخين ماحل بالمغرب الأقصى من مجاعات⁽²⁾ وأوبئة⁽³⁾، استغلها اليهود كمعاداتهم فظهر على أيديهم احتكار التجارات والرشوة وشراء ذمم المسؤولين الكبار⁽⁴⁾، إلى جانب ترويج العملة المغشوشة.

وعندما تولى السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني (656 - 685 هـ / 1258 - 1286 م) وجد عملة متداولة مضروبة بأيدي اليهود، ولم يكن عليها سكتته - شعار الدولة أو مكان الضرب - إلى جانب نقصان وزنها وغش معدنها⁽⁵⁾، ولذلك أمر ألا تضرب عملة خارج دار السكة،

(1) - يحيى بن عمر: نفس المصدر، ص 101 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج 6 ص 423 .
(2) - راجع ابن أبي زرع: الاينس المطرب، ص 398 ، 401 ، 409 ، انظر ابن بطوطة: نفس المصدر، ص 666 .

(3) - راجع ابن خلدون: نفس المصدر، م 7 ج 13 ص 689 . وباء 819 هـ / 1401 م، الصرفي: نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب القاهرة 1971 ج 2 ص 369 وباء 919 هـ / 1513 م الحسن الوزان: نفس المصدر، ص 117 ، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة تونس 1966 ، ص 85 ، 141 ، 147 ، 150 ، 158 وباء 928 هـ / 1541 م عبد القادر الفاسي: لحة في تاريخ دولة الشرفاء بالمغرب، مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 1954 تاريخ ورقة 4).

(4) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 2 ص 1043 ، الحبيب بن خوجة: نفس المرجع، ص 26 .

(5) - الحكيم: نفس المصدر، ص 107 (يبلغ وزن الدينار العملة الشرعية 4.25 غرام، الوزن الشرعي للدرهم 2.97 غرام انظر، عاشور بوشامة: نفس المرجع، هامش ص 361 ، 362 .

فاستمرت العملة قوية في عهده ومن جاء بعده إلى مدة خمسين سنة. وبعد ذلك دخل الفساد في أحوالها⁽¹⁾.

وفي عهد السلطان أبي عنان (749 - 759 هـ/ 1348 - 1357م) حلت بالبلاد مجاعة وكساد بسبب الأوبئة والتطاحن القبلي والصراع على السلطة. وفي وسط هذا الوضع الخائض لعب اليهود المرابون دوراً كبيراً في الإقراض بالربا، ولكن سرعان ما انتهت الأزمة على يد السلطان أبي عنان الذي وزع الأرض على الفلاحين مجاناً وأعطى لهم البقر لحرثها⁽²⁾. وبعد وفاته ضعفت السلطة المركزية وسيطر عليها الوزراء، مما أضعف من اقتصاد الدولة فصارت النقود الذهبية قليلة⁽³⁾، لاشتغال اليهود بتجارة الذهب والفضة، ونقص دخل دار السكة وعائداتها منها⁽⁴⁾.

وبعد وفاة السلطان أبي عنان المريني تولى الحكم في المغرب أربعة عشر سلطاناً في مدة يسيرة، ولم يكن من بينهم سلطان يستطيع أن يأخذ بزمام الأمور، حتى كان عهد عبد الحق بن أبي سعيد المريني (831 - 869 هـ/ 1427 - 1464م) فكثرت تعسف الوزيرين اليهوديين وهما شاويل وهارون، وأخذوا في مصادر أموال تجار المسلمين⁽⁵⁾، إلى جانب ما حل بالبلاد من حروب قبلية للسيطرة على السلطة. كل ذلك أثر على الوضع الاقتصادي والنقدي، وجعل أصحاب رؤوس الأموال يكتنزونها خوفاً عليها من هذا الجو الذي لا يسمح بالإتجار، فازداد تعامل اليهود بالربا واكتناز الأموال، واشتغلوا وسطاء للتبادل التجاري البسيط والتجارة الهامشية، ولم يكونوا وسيلة لتوسيع الإنتاج والانتقال إلى مرحلة إنتاجية أعلى، فلم ينظروا إلى العملة كوسيلة لتوسيع دائرة الإنتاج وتجديده، بل كأداة لحمايتهم من تقلبات الزمن. ونتيجة لاكتنازهم للأموال

(1) - الحكيم: نفس المصدر، ص 107 .

(2) - عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ج2 ص 26 .

(3) - محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي عدد 4 ، 5 ص 243 .

(4) - الحكيم: نفس المصدر، ص 95 .

(5) - الحكيم: نفس المصدر، ص 95 ، 96 .

ظهرت الأزمة النقدية التي تزايدت حدتها في العصر الذي نحن بصددده. ومن ثمَّ لعب اليهود دوراً خطيراً في انهيار الاقتصاد المغربي نتيجة لدورهم في تزييف العملة، فتعرض الدينار والدرهم المريني للتزييف، وظهرت الدنانير والدراهم غير المضروبة في دار السكة وتخلصوا منها بالرشى حتى لا يتم عقابهم⁽¹⁾.

ولمنع هذه الأعمال ألغى السلطان أبو عنان التعامل بأي نقد إلا ما كان عليه سكوته. ولكن اليهود كان يتحينون الفرصة لمزاولة نشاطهم المريب في هذا المجال، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى رفضوا مأمروا به، ورجع الفساد في الدنانير والدراهم، وظهرت الدنانير والدراهم المضروبة خارج دار السكة، ولم يكن ذلك إلا بأيديهم⁽²⁾.

ويلاحظ أن التعامل النقدي تركز في المدن، أما القرى فكان السائد بها التعامل التبادلي والبيع جزافاً⁽³⁾. ولكثرة وجود عملة مغشوشة في الأسواق المغربية، أصبحت ثقة المتعاملين تتجه إلى النقود الأجنبية، فراجت هذه النقود في الأسواق مما أدى إلى تدهور العملة المحلية. وحاول الحكام منع هذا التدهور، وأمروا بتسليم العملات التي يأتي بها التاجر إلى دار السكة بغية تحويلها إلى عملات مغربية سليمة⁽⁴⁾، ولكن ذلك لم ينفذ.

ويعود سبب تدهور العملة المغربية أيضاً إلى الظروف السياسية الدولية التي ساهمت في شدة الأزمة الاقتصادية، حيث قلَّ تدفق الذهب القادم من السودان الغربي إلى الشمال بسبب الحروب القبلية، ووصول البرتغال إلى منابع استخراجها، فتغير طريقه إلى المحيط الأطلسي ثم إلى لشبونة⁽⁵⁾. وهكذا قلَّت كمية الذهب التي كان يسك منها عملة الدولة التي كانت رمزاً لاستقلالها

(1) - الحكيم: نفس المصدر، ص 96 .

(2) - المصدر السابق، ص 138 ، 139 .

(3) - الونشريسي: نفس المصدر، ج 6 ص 393 .

(4) - محمد المنوني: نظم الدولة المرينية، البحث العلمي عدد 4 ، 5 ص 247 .

(5) - فرنان برودل: من ذهب السودان إلى فضة أمريكا، بحث ضمن أبحاث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص 84 .

الاقتصادي وتأكيداً لاستقلالها السياسي. ومع هذا الوضع حوّل اليهودي نشاطه إلى الربا مستغلاً ماله من مخزون العملة والذهب. ولذلك كان الربا مسؤولاً عن عدة أمور: (أ) إنه يسبب العداوة بين الأفراد ويقضي على روح التعاون بينهم⁽¹⁾، مثل هجوم أهل فاس على حيّ اليهود عندما يتغير حاكم أو يشعرون بظلم وقع عليهم نتيجة غش وخيانة منهم⁽²⁾. (ب) إنه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لاتعمل⁽³⁾، ولذلك لم يساهم اليهودي في حركة الإنتاج ذات الدور الكبير في تطور المجتمع المغربي، بل كان أغلبهم يشتغلون في المعاملات بالدرهم والدنانير الزائفة والناقصة⁽⁴⁾.

لذلك وضعت التشريعات لتحريم الربا بين البشر بعضهم البعض، إلا أن اليهودي في بادئ الأمر حرّم الربا بينه وبين أخيه وأباحه مع الأجنبي، وهذا مفهوم عنصري، لأن الأحبار فسروا الأخ باليهودي ولم يدرجوا الأخ في الإنسانية. ونتيجة لهذا الفهم العنصري فقد أجاز لليهودي أن يقرض غير اليهودي بالفائدة والربا⁽⁵⁾. وأكد على ذلك التلمود الذي شجع على حب المال فقال «إن الأتقياء يحبون أموالهم أكثر من أجسادهم»⁽⁶⁾. ولذلك يقرض اليهودي الأجنبي ليس لسد احتياجاته بل ليستفيد منه، وفرض إرادته عليه نظراً لكون هذه الأمور محرمة على اليهودي مع أخيه اليهودي⁽⁷⁾. ولكن اليهود كثيراً ماخالفوا ماجاء بشريعتهم فأقرضوا بعضهم البعض بربا⁽⁸⁾.

والمراحل التي مرت باليهودي للاشتغال بالربا هو؛ ضياع دورهم في

-
- (1) - السيد سابق: نفس المرجع، ج3 ص178 .
 - (2) - مجهول: قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين، مخطوط ورقة 3 ، 4 .
 - (3) - السيد سابق: نفس المرجع، ج3 ص178 .
 - (4) - الحكيم: نفس المصدر، ص140 .
 - (5) - محمد سعيد عشناوي: الربا والفائدة في الإسلام، سيناء للنشر القاهرة 1988 ، ص15 .
 - (6) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص131 .
 - (7) - السيد عاشور: الربا عند اليهود، طبع على نفقة المؤلف القاهرة 1972 ، ص72 .
 - (8) - إسرائيل شاحك: نفس المرجع، ص69 ، السيد عاشور: الربا عند اليهود، ص116 .

التجارة العالمية، وهيمنة التجار الأوروبيين عليها منذ القرن الثاني عشر للميلاد⁽¹⁾، وتحول التجار اليهود إلى تجار محليين بالمغرب الأقصى. لذلك أخذوا في توظيف مدخراتهم التي جمعوها من تجارة الذهب والصياغة والصيارفة وغيرها إلى مبادلة النقد، ثم تلقي المال من الأمراء والملوك لاستثماره في التجارة⁽²⁾، ثم إلى إقراض المال بالربا⁽³⁾. ولكثرة أعمالهم الربوية المتفشية في المجتمع المغربي كثر السؤال «هل البيع والشراء والاستدانة من اليهودي حلال أم حرام؟» وقد أجاب الفقهاء⁽⁴⁾ بكراهية مقارضة من لا يفرق بين الحلال والحرام⁽⁵⁾، والمقصود بذلك اليهود. ولذلك كانت السلطة تفرض عليهم ضرائب ضخمة⁽⁶⁾، دفعها اليهود مطمئنين لأنهم كانوا يجمعونها من خلال مرابحتهم الربوية في المغرب الأقصى، خاصة الجنوب⁽⁷⁾ الذي يكثر فيه التواجد اليهودي.

(1) - كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، دار الحقيقة، بيروت 1983 ، ص176.
Gaitein. Studies in Islamic History and Institutions Leiden 1968. P. 296.

(2) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج2 ص55 ، محمد الشريف: سبلة الإسلامية دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، جمعية تطوان اسمير المغرب 1996 ، ص83 .

(3) - ديورانت: نفس المرجع، ج14 ، ص61 ، لويس لومبار: نفس المرجع، ص317 ، عبد الوهاب محمد المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، ج2 ص22 ، 41 .

(4) - الونشريسي: نفس المصدر، ج5 ص244 .

(5) - الماوردي: المضاربة، تحقيق عبد الوهاب حواش، دار الوفاء، القاهرة 1989 ، هامش ص271 .

(6) - ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج2 ص191 .

(7) - ابراهيم حركات: أوضاع المغرب قبل قيام الدولة السعدية، ص89 .

الفصل الرابع

يهود المغرب الأقصى والحياة الثقافية

- 1 - أهداف وطرق التربية والتعليم عند يهود المغرب الأقصى.
- 2 - التعليم ومدارسه.
- 3 - العلوم عند يهود المغرب الأقصى...
- آ - العلوم النقلية.
- 1 - التفسير ومدارسه.
- المدرسة اللغوية في التفسير
- المدرسة الفقهية والتشريعية
- المدرسة الفلسفية في التفسير
- التفسير الصوفي «القبالي»
- 2 الجدل الديني.
- 3 الدراسات اللغوية
- 4 الإبداع الأدبي والإبداع القبالي.
- الكتابات القبالية

ب - العلوم العقلية

1 - علم الفلك (علم الهيئة)

2 - الفلسفة

3 - المنطق

4 - الموسيقى

5 - الطب والصيدلة.

(1) أهداف وطرق التربية والتعليم عند يهود المغرب الأقصى:

كان الطفل اليهودي يربي في بلاد المغرب على إتباع الأوامر والنواهي الشرعية اليهودية، واكتساب التقاليد والعادات والتشبع بالمعتقدات والشعائر الدينية اليهودية⁽¹⁾. كما كان يربي دينياً على أسطورة شعب الله المختار، وأن الله قد ميزهم عن سائر الشعوب، ورُئي أيضاً على أنه صاحب رسالة فذة، على أساس أن اليهود كانوا محل اضطهاد دائم من كل الدول والشعوب عبر القرون، ولا يفسر للطفل سبب هذا الاضطهاد إن وجد. ويربي الطفل على أن هناك نبوة دينية تاريخية بيعثهم وعودتهم إلى أرض الميعاد، ويؤكدون على ذلك في كل الاحتفالات⁽²⁾.

ويربي الطفل اليهودي على أن اليهودي له طقوس وعادات. ولا يعترف بيهودية إلا من كانت أمه يهودية ضماناً لنقاء الدم. ولأنه من شعب مختار كتب عليه أن يكون قليل العدد، محسوداً في أحسن الأحوال ومضطهداً في أسوأها من الآخرين⁽³⁾.

كما يربي هذا الطفل على أن قتل غير اليهودي لا يعد جريمة عندهم بل فعل يرضي الله⁽⁴⁾، ويربي أيضاً على تعاليم التلمود التي تقول «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك،

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 59 .

(2) - المرجع السابق، ص 241 .

(3) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 205 .

(4) - صالح محمد صالح: نفس المرجع، ص 37 .

أو يخرجهم من حفرة يقع فيها» لأنه بذلك يكون حفظ حياة إنسان على غير الملة اليهودية⁽¹⁾. ويرى كذلك على أن القسم الذي يقسمه اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب لا يعد يميناً⁽²⁾.

وإلى جانب ذلك يلجأ المعلم إلى التهيب كوسيلة أولية، وبذلك يكون التلميذ مجبوراً على الانتباه. وبذلك يبذل أكبر جهد في دراسته خوفاً من العقاب، إلى جانب وسائل أخرى مثل زجره أو إذلاله.

ويتبنى بعض المعلمين اتجاه تربية الأطفال اليهود نظاماً أقل خشونة، كتوزيع بعض الحلوى أو مكافآت أخرى. ولكن العقاب والتأديب الجسدي هو القاعدة في طريقة تعليم هؤلاء الأطفال⁽³⁾.

(2) التعليم ومدارسه عند يهود المغرب الأقصى:

نجد في تجمعات اليهود بالمغرب الأقصى أماكن مخصصة للتعليم، ظهرت أولاً بالقيروان وفاس، ثم نشأت أماكن أخرى إثر هجرة اليهود الإسبان إلى المغرب⁽⁴⁾. ويطلق على هذه الأماكن «حيدر»⁽⁵⁾، أو الصلاة أو السيد (المدرسة)⁽⁶⁾، وهي شبيهة بالكتاتيب، وكان بكل معبد أو كنيسة مدرسة⁽⁷⁾، وفي الأماكن التي تخلو من معبد أو كنيسة كانت المدرسة تلحق بأحد المنازل اليهودية⁽⁸⁾.

(1) - المرجع السابق، ص 37 .

(2) - حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 169 ، صالح محمود صالح: نفس المرجع، ص 45 .

(3) - حاييم زعفراني، نفس المرجع، ص 65 ، 66 .

(4) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 35 .

(5) - الحيدر: كلمة عبرية تعني «حجرة» وهي مدرسة لتعليم الأطفال أسس الدين اليهودي وتعاليمه. انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 171 . عبد الرزاق أحمد قنديل: الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث القاهرة 1984 ، ص 162 .

(6) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 61 .

(7) - ديورانت: نفس المرجع ج 14 ص 73 .

(8) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 61 .

وهي عبارة عن غرفة ضيقة تقفل في الشتاء لبرودة الجو، وتفتح في الصيف لشدة الحرارة في بلاد المغرب، وأرضها مغطاة بحصائر من القش، أو الحلفاء، ويجلس المعلم القرفصاء مستنداً إلى جدار قرب الباب على فراش صغير يراقب تلاميذه، ويتجول من حين إلى آخر وسط المجموعات الطلابية بجلبابه الأسود، يلوح بعصاه أو بسوط في يده. وفي زاوية الغرفة تنتصب جرة ممتلئة بالماء للشرب مغطاة بلوحة وفوقها قدح، وفي المساء عندما يخيم الليل تشعل قناديل الزيت أو الشموع⁽¹⁾.

ويؤخذ الأطفال اليهود ما بين سن الثالثة والسادسة⁽²⁾ إلى المدرسة، ليحفظوا قسماً من التوراة والفصول المتعلقة بها من كتب النبيين التي تسمى «هفتار» بالعبرية. إلى جانب استظهار هذه النصوص والتغني بها والترتيل بها جماعياً، يعلم الصبية الصلوات والعبادات حتى تثبت في أذهانهم الروح الدينية. ويشرح لهم المعلم ما حفظوه من الكتاب بلغتهم اليومية من غير أن يكونوا قد درسوا النحو أو التاريخ⁽³⁾. والمطلوب من التلميذ في هذه المرحلة معرفة القراءة لكي يتمكن في النهاية من أن يشارك في أقرب وقت ممكن في قداس البيعة⁽⁴⁾.

وتكون القراءة مجودة رغم عدم وجود نقاط الحركات ولاعلامات الوقف. لكن الطفل يمرن عليها بالتكرار⁽⁵⁾. ويقوم الطفل بتحريك جسمه أثناء التعلم، وتجلب القراءة المرتلة السرور ومتعة التعلم للمتعلم، وتنبيه قواه الروحية وتسهل استيعابه وتساعد على الحفظ⁽⁶⁾، لأن الطفل لا يتعلم الكتابة إلا في مرحلة متأخرة⁽⁷⁾، والتعليم في معظمه شفوي⁽⁸⁾.

(1) - المرجع السابق ص 62 .

(2) - المرجع السابق ص 63 .

(3) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع ص 80 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 67 .

(5) - نفس المرجع، ص 64 .

(6) - نفس المرجع، ص 69 .

(7) - نفس المرجع، ص 64 .

(8) - نفس المرجع، ص 66 .

وتقترن نهاية التعليم الابتدائي وبلوغ سن الطالب سن الثالثة عشر باحتفال في البيعة⁽¹⁾. بعدها يصبح الطالب راشداً شرعاً ويصبح من حقه المشاركة في قداس البيعة مثله مثل باقي الأحرار⁽²⁾.

ويتلقى الحزان أجرة تسمى الشرط، مقابل حراسة الأطفال أو مكافأة للوقت الذي يقضيه مع الطالب⁽³⁾.

ويأخذ المعلم علاوة تسمى «خبز المعلم» في كل يوم جمعة، أو أجراً تؤديه الجماعات اليهودية عامة أو يؤديه الآباء⁽⁴⁾.

وبعد اجتياز مرحلة الحيدر يلحقونه بمرحلة بيت همدراش، وهي المدرسة الدينية أو مدرسة التلمود. وهي مخصصة لإعداد التلاميذ الذين يختار من بينهم الحاخامات في المستقبل. ويتعلم هؤلاء التلاميذ في هذه المدرسة التلمود والمدراشيم⁽⁵⁾ وفصولاً من الهالخا. وكانت هذه المدارس تقام باستمرار إلى جوار المعابد اليهودية⁽⁶⁾.

وقد أسس يعقوب الفاسي في مدينة فاس معهداً «مدرسة لتعليم أطفال اليهود في هذه المدينة قبل هجرته إلى الأندلس عام 490هـ / 1096م»⁽⁷⁾. وظل هذا المعهد موجوداً في عهد المرينيين. ولكننا لم نجد ذكراً لهذا المعهد في المصادر القديمة. وربما يعود ذلك إلى تخوف الموحدين من الوجود اليهودي في

(1) - الحبيب بن خوجه: نفس المرجع، ص 80 .

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 67 .

(3) - الحسن الوزان: نفس المصدر، هامش ص 154 ، مارمول كربخال: نفس المصدر ج 2 ص 67. المرجع السابق، ص 63 .

(4) - ديورانت: نفس المرجع، ج 14 ص 73 .

(5) - المدراشيم: من الكلمة العبرية «درش» أي فحص والكلمة تستخدم للإشارة إلى منهج في تفسير العهد القديم والتعمق فيه للوصول إلى معانيه الخفية، انظر. عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة ص 360 .

(6) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 162 .

(7) - الهادي روجيه ادريس: نفس المرجع، ج 2 ، ص 426 .

بلادهم، وكان هذا التخوف في الغالب سبباً في هذا الوضع مما أدى إلى اختفاء اليهود من مجال التعليم⁽¹⁾.

وبعد هذه المرحلة من الدراسة في المعهد المذكور، كان الطلاب اليهود يلتحقون بالهيشيفا أو التعليم العالي، ويدور التعليم فيه حول توضيح الشريعة من خلال أدبيات الرابين المشرعين، وتعويد الطالب على ممارسة الجدل وإظهار قدرته على التأويل، وتقديم الجديد في هذا العلم، ويمنح في نهاية هذه المرحلة لقب ربي أو حبر⁽²⁾.

وقد ظهر هذا النوع من التعليم مع هجرة الأندلسيين إلى المغرب، وكان من قبل يقتصر على الحيدر، ونموذج من مدارس الهيشيفا مدرسة اشير بن يحيل «ق 8 هـ / ق 14م». ويعتبر منهج هذه المدرسة إرثاً للمدرسة الأندلسية التي نقل آثارها الربيون القشتاليون الذين جاءوا إلى المغرب⁽³⁾.

ومن أراد المزيد من العلم رحل إلى أكاديمية صفد بفلسطين. ومؤسس هذه الأكاديمية إسحاق لوريا الإشكنازي⁽⁴⁾ (1543 - 1572م). ويعد الطلبة الوافدين من المغرب من بين مريديه المشهورين⁽⁵⁾.

وقد وجد من العلماء اليهود تجار متجولون بتجارتهم وعلمهم، لأن العلم لم يكن محل رزق، بل كانت التجارة ومنها يصرف على علمه، ولذلك لم يكن طلبة الدراسات العليا منقطعين للتعلم، بل كانوا يحصلون على العلم إلى جانب تحصيل الرزق وتعلم الطلاب أو المريدين للعلم⁽⁶⁾.

BARPEUR. op sit. P. 77

(1) -

(2) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 68 .

(3) - المرجع السابق، ص 175 .

(4) - الإشكناز: هم أساساً يهود شرق أوروبا خاصة القاطنين على حدود أرمينيا في أعالي الفرات وفي العصور الوسطى أصبحت تطلق على الجنس الجرمانى ثم أصبحت تشير إلى ألمانيا، ومن استقر منهم في شمال فرنسا وشرقها، انظر عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 76 .

(5) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 201 .

(6) - المرجع السابق، ص 72 .

وكان لهذا النظام التعليمي عند اليهود أكبر الأثر في خلق متعصبين لليهوديتهم، رغم تأثرها بالثقافة الإسلامية التي كانت مزدهرة في عصر المرابطين والموحدين وزادت ازدهاراً في عصر سلاطين بني مرين، حيث ازدادت آفاق المعرفة الثقافية اتساعاً أمام الراغبين في الدرس والتحصيل، عندما تطعمت الثقافة المغربية بأخرى أندلسية، مما أدى إلى ازدهار العلوم العقلية والنقلية الذميمة.

ولقد واجه الباحث صعوبات كثيرة لعدم توافر النصوص الكافية في هذا الموضوع. فالمصادر العربية التي تؤرخ للدولتين موضوع البحث غالباً ماتخلو من الحديث عن الثقافة اليهودية. وكل ما يمكن ذكره هو بعض الإشارات الخاطفة التي تضمنتها بعض الكتب والرسائل التي تتجلى أهميتها في مجالات أخرى، فقد تكلمت تلك الكتب باختصار شديد عن بعض الأدوار الثقافية لهم.

(3) العلوم عند يهود المغرب الأقصى:

انقسمت العلوم عند يهود المغرب الأقصى كما هو الحال في بلاد المغرب الأخرى وجميع أرجاء العالم الإسلامي في العصور الوسطى إلى قسمين: أولاً العلوم النقلية أو العلوم الشرعية، ثانياً العلوم العقلية أو الحكمية.

(أ) العلوم النقلية:

هي العلوم التي يرجع الأصل فيها إلى التوراة والتلمود وما يستتبعها من علوم لأزمة لتوضيحها وفهمها والإفادة منها، فشملت علم التفسير وعلم اللغة والتشريع وعلم التصوف وخلافه.

1 - التفسير ومدارسه:

تفرعت مناهج التفسير لدى اليهود في المغرب وأخذوا يتوسعون فيها، وحمل كثير منهم عبء القيام بهذه العلوم، ونشأت عندهم مدارس مختلفة للتفسير، كان من أهمها: المدرسة اللغوية، والمدرسة الفقهية والتشريعية، والمدرسة الفلسفية.

ونشطت الدراسات التلمودية في المغرب في عصر المرابطين والموحدين وبدأ انحدار هذه الدراسات مع نهاية القرن الثالث عشر⁽¹⁾، وما أتى بعد ذلك ماهو إلا اعتماد على ماسبق من دراسات، وكان يقتصر على نسخها ومزيد من تلخيصها. فتركزت كل جهود الكتاب والدارسين في أعمال دينية كانت تدور حول شرح وتفسير ماكتبه أسلافهم⁽²⁾.

أما المدارس الخاصة بالتفسير فيمكن أن نتحدث عنها في شيء من التفصيل، وأول هذه المدارس هي المدرسة اللغوية.

المدرسة اللغوية في التفسير:

كان جهد هذه المدرسة ينصب على معرفة طبيعة النصوص الدينية وماحتويه من مشاكل لغوية، لا يستقيم فهمها أو شرحها دون أن نفهم اللغة التي كتبت بها⁽³⁾. وبذلك يتضح معنى النص بتوضيح ألفاظه أو بالزيادة عليه ونقله إلى لغة الشارح. لأن نقل أي نص إلى لغة غير لغته يعتبر تفسيراً.

ولذلك نشطت حركة التفسير التلمودي في بلاد المغرب، وكان ذلك⁽⁴⁾ مع بداية القرن الحادي عشر⁽⁵⁾، لعدة أسباب: أولاً عندما نبه سعديا الفيومي إلى مااحتويه العهد القديم من أسرار لغوية لم يتنبه إليها اليهود بعد⁽⁶⁾، وقام بترجمته إلى اللغة العربية باعتبارها لغة اليهود في كل العالم الاسلامي⁽⁷⁾. ووصلت هذه الترجمة إلى المغرب الأقصى. ثانياً: استقرار اليهود في معيشتهم بين العرب

(1) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص 186 .

(2) - قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص 76 .

(3) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 212 .

(4) - نظراً لخضوع كل بلاد المغرب العربي والأندلس لحاكم واحد.

(5) - محمد بحر: نفس المرجع، ص 34 .

(6) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 212 .

(7) - ديلاس أو ليرى: نفس المرجع، ص 245 .

والاهتمام الكبير باللغة العربية، نحوها وصرفها وآدابها⁽¹⁾، ولذلك نشطت الدراسات اللغوية العربية نشاطاً كبيراً، وأصبحت علوم هذه اللغة نحوها وصرفها وفقها ذات تأثير كبير بالنسبة لتوضيح وتفسير التوراة، وفهم معاني التوراة وفك غموض هذه المعاني وكذلك الألفاظ الواردة فيها⁽²⁾.

وبرز من بلاد المغرب يهود بن قريش الذي عاش في القرن التاسع الميلادي⁽³⁾، في مدينة تاهرت، ويعتبر أول اليهود المحققين في بحث المقارنة بين اللغة العبرية والعربية في كتابه الذي يطلق عليه (رسالة)، ووجه ابن قريش كتابه هذا إلى علماء اليهود في مدينة فاس. والكتاب مقسم إلى ثلاثة موضوعات، أولها: مقارنة اللغة الآرامية⁽⁴⁾، باللغة العبرية، والثاني: مقارنة لغة التوراة العبرية باللغات الأجنبية، الثالث: مقارنة اللغة العبرية باللغة العربية. وبذلك تتضح قواعد اللغة العبرية من خلال مقارنتها باللغة العربية⁽⁵⁾.

وظهر كذلك داود بن ابراهيم الفاسي الذي ولد في مدينة فاس، وقيل إنه عاش قبل سعديا الفيومي أي في القرن الثاني عشر الميلادي⁽⁶⁾، وكان له معجم يسمى «جامع الألفاظ» ووضعه لتفسير وشرح مفردات التوراة⁽⁷⁾.

(1) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 213 .

(2) - المرجع السابق، ص 215 .

(3) - طويبا سمحاة: نفس المرجع، ص 48 .

(4) - اللغة الآرامية: هي إحدى اللغات السامية. ودعيت سامية نسبة إلى سام بن نوح، وأخوتها العربية والعبرية والحبشية. ويظن أن العربية أقربهن إلى الأصل السامي الذي تفرعت منه. إلا أن السريانية أقدم منها عهداً. وفي الواقع إن الآرامية التي كانت معروفة ليست إلا أرامية الكتاب المقدس التي كانت تدعى عادة الكلدانية. وفي أواخر القرن السابع عشر الميلادي أخذ الناس يحسون بأهمية السريانية فأقبلوا على دراستها متوخين تمحيص نصوص الأسفار المقدسة. انظر. الأب شابو: اللغات الآرامية وآدابها، تعريب أنطون شكري لورنس، مطبعة ديرمار مرقس للسريان بالقدس 1930 ، ص 1 - 5 .

(5) - سليم شعشوع: العصر الذهبي صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، تل أبيب 1979 ص 115 ، 116 .

(6) - اسراييل ولفنسون: نفس المرجع، ص 3 .

(7) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 221 .

المدرسة الفقهية والتشريعة:

اشتغل بعض اليهود في المغرب الأقصى بعلوم الفقه والشرعة اليهودية، ومن أبرز هؤلاء اليهود إسحاق بن يعقوب الفاسي الذي قضى فترة طويلة من حياته في موطنه الأصلي مدينة فاس بالمغرب الأقصى، وتلمذ على يد حاخامات شمال إفريقيا مثل حنائيل وزميله نسيم بن يعقوب. وأخذ مكان أحدهما في رئاسة الطائفة هناك، إلا أنه اضطر إلى الهجرة من موطنه الأصلي إثر وشاية قام بها بعض الحاقدين عليه، فذهب إلى الأندلس واستقر في قرطبة، ثم انتقل إلى غرناطة ومنها إلى اليسانة التي كانت منفى لليهود ولهم أكبر تجمع فيها⁽¹⁾.

ويعتبر هذا الرجل من الفقهاء المجتهدين في الشريعة اليهودية. ومن مؤلفاته كتابه الذي يحمل عنوان «الفقه» والذي استخرج فيه معظم الأحكام الفقهية التلمودية فكان بمثابة «تلمود مختصر»⁽²⁾.

وقد كان لهذه المؤلفات أكبر الأثر على الأجيال التي عاصرتة والتي جاءت من بعده مثل ابن ميمون وخلافه.

المدرسة الفلسفية في التفسير:

وصل التفسير اليهودي مرحلة لم يعد يعتمد فيها على الشروح أو استنباط الأحكام الشرعية، بل جنح إلى الغوص إلى جوهر العقيدة اليهودية نفسها، وإثبات أن الجوهر لا يتعارض أبداً مع العقل، وأن الدين والفلسفة لا يختلفان. وذلك كله من خلال النصوص الدينية الموجودة في التوراة أو التلمود⁽³⁾، ويتضح من ذلك أثر ابن رشد في هذه المدرسة⁽⁴⁾.

(1) - ابن رشد: فصل المقال، ص 6، عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 226، 227

(2) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص 187.

(3) - ابن رشد: فصل المقال، ص 23، عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 241، 242.

(4) - محمد غلاب: الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية، القاهرة بدون تاريخ، ص 132.

وأبرز علماء هذه المدرسة موسى بن ميمون الذي تتلمذ على يهودا الكاهن الذي كان موسى ينصت إلى محاضراته أثناء إقامته بمدينة فاس، ومن ناحية أخرى لم تنقطع علاقته بالفلاسفة من المسلمين⁽¹⁾. وألف موسى بن ميمون رسالة باللغة العربية، حث فيها جماهير اليهود على الاتحاد فيما بينهم، والثبات على النوازل والكوارث التي يريد الله أن يمتحن هؤلاء اليهود. ورسالة أخرى بالعربية بعنوان «في سبيل تقديس اسم الله»، وكانت هذه الرسالة بمثابة رد على أحد كبار أحبار اليهود. وقد ألف موسى بن ميمون هاتين الرسالتين في فاس قبل رحيله إلى المشرق الإسلامي في عام 556هـ/ 1160م⁽²⁾.

وهذه المؤلفات التي تناولت تفسير التوراة كتب لها الدوام والانتشار حتى الآن⁽³⁾، بسبب التجارة والأسواق التجارية والرحلات التي قام بها اليهود، والتي لعبت دوراً مهماً وواضحاً في إيصال فكر هؤلاء اليهود إلى أقصى الشرق والغرب.

وقد وصل هذا الأثر إلى مدينة «ترويز» بشمال فرنسا، التي ولد بها الحاخام شلومو يصحن، والذي عرف واشتهر باسمه المختصر «رشى» والذي توفي في عام 1105م⁽⁴⁾. وقد تتلمذ هذا الحاخام على يد أساتذة مدرسة الأندلس، والألمانية، والمدرسة الفرنسية السائد فيها منهج المدراسي، الذي يعتمد على الوعظ والإرشاد وإيصال المعنى الديني⁽⁵⁾. وبذلك استفاد من كل المدارس التفسيرية وكان لمذهب راشي في التفسير أثر على التشريع اليهودي المغربي⁽⁶⁾.

مما سبق يتضح أن أحبار المغرب كانوا أساتذة المدرسة اليهودية الأندلسية، فمن المغرب انطلق أوائل اللغويين والمؤلفات الفقهية والتشريعية والفلسفية،

(1) - إسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص 7، عبد المنعم الحفني: نفس المرجع، ص 36 - 40.

(2) - إسرائيل ولفنسون: نفس المرجع، ص 7، 8.

(3) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 262.

(4) - المرجع السابق، ص 267.

(5) - المرجع السابق، ص 324، 325.

(6) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 176.

فكانوا أصحاب التراث الذي انطلق منه علماء ومفكرون ومتوسطو القيمة. من أمثال صموئيل بن موسى المغربي الذي عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وكانت أعماله تدور حول شرح وتفسير ما كتبه السابقون⁽¹⁾.

وكذلك الحبر يهودا بن نسيم المغربي صاحب كتاب «أنس الغريب» ت عام 1365م. وشرح ابن طبول اليهودي المغربي القرآن معتمداً على مفاهيمه التوراتية⁽²⁾.

وكذلك إسرائيل الديان الثاني بن شمويل المغربي، وتلميذه يافت بن دافيد بن شمويل بن صغير الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي⁽³⁾.

ومن العلماء التلموديين الجنوبي، الذي اشتهر ضريحه بفاس، وكان مزاره معروفاً لليهود، وهو من أب مسيحي وأم يهودية⁽⁴⁾.

التفسير الصوفي «القبالي»:

كانت الوثنية في المغرب الأقصى لاتزال تؤثر في المجتمع المغربي، واختلطت عادات بعض المسلمين إلى حد ما بالمعتقدات الشعبية الموروثة، كما أن الأعمال السحرية القديمة خلّفت إرثاً بالغ التعقيد، مما كون طبقة عريضة من السحرة كان لها أثرها في تركيبة العقل المغربي⁽⁵⁾. وكان معظم اليهود لا يعرفون أساسيات القراءة والكتابة⁽⁶⁾، مما جعلهم يلجؤون إلى السحرة والأولياء⁽⁷⁾، مثل باقي المغاربة. وفي هذا الجو كان التصوف القبالي مضمون له النجاح⁽⁸⁾، خاصة

(1) - قاسم عبده قاسم: اليهود في مصر، ص 76 .

(2) - حسن السائح: نفس المرجع، ص 271 .

(3) - طويبا سمحاة: نفس المرجع، ص 51 .

(4) - حسن السائح: نفس المرجع، ص 271 .

(5) - ابراهيم القادري: الإسلام السري، ص 23 ، 24 .

(6) - صموئيل اتينجر: نفس المرجع، ص 312 .

(7) - البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 100 .

(8) - الفرديل: نفس المرجع، ص 379 .

بين المتعلمين والجهلاء تماماً⁽¹⁾، لدرجة أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني الذي حكم في الفترة 685هـ/ 1286م إلى سنة 706هـ/ 1307م اتخذ الاجراءات اللازمة لتجنب إمكان قيام ثورة شعبية بتحرير هؤلاء المتصوفة ضد حكمه⁽²⁾.

وبذلك ساد التفسير الباطني والقبالي «التقليد المتوارث»، وأخذ في الانتشار بين اليهود، لكي يصبح عند مجيء القرن الرابع عشر الميلادي مثار اهتمام الكثيرين منهم⁽³⁾. وانتشرت في المغرب مراكز لتعليم ونشر العلوم القبلية الباطنية، وتركزت في جنوب البلاد في سوس ودرعة والتخوم الصحراوية، حيث كانت تسود حركة صوفية هائلة، وكان بها نشاط قبالي كبير. إلى جانب المدن الكبرى مثل فاس ومكناس وسلا ومراكش⁽⁴⁾.

والذي كان له الدور الكبير في انتشار القبالة كتاب «الزواهر»، الذي أصبح كتاباً مقدساً مثله مثل التوراة والتلمود. وأخذت منه نصوص أدمجت في الصلوات. وفي مدينة تودغا بالأطلسي الكبير تقول إحدى الأساطير: بأن كتاب الزواهر كتاب موحى به، إلا أنه ظل خافياً عن الأنظار، ولم يظهر إلا حديثاً وأذاع هذه الأسطورة العالم القبالي إبراهيم أزولاي المغربي⁽⁵⁾.

والقبالة في بعض جوانبها ومظاهرها وطلاسمها تقارب السحر. وكان لها نفوذ واسع، خاصة القبالة التطبيقية، والتركيبات المختلفة للحروف الهجائية العبرية، وأسماء الملائكة، وعلم الفلك، وعلوم أخرى سحرية تنجيمية، كان الأحبار يستخدمونها دوماً⁽⁶⁾. وكان أعلام هذه القبالة كثيرون منهم:

(1) إبراهيم سباع: أندلسي الأصل كتب في فاس فيما بين عامي 1498 و 1551م مؤلفه «صرور هامور» (حصن الرخام)، وله أيضاً شرح للتوراة أصبح من أمهات التفسير القبالي⁽⁷⁾.

(1) - المرجع السابق، ص 386 .

(2) - المرجع السابق، ص 390 ، 391 .

(3) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص 182 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 197 ، 198 .

(5) - المرجع السابق، ص 198 .

(6) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص 183 ، 184 ، حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 198 .

(7) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 199 .

(2) إسحاق لوريا الاشكنازي (1543 - 1572): رغم أن هذا العالم اليهودي لم يولد في المغرب الأقصى، إلا أنه كان مؤسس مدرسة صفد القبالية بفلسطين. وكان الطلبة اليهود من المغرب الأقصى من بين مريديه المشهورين الذين افتتنوا بغيرهم بتعاليم القبالة الجديدة التي كان يعلمها لهم، كيوسف بن طابول ومسعود ازولاي الأعمى وأبو حنا معارابي⁽¹⁾.

(3) يوسف كارو (1488 - 1575م): ولد في إحدى مدن الأندلس وطرده هو وعائلته مع من طرد من اليهود والعرب في عام 1492م إلى المغرب، ثم هاجر إلى استنبول عام 1498م، ثم استقر به المقام في فلسطين عام 1525م حيث أسس مدرسة تلمودية في صفد⁽²⁾، وألف كتاب شولحان عروخ أي المائدة المستديرة. وهو كتاب ضخيم في الفقه اليهودي مقسم إلى عدة كتب منها: كتاب «يوره دعت» وكتاب «حشن همشباط» والكتابان باللغة العبرية. ويعتبر كتاب شولحان عروخ من أهم الكتب في الفقه اليهودي بعد كتاب «مشناه تورا» للعلامة موسى بن ميمون. وظهر كتاب شولحان صادف اختراع الطباعة فطبع منه الكثير، وأصبح في متناول الكثير من اليهود⁽³⁾. وكان كارو من المهتمين بالقبالة⁽⁴⁾. لذلك ترك أثراً كبيراً فيمن افتنوا بالتعاليم القبالية من يهود المغرب الأقصى.

وبذلك يتضح دور العلماء اليهود في التفسير القبالي وأثره على المجتمع المغربي. ويرجع ذلك إلى طبيعة المغرب التي تأثرت بالوضع الاقتصادي والسياسي اللذين كان لهما أكبر الأثر في هروب كثير من الناس إلى التصوف، كملجأ من الانتكاسات التي كانت تتوالى على الدولة المرينية والوطاسية مما أدى إلى انتشار التصوف.

(1) - المرجع السابق، ص 200 ، أسعد رزوق: نفس المرجع، ص 185 .

(2) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 306 .

(3) - السيد محمد عاشور: الربا عند اليهودي، ص 137 .

(4) - عبد الوهاب محمد المسيري: الموسوعة، ص 306 .

2 - الجدل الديني:

كان من أهداف اليهود في بلاد المغرب الأقصى وغيره تشويه الحقائق الإسلامية وإفساد عقيدة المسلمين. ولذا فرض الإسلام على المسلمين حقوقاً لله تعالى. منها رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان. كما دعانا كتاب الله إلى مناظرة غير المسلمين وإقامة الحجة عليهم، وإبطال الادعاءات التي يقولون بها طعناً في دين الإسلام.

وكان هذا أول سبب من الأسباب التي دفعت محمد بن عبد الكريم المغيلي. وعبد الحق الإسلامي السبتي، إلى مجادلة اليهود ومن يتعامل معهم باعتبارهما من العلماء الذين توافرت لديهم كل المعلومات الأساسية التي تتطلبها المناظرات مع الخصوم من رجال الدين. وبجانب هذا كانت هناك أسباب أخرى دفعتهما إلى الدفاع عن عقيدتهما نذكر منها:

(1) سوء الأوضاع السياسية في أواخر عصر بني مرين وبني وطاس، وفساد الحياة الاجتماعية، والاستهتار بالناحية الدينية لدى بعض الحكام والقائمين بالأمر في البلاد، مما شجع بعض المتعصبين من اليهود على الطعن في الإسلام، مستغلين الضمور الفكري والفقهية، وشيوع التقليد في هذا العصر مثل النقل من المختصرات⁽¹⁾، وتقاعس بعض رجال الدين عن دورهم في الدفاع عن الدين متساهلين في ذلك بانصياعهم لأوامر حكامهم الذين تحالفوا مع أعداء الدين⁽²⁾.

(2) وجود المغيلي في عصر بلغ فيه تطاول اليهود على المسلمين حداً لا يطقه مسلم غيور.

(3) استعانة بعض السلاطين والأمراء المسلمين باليهود لتوطيد سلطانهم

(1) - أحمد بابا التنبكتي: نفس المصدر، ص 414 .

(2) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 58 .

ونصرتهم ضد خصومهم من أبناء عموماتهم من المسلمين⁽¹⁾. هذه هي الأسباب التي دفعت المغيلي وعبد الحق الإسلامي السبتي وحملتهما على نقد العقيدة اليهودية ومناظرة أصحابها.

وأول من تصدى للرد على أحبار اليهود وكشف ألاعيبهم من خلال كتبهم، عبد الحق الإسلامي السبتي الذي أسلم، وألف رسالة في أواخر القرن الثامن الهجري تحمل اسم «السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود»، وذكر في خطبة الكتاب وخاتمته اسم السلطان المريني عبد العزيز الثاني⁽²⁾، وإن كان الصحيح أن السلطان المعاصر لهذا الموضوع، والذي كتب اسمه هو أبو سعيد عثمان الثاني بن أحمد المريني (801 - 831هـ / 1398 - 1427م)⁽³⁾، وقد كتب هذه الرسالة بتوصية من أبي زيد عبد الرحمن بن الحاجب أبي العباس القبائلي المتوفي في ثلاثين من شوال من عام 802هـ/1399م⁽⁴⁾.

وتتكون هذه الرسالة من خمسة أبواب، الأول: في تقرير المواضع التي في كتبهم وتتضمن صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مرسل لكافة الخلق، والثاني: في نسخ شريعته لجميع الشرائع، والثالث: في وقوعهم وتحاملهم في الأنبياء عليهم السلام، والرابع: فيما في توراتهم من الشرك والتجسيم والتغيير والتبديل، والخامس: فيما في كتبهم من تعظيم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما فيها من معجزاته وصفته وآياته⁽⁵⁾.

أما المغيلي (ت909هـ / 1503م) فقد تصدى لهم لسيطرتهم على

(1) - السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1954 ، ج4 ص98 .

(2) - محمد المنوني: مناقشة أصول الديانات في المغرب الوسيط والحديث، البحث العلمي عدد 13 يناير المغرب 1968 ، ص24 ، محمد المنوني: التيارات الفكرية في المغرب المريني، الثقافة المغربية عدد 5 المغرب 1391 هـ، ص93 ، 94 .

(3) - السلاوي: نفس المصدر، ج4 ص87 ، 88 .

(4) - محمد المنوني: التيارات الفكرية، ص93 .

(5) - محمد المنوني: مناقشة أصول الديانات، ص25 ، محمد المنوني: التيارات الفكرية، ص94.

الاقتصاد، واستخفافهم بالأحكام، واحتقارهم لفقراء المسلمين، ونقضهم للعهد المبني أساساً على الخضوع المطلق لسلطة المسلمين، وتصدى كذلك لكل من يتعامل معهم من حكام ومحكومين⁽¹⁾، وألف في ذلك كتاباً سُمي «مصباح الأرواح في أصول الفلاح»⁽²⁾.

ويتكون هذا الكتاب من ثلاثة فصول، الفصل الأول: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، والفصل الثاني: فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار، والفصل الثالث: فيما عليه يهود هذا الزمان - الذي عاش فيه المغيلي - في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة لهم وخدمتهم السلطان.

وكان لهذا الكتاب أكبر الأثر على الفقهاء المسلمين في أقطار المغرب الثلاثة فحاولوا الرد على الكتاب بردود⁽³⁾ اتسم بعضها بالعنف والتجريح، وذهب آخرون إلى الموافقة، في حين اتسم بعضهم بالاعتدال، ووصل الأمر حتى جاء المغيلي إلى فاس في عام 891هـ / 1486م لمناظرة مخالفيه بحضرة الشيخ ابن زكريا الوطاسي. ولما خرج الفقهاء المسلمون لملاقاته بعد ما استقر به المقام في فاس، طلب من أحد مماليكه معاهدة الفقهاء المسلمون في نازلة اليهود، فأنف الفقهاء من الكلام مع المماليك ووشوا به إلى السلطان، مما تسبب في طرده فهاجر إلى توات⁽⁴⁾، وعاهد الله تعالى أن لا يلقي سلطاناً أبداً⁽⁵⁾.

واستغل اليهود وضعهم داخل الدولة المرينية فقاموا بعدة مكائد ضد

-
- (1) - المغيلي: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، ص 13 ، 14 ، 15 .
(2) - حصلنا على كتاب المغيلي المذكور إضافة إلى كتاب أسئلة الاسكيبا عن طريق تصويره من مركز التراث بتربية دمياط، جامعة المنصورة.
(3) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 65 - 73 ، الونشريسي: نفس المصدر، ج2 ص 214 .
(4) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 17 ، 18 ، التازي: النصوص الظاهرة، مجلة البحث العلمي، ص 16 ، 17 .
(5) - ابن عسكر: دوحة الناشر من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، مخطوط مصور ميكروفيلم، بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (رقم 1626 تاريخ) ورقة 95 .

المسلمين مثل تحريف القرآن. والمثال على ذلك هو ماحدث من يهودي كان يخدم السلطان أبا عنان، فقد غير شيئاً من القرآن لبعض الصبيان، وذلك أنه مرَّ بصبي يستفتي في قوله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»، فقال اليهودي للصبي: قل ومن يبتغ الإسلام ديناً فلن يقبل منه. فأسقط الصبي لفظة غير، فأنكر عليه المعلم وقال له: من قال لك هذا؟ فقال الصبي: مر الآن بنا رجل، فقال له المعلم: أرني إياه. فلم يزل الصبي معه حتى لقيه، فذهب المعلم من حينه لأستاذ كان السلطان أبو عنان يأخذ القراءات عنه، وأخبر المعلم الأستاذ بما جرى، فأخذ السلطان في تجويد لوحه، فاتفق أن كان فيه قول الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم فإنه منهم»⁽¹⁾ فلما قرأها السلطان قال له أستاذه أعدها، فأعادها أكثر من مرة والأستاذ يطلب منه ذلك حتى وضع السلطان اللوح من يده وقام لصاحب السيف فقال له: إن خرجت ولم أجد رأس ذلك اليهودي على يمين الطريق وجسده على شماله جعلتك في مكانه. وبعد فترة وجد اليهودي كما أمر السلطان، فسأل الأستاذ السلطان، فقال له: كان ذلك بسبب تكريرك الآية فأخبره بفعلة اليهودي⁽²⁾.

والى جانب هذا النوع من الجدل الديني الذي ثار في المغرب الأقصى بين المسلمين واليهود، كان لهؤلاء دور يذكر أيضاً في علم اللغة والدراسات اللغوية.

3 - الدراسات اللغوية:

كان علماء اللغة اليهود يرون أن النص التوراتي له معنى قد يتضح أحياناً وقد يغمض أحياناً أخرى. إلا أن كل كلمة إضافية أو عبارة قد تبدو غير مهمة لها هدفها أو قيمتها في النص التوراتي. ومن هنا جاء اهتمامهم بدراسة اللغة من

(1) - قرآن كريم: سورة البقرة آية 85 .

(2) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 58 ، 59 .

خلال استخدامها في النص التوراتي ودلالاتها في التفسير⁽¹⁾.

وأثر المسلمين واضح في ذلك من خلال اهتمامهم بالحروف ومعانيها، وعنايتهم الخاصة بها. حتى أفرد لها النحويون مؤلفات منفردة مثل سيبويه المتوفي عام 180هـ/ 797م⁽²⁾، وكانت كتاباته لها دور كبير في تجديد النحو العبري في فاس⁽³⁾.

فقد استفاد من هذا التطور اللغوي علماء يهود منهم داود بن أبراهام الفاسي، الذي ولد في فاس وكان من مؤلفاته كتاب «جامع الألفاظ» أو «الأجرون»⁽⁴⁾، الذي وضعه لشرح مفردات التوراة⁽⁵⁾.

وكذلك يهودا حيوج وكان يسمى بالعربية أبو زكريا داود، وهو نحوي يهودي ولد في فاس في القرن العاشر الميلادي، ثم ذهب إلى قرطبة، وظل بها إلى أن مات. ومن أهم مؤلفاته كتابه عن الأفعال ذوات حروف اللين، والأفعال ذوات المثلين⁽⁶⁾، وكتاب التنقيط، وكتاب خاص بالأسماء وشرح قواعد تشكيلاها⁽⁷⁾.

-
- (1) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 294 ، 295 .
 - (2) - الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة ثانية، دار المعارف مصر 1984 ص 72 .
 - (3) - حسن السائح: نفس المرجع، ص 70 .
 - (4) - حسن ظاظا: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، بدون ناشر القاهرة 1971 ، ص 160 ، ومؤلف الأجرومية هو محمد بن محمد بن داود الصهناجي المشهور بابن أجروم، وأجروم باللغة البربرية تعني الفقير الصوفي، انظر، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه طبعة أولى القاهرة 1964 ج1 ص 238 .
 - (5) - طوبيا سمحاة: نفس المرجع، ص 49 ، عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 221.
 - (6) - حروف اللين هي الواو والالف والياء (واي)، والأفعال ذوات المثلين هي ذات الحرفين المتماثلين مثل استمر... استمر. مرر... مرر. انظر. أحمد أبو الخير: الصرف العربي قراءة أصواتية، ج1 القاهرة 1990 ، ص 22 ، محمد أبو الفتوح: علم الصرف، دراسة وصفية، دار المعارف القاهرة 1986 ، ص 63 .
 - (7) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، هامش ص 214 .

وكان ذلك بمثابة بداية الدراسات اللغوية التي فتحت الباب على مصراعيه لعلماء اللغة اليهود للمقارنة بين لغتهم واللغة العربية، لاستخلاص قواعد لغتهم العبرية⁽¹⁾. وتبلورت هذه العلاقة على يد العالم اليهودي «راشي»⁽²⁾ من خلال دراساته اللغوية والتفسيرية وخلافه، والذي ترك أكبر أثر في كل من أتى بعده. فكان له أثر عظيم على علماء المغرب الأقصى، لأن الثقافة العبرية كلها تنصهر في خدمة التوراة، وتتمحور الحياة الفكرية حول نموذج شرعي وروحي في آن واحد، لأن كل ما يدع يكتسي صبغة دينية⁽³⁾.

4 - الإبداع الأدبي:

خضع أدب اليهود المغاربة لمؤثرين اثنين: مؤثر إسلامي من جهة، والتوراة والتلمود والقبالة من جهة أخرى. وأول ما نلاحظه في ذلك أن اليهود تخلوا عن اللغة العبرانية والآرامية وكتبوا إبداعهم بالعربية التي كانت لغة السواد الأعظم⁽⁴⁾. ثانياً: لا بد من الرجوع إلى ما قبل الفترة الزمنية موضوع البحث لمعرفة مدى تأثر أدباء اليهود بمن سبقوهم والذين كان لهم أكبر الأثر عليهم. وكان على رأس هؤلاء الأدباء الشاعر اليهودي دوناش هيلفي بن لبراط، الذي ولد في مدينة فاس في عام 478 هـ / 1085م، وذهب إلى الأندلس ونهل من ثقافتها، وكان لهيلفي دور كبير في إدخال أوزان الشعر العربي إلى الشعر

(1) - سليم شعشوع: نفس المرجع، ص 114 .

(2) - العالم اليهودي راشي هو (الحاخان شالومو يصحن) الذي اشتهر باسم «راشي» ولد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بمدينة ترويز بشمال فرنسا، وتلقي تعليمه الأولي في هذه المدينة وأظهر منذ حداثة ميلاً للدراسات الدينية إلى أن أصبح صاحب مدرسة في التفسير إلى جانب دراسات أخرى. انظر عبد الرزاق أحمد قنديل نفس المرجع، ص 278/267 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 168 .

(4) - عبد الرزاق أحمد قنديل: نفس المرجع، ص 437 .

العبري، وكان ذا باع طويل في شعر المدح، وقد نظم قصائد عدة مدح بها عدة شخصيات في الأندلس وإفريقيا الشمالية⁽¹⁾.

والشاعر يبراهيم بن سهل الإسرائيلي الذي نشأ باشبيلية في عهد الموحدين، ثم هجرها بعد استيلاء الأسبان عليها، واتصل بابن خلاص والي سبتة ومات غريقاً في عام 649هـ/ 1251م. وله ديوان شعر اتسم بالرقّة، وسئل عن سبب رقيقته فقيل إنّه اجتمع فيه ذلان؛ ذل اليهودية وذل العشق⁽²⁾ في صبي يهودي كان يهواه اسمه موسى بن عبد الصمد⁽³⁾.

ورغم وجود هذا النشاط الأدبي، إلا أن المصادر لم تمدنا بأي شاعر من الشعراء اليهود الذين كتبوا باللغة العربية الفصحى في عصر بني مرين. ولكن نجد كمّاً من الشعراء اليهود المتصوفة خاصة في الجنوب الذي ازدهر فيه هذا اللون من الشعر، إذ إنهم كانوا يجهلون اللغة العربية الفصحى. وزاد عددهم في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي⁽⁴⁾، فانتشر الشعر القبالي في الجنوب باللغة المحلية «بربرية وقشتالية».

الكتابات القبالية:

كان لانتشار الصوفية والأولياء أصحاب الكرامات أكبر الأثر في انتشار الأدب الصوفي والشعبي، وهؤلاء الصوفية غالباً هم إفران لمرحلة داخلية مظلمة بالمغرب الأقصى، إلى جانب تكالب الخطر الخارجي وعدم قدرة السلطة المركزية على ردعه⁽⁵⁾.

(1) - سليم شعشوع: نفس المرجع، ص 125 .

(2) - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 من ص 522 - 526 .

(3) - لجنة من الأساتذة: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف مصر، بدون تاريخ، ص 142 .

(4) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 186 .

(5) - إبراهيم القادري، الإسلام السري، ص 135 ، 136 .

كل ذلك أفرز أزمة كان ضحيتها الطبقات الشعبية اليهودية التي عبرت عن أزمته باستخدام السحر والتعبير الأدبي القبالي.

وتنتشر العلوم الباطنية «القبالية» في جنوب البلاد في السوس ودرعه والتخوم الصحراوية، حيث كانت تسود حركة صوفية هائلة، وكان بها نشاط قبالي كبير⁽¹⁾، خاصة في مطلع القرن الرابع عشر عند ظهور كتاب الزوهار⁽²⁾ الذي لعب دوراً كبيراً في الحياة الفكرية مثل التوراة والتلمود كما سبق القول.

وقد عكس الأدب القبالي الكتابات الخاصة بالشعائر الدينية التي تعتمد على الوعظ الديني «المدارشي»، والشطحات الصوفية التي كانت وفقاً على نخبة ضئيلة جداً من العارفين محدودة العدد⁽³⁾. ولذلك وجد عدد من الأدباء لهم مؤلفات عدة في الأدب القبالي منهم:

(1) ابراهام سباع، ومسعود أزولاي، واسحاق لوريا الاشكنازي الذين سبق الحديث عنهم في نفس هذا الفصل⁽⁴⁾.

(2) شمعون لابي: استقر في فاس بعد الطرد من قشتالة، وتعرض لمختلف عادات وتقاليد مدينة فاس في كتابه «كيتيم باز» (الذهب الابريز)، إلى جانب قصيدته الصوفية «باريوحاي» التي أصبحت جزءاً من طقوس عيشة يوم السبت⁽⁵⁾. وهؤلاء الأدباء برغم كونهم أندلسيين إلا أنه كان لهم دور كبير في الأدب اليهودي في المغرب الأقصى، إذ استقروا في هذه البلاد وصاروا ممثلين للأدباء اليهود فيها، حيث إننا لم نعر على أدباء يهود من الأصل المغربي الخالص وخاصة من جنوبي البلاد، حيث كان تركزهم هناك

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 197 ، 198 .

(2) - أسعد رزوق: نفس المرجع، ص 183 .

(3) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 198 .

(4) - الرسالة: ص 183 - 184 .

(5) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 199 .

كثيراً كما أشرنا سابقاً، ولكون المغرب كان يعاني في تلك الفترة من ضعف في بعض النواحي منها الناحية الثقافية التي أشرنا إليها وإلى أسبابها.

(ب) العلوم العقلية:

هي تلك العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره ومداركه⁽¹⁾ وتخضع للتجربة، ولذلك فهي لا تختص بملة أو دين معين، بل يجب النظر فيها لأهل الملل كلها، وقد اشتملت هذه العلوم على عدة علوم مثل علم الفلك (علم الهيئة) والفلسفة والمنطق والطب ولكن المصادر تمدنا بمادة لا تشفى غليل الباحث في هذا المجال.

1 - علم الفلك «علم الهيئة»:

هو علم يبحث في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتغيرة، كما يبرهن على أن مركز الأرض مباين لمركز فلك الشمس⁽²⁾، ومن فروعه علم الأزياج، وهو صناعة حسابية على قوانين عددية، فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، ويعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت وكما يمكن به معرفة الشهور والأيام والتواريخ السابقة، والتنبؤ بالحوادث المستقبلية.

ولهذه الصناعة في عصر بني مرين وابن بطوطة قوانين مثل المقدمات والأصول في معرفة الشهور والتواريخ الماضية وأصول متقررة في معرفة الأوج والحضيض، والميول وأصناف الحركات، واستخراج بعضها عن بعض، ليضعوها في جداول مرتبة تسهلاً على المتعلمين، وهذه الجداول تساعد على معرفة مواضع الكواكب، ويسمونها «الأزياج»، وقد اعتمد العلماء على زيغ منسوب لابن اسحاق من منجمي تونس في أول المائة السابعة للهجرة، وهو أهم مرجع

(1) - ابن خلدون: نفس المرجع، م 1 ص 779 .

(2) - المصدر السابق، م 1 ج 2 ص 905 .

في علم الأزياج⁽¹⁾، وقد لخصه ابن البناء العددي (ت 723هـ / 1323م) وسماه منهاج الطلاب في تعديل الكواكب⁽²⁾.

وبالأندلس في مدينة شلمنقة⁽³⁾، وضع الإسرائيلي ابراهيم الشلمنقي رسالة زيح زكوط باللغة العبرية في عام 877هـ / 1472م ووضعت الرسالة حسب موقع شلمنقة⁽⁴⁾. والزيح هي الجداول الموضوعة لتعديل الكواكب، وبلغ عددها 248 جدولاً موزعاً على 248 صفحة، حيث ينقسم كل جدول - طولاً وعرضاً - إلى مربعات، يرسم بداخلها الأعداد المعنية بالأمر، ووظيفة هذه الجداول أن يستخرج بواسطتها الحركات الطولية والعرضية للكواكب المرصودة، حتى يعرف موضع هذه الكواكب في فلك دائرة البروج لأي وقت فرض، كما يعرف منها أيضاً زمن حصول الكسوف للشمس والخسوف للقمر وما إلى ذلك⁽⁵⁾.

وقام المعلم يوسف الأندلسي نزيل مراکش بتعريب رسالة زيح زكوط إلى اللغة العربية بعد عام 877هـ / 1472م⁽⁶⁾، وكان المعلم يوسف مهتماً بهذا العلم وله خبرة بعلم التنجيم⁽⁷⁾، وأقبل المغاربة على زيح زكوط عندما ترجم إلى

-
- (1) - المصدر السابق: م 1 ج 2 ص 907 ، 908 .
 - (2) - الحريري: المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 347 .
 - (3) - شلمنقة: عرفت عند العرب بثلمنقة وتبعد عن سرقسطة عشر مراحل وتبعد 172 ميلاً بالسكة الحديد شمال غرب مدريد، اشتهرت بجامعة التي أسسها الفونسو التاسع ملك ليون في عام 1220م واستمرت حتى عام 1812م. انظر البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الارشاد بيروت 1968م ص 63 ، الادريسي: نفس المصدر، ج 2 ص 733 ، محمد المنوني: ظاهرة تعريبية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، المجلدان الحادي عشر والثاني عشر 1963 ، 1964م، هامش ص 348 .
 - (4) - محمد المنوني: ظاهرة تعريبية، ص 348 .
 - (5) - المرجع السابق، ص 349 .
 - (6) - المرجع السابق، ص 353 ، 354 .
 - (7) - محمد رزوق: نفس المرجع، ص 283 .

العربية نظراً لكونه لا يحتاج لكثرة العمليات الحسابية في المرصد عكس زيغ ابن البناء العددي⁽¹⁾.

2 - الفلسفة:

لم تحظ الدراسات الفلسفية الإسلامية أو اليهودية باهتمام كبير نظراً لما وقع لابن رشد من أبي يوسف يعقوب المنصور الذي تولى عام 580هـ / 1184م والذي أمر باعتقاله ونفيه في عام 592هـ / 1195م إلى مدينة اليسانة، وأصدر مرسوماً لعامة المسلمين ينهاهم فيه عن قراءة كتب الفلسفة أو التفكير في الاهتمام بها، ووصل الأمر لأن أحضر ابن رشد وأمر السلطان الناس بلعنه ولعن المشتغلين بالفلسفة وأمره بتحريم دراسة الفلسفة⁽²⁾، وحرق كل مؤلفات ابن رشد في المغرب، وكان سبب ذلك هو النزاع بين علماء الدين والفلسفة⁽³⁾.

فكان لهذا الحدث أكبر الأثر على الفلاسفة المسلمين واليهود في العصر المريني حيث أنهم لاقوا مقتاً وكراهية مثل أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني وهو من المشتغلين بعلوم الفلسفة. ورغم ذلك يوجد من اشتغل بالفلسفة⁽⁴⁾، وإن كان عددهم قليل على العكس من اليهود من تلاميذ مدرسة موسى بن ميمون ومدرسة ابن رشد⁽⁵⁾.

ورغم ذلك لم يسلم تلاميذ هاتين المدرستين من اضطهاد رجال الدين اليهودي «الاكليروس»⁽⁶⁾، الذي اشتد اضطهادهم للفلاسفة اليهود، فأخذت

(1) - محمد المنوني: ظاهرة تعريبية، ص 348 ، 349 ، محمد حجي: نفس المرجع، ج1 ص 163 .

(2) - محمود قاسم: دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف مصر 1972 ، ص 139 .

(3) - المرجع السابق، ص 140 .

(4) - ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف مصر، ج1 ص 280 .

(5) - محمد غلاب: نفس المرجع، ص 135 .

(6) - المرجع السابق، ص 135 .

الفلسفة اليهودية في الاضمحلال منذ القرن الخامس عشر للميلاد حتى إذا أقبل القرن السادس عشر للميلاد استعان الاكليروس في مقاومتها بفكر الإمام الغزالي الذي اشتد في هجومه على الفلسفة في العالم الإسلامي فترجموا كتابه «تهافت الفلاسفة» حوالي عام 945هـ/ 1538م ليدحضوا به فكر اتباع ابن رشد وأرسطو من اليهود فاضطر الكثيرون من الفلاسفة اليهود إلى مغادرة الأندلس⁽¹⁾، ف لجأوا إلى إسبانيا المسيحية وإلى جنوب فرنسا حيث كان التسامح في تلك المقاطعات موفوراً بعض الشيء⁽²⁾ ونقلت معهم مؤلفات ابن رشد حيث ترجمت إلى العبرية واللاتينية⁽³⁾.

ولهذا صارت برشلونة في اسبانيا وناربون ومونبلييه ولونيل ومارسيليا في فرنسا مراكزاً للثقافة الفلسفية التي وجدت فيها العقول مسرحاً لابداء آرائها⁽⁴⁾، واكتفى الفلاسفة اليهود الذين لم يرحلوا عن المغرب الأقصى اختصار أهم الكتب مثلما فعل المسلمون.

3 - المنطق:

هو علم يعرف به الصحيح من الفاسد في الكلام في حدود المعرفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات⁽⁵⁾. وقد شهد العصر المريني نشاطاً في علم المنطق أكثر من الفلسفة لأن المشتغلين بالمنطق لم يلقوا معارضة مثل المشتغلين بالفلسفة⁽⁶⁾، فاشتغل بهذا العلم عدد قليل مثل ابن الخطيب. ولكن في

(1) - توفيق الطويل: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر الطبعة الثانية 1958م، ص 94 .

(2) - محمد غلاب: نفس المرجع، ص 136 .

(3) - توفيق الطويل: نفس المرجع، ص 94 .

(4) - محمد غلاب: نفس المرجع، ص 136 .

(5) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 2 ص 908 .

(6) - الحريري: المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 348 .

نهاية دولة بني مرين لم يلق هذا العلم اهتماماً من علماء المغرب، ولذلك لم يتداولوا إلا كتب المتأخرين وهجروا كتب المتقدمين وطرقهم فصارت كأن لم تكن، وهي ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته⁽¹⁾.

وسبب تركهم هذا العلم يفهم من المراسلات التي دارت بين الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ جلال الدين السيوطي يقول المغيلي:

سمعت بأمرها سمعت بمثله	وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة	وينهي عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلا عبارة	عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معينة في كل الكلام فهل ترى	دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله
أرني هداك الله منه قضية	على غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وذمة	رجال وإن أثبت صحة نقله ⁽²⁾

فأجابه السيوطي بقوله:

عجبت لنظم ماسمعت بمثله	أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجب مني حين ألفت مبدعاً	كتاباً جموعاً فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم المنطق	وماقاله من قال من ذم شكله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى	علوم يهود أو نصارى لأجله ⁽³⁾

ويعني ذلك في رأي السيوطي أن علم المنطق من علوم اليهود والنصارى ويحرم الاشتغال به، وكان المغيلي ممن يكره العمل بهذا العلم مثل السيوطي والغزالي وابن تيمية وابن الصلاح⁽⁴⁾.

(1) - ابن خلدون: نفس المصدر، م 1 ج 2 ص 913 .

(2) - آدم عبدالله الألوري: الإسلام في نيجيريا، دار العربية بيروت 1971 ، ص 89 ولزيد من التفاصيل انظر نفس المرجع ص 90 .

(3) - المرجع السابق، ص 90 .

(4) - عبد الرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات كبار المستشرقين، دار النهضة العربية القاهرة 1965 ، ص 164 ، 165 .

وفي هذا الجو الاضطهادي الذي صاحب الفلاسفة المسلمين واليهود تأثر علم الفلسفة والمنطق، فاتسم القرن العاشر بخفوت صوت هذه الدراسات⁽¹⁾، ولم يهتم العلماء إلا بتحفيظ الفقه فقط⁽²⁾.

4 - الموسيقى:

كان لانتقال الموسيقى الأندلسية إلى المغرب الأقصى نتيجة للهجرات الكبيرة التي اضطر إليها المسلمون واليهود نتيجة لحركات الاسترداد المسيحية، أكبر الأثر على أنماط التعبير الموسيقي لحناً وإيقاعاً وأداءً، وأسهم بدور فعال في ظهور أصناف من الآلات بسائر أنواعها⁽³⁾.

إلى جانب ذلك تطورت الموسيقى الزجلية في العصر المريني والوطاسي واستخدمت قصائد خفيفة للغناء قوامها أوزان قصيرة، وزاد نجاح هذه الأغاني وانتشارها في صحراء تافيلالت التي كانت بحق مرتعاً خصباً للزجل في مراحل تطوره وفي غيرها من أقاليم المغرب⁽⁴⁾، نظراً لكون الزجل كان يقال ويغنى باللغة العامية في الأسواق والحفلات بمساعدة بعض الآلات الموسيقية وجوقة من المنشدين⁽⁵⁾.

ونظراً لانتشار الموسيقى فقد أخذها الأطباء لعلاج المرضى⁽⁶⁾، وعلى غرار المسلمين، واصل اليهود المغاربة الحفاظ على التقاليد الموسيقية الأندلسية فكانوا

(1) - المغيلي: مصباح الأرواح، ص 12 .

(2) - هذا ما يراه المقرئ: انظر أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط1 القاهرة 1942 ، ج3 ص 26 .

(3) - عبد العزيز عبد الجليل: مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، عالم المعرفة عدد 65 الكويت 1983 ، ص 6 .

(4) - المرجع السابق، ص 55 .

(5) - محمد عادل عبد العزيز: التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983 ص 111 .

(6) - عبد العزيز عبد الجليل: نفس المرجع، ص 57 .

يغنون الأغاني الشعبية في الأعراس والحفلات العائلية المتنوعة، إلى جانب الانشاد الديني حيث كذلك كانوا يفعلون في الأعياد الدينية في البيعة⁽¹⁾.

5 - الطب والصيدلة:

من العلوم التي لاقت رواجاً على مر أجيال عديدة، مهنة الطب، نظراً لأن الأمراض اقترنت بالسحر في الحضارات القديمة، أما منشأ الطب فكان على يد الطبيب اليوناني الكبير جالينوس الذي ولد في عام 131م وتوفي عام 201م، واتخذ الأطباء مثلهم الأعلى⁽²⁾.

وكان للطب والصيدلة عناية كبيرة من قبل سلاطين بن مرين وبني وطاس الذين اهتموا بالشؤون الصحية للرعية، فبنوا المستشفيات ونظموا هذه المهنة⁽³⁾.

فمن مشاهير الأطباء الذين نشأوا في بلاد المغرب أوزاروها الطبيب أحمد بن المغربي الإشبيلي الذي كان يهودياً ويقال له: سليم، فأسلم ومات في عام 718هـ / 1317م وكان بارعاً في عدة علوم⁽⁴⁾، وإماماً في الفلسفة وخلافه وولي رئاسة الأطباء بديار مصر⁽⁵⁾.

وفي العصر الوطاسي رحب شمال افريقيا باللاجئين الاسبان والبرتغال واستخرجوا لهم تصاريح المواطنة⁽⁶⁾، فاستقر منهم عدد ضخم ترك اسبانيا عبر مضيق جبل طارق⁽⁷⁾، وكان منهم علماء وأطباء مثل الطبيب الذي استدعاه السلطان محمد الشيخ لعلاج جروح أحمد الوطاسي أثناء حروبه ضد

(1) - حاييم زعفراني: نفس المرجع، ص 187 .

(2) - عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1973 ، ص 241 .

(3) - الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص 326 .

(4) - أحمد عيسى: معجم الأطباء من 65هـ إلى يومنا هذا ذيل على عيون الأطباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، دار الرائد العربي بيروت 1982 ، ص 125 .

(5) - المقرئ: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ج2 القسم الأول، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1971 ، ص 188 .

(6) - Solomon. op. cit. p. 729

(7) - Brocolman. op. cit. p. 220

السعديين⁽¹⁾، ويوجد طبيب آخر في آسفي كان له دور كبير في التجسس⁽²⁾، ولم يسعفنا مارمول كربخال باسمي هذين الطبيين.

ومن الأطباء الذين قاموا بممارسة مهنة الطب والتأليف المعلم يوسف الأندلسي وهو من المستقرين بمراكش، ويرجح أن يكون هو يوسف الحكيم، وكان رجلاً أندلسياً له خبرة بالعلوم الحكيمة كالطب والتنجيم، خرج من الأندلس فراً من النصارى، واتصل بأرباب الدول، وكان حكيماً يشهد له بالتقدم في علم الكلام والفلسفة، وقام بترجمة الرسالة الزكوطية في علم الفلك⁽³⁾.

والطبيب والمؤلف ابن نظير اليهودي، له مؤلف في طب الأعشاب⁽⁴⁾، وكذلك الطبيب والمؤلف هارون بن اسحاق ابن عزرون، وله أرجوزة في الحميات والأورام وهو ذيل لارجوزة ابن سينا الطبية⁽⁵⁾.

ومن النادر أن نجد طبيباً متخصصاً بل كان الأطباء لهم دور في كافة العلوم الثقافية مثل الفلك والتفسير التلمودي واللغة وعلوم أخرى⁽⁶⁾.

وفي نهاية هذا الفصل نجد أن الحركة الثقافية عند المسلمين في بلاد المغرب اهتمت بنسخ الأصول وحفظ ماسبق، فما بالك بالثقافة اليهودية التي وصفها موسى بن ميمون أبلغ وصف عندما كان بالمغرب الأقصى حوالي عام 560هـ/ 1165م، فتحدث عن جهل اليهود بأمور دينهم وعن تحجر دراستهم التلمودية⁽⁷⁾.

(1) - مارمول كربخال: نفس المصدر، ج1 ص473 .

(2) - المصدر السابق، ج2 ص73 .

(3) - محمد رزوق: نفس المرجع، ص283 .

(4) - حبيب بن خوجة: نفس المرجع، ص82 .

(5) - محمد حجي: نفس المرجع، ج1 ص160 ، محمد رزوق: نفس المرجع، ص275 .

(6) - Therese and Mendel metzger. op. cit. p 158 .

(7) - الهادي روجيه ادريس: نفس المرجع، ج2 ص426 .

ولذلك رفض بعض اليهود المطرودين من إسبانيا والبرتغال أن يعيشوا مع اليهود البربر لتدني مستواهم الثقافي ومن بقي منهم داهنوا الحكام⁽¹⁾. وصاحب هذا الضعف الثقافي ركود نشاطهم التجاري وهيمنة مدن البحر المتوسط المسيحية على التجارة العالمية، وتحول التاجر اليهودي إلى تاجر محلي، وتقوقع داخل القطر المغربي فتحوّلت ثقافته إلى ثقافة محلية مغلقة ولذلك لم يكن أمام هذا اليهودي إلا نسخ الأصول وحفظ المتون.

(1) - Solmon. op. cit. p. 729.

الخاتمة

كان ظهور اليهود بالمغرب العربي مواكباً للمد التجاري الفينيقي وازداد معه الاضطهاد الروماني لليهود في بلاد الشام حيث هاجر عدد آخر من اليهود إلى بلاد المغرب ولاحقهم الرومان هناك فكان لذلك أكبر الأثر في هروبهم إلى الداخل منغلقي على أنفسهم، وشجعهم على ذلك ديانتهم وتلمودهم، ومع مجيء الإسلام للمغرب أعطاهم المسلمون قدراً كبيراً من التسامح، ولكن غشهم وخيانتهم جعل المرابطين والموحدين يصبون جام غضبهم عليهم، فزاد تقوقع اليهود في داخل البلاد وأظهر بعضهم إسلامهم، ولكن كان إسلاماً اسمياً، ولذلك ظهر مصطلح البلديين الذي أطلق على من أسلم من اليهود قديماً، ومصطلح الإسلاميين الذي أطلق على من أسلم منهم حديثاً.

ومن رصدنا للأعياد اليهودية وجدنا أن هذه الأعياد كانت ذات أصول شرقية سرقت من الحضارات الفرعونية والبابلية والفينيقية والفارسية، ولكثرة تواجدهم منذ زمن طويل بالمغرب الأقصى وجدنا خصوصية لهذه الأعياد تختلف إلى حد ما عن الأعياد في المشرق وإن أغلبها ذات صبغة زراعية لأنها مسروقة من بلاد ذات أصول حضارية زراعية عكس ما يدعيه اليهود من أنهم تجار وليسوا زراعيين.

وبالتقوقع داخل المغرب الأقصى انعزل اليهود عن العالم الخارجي إلا فئة مارست التجارة، وهذه كانت تستقر في المدن الكبرى والساحلية، أما

المتقوقعون بالداخل فتخلفوا عن الركب الحضاري الذي اجتاحت العالم الإسلامي، مما جعل موسى بن ميمون يتهمهم بالجهل والتخلف.

وفي بحثنا هذا أثبتنا وجود طائفتين الأولى ربانيون وهم أشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عدداً ويطلق عليها التلموديون ويتم اختيار مجلس الطائفة اليهودية بالمغرب الأقصى من الربانيون عكس القراؤون وهم أقلية، رغم إنكار عدد من المؤرخين المغاربة لتواجدهم. وكان هؤلاء القراؤون متأثرين بأفكار فرقة المعتزلة الإسلامية، ولذلك اعتمدوا على النص التوراتي مباشرة وأنكروا التلمود.

ونتيجة لهذه الدراسة وجدنا لليهود دوراً في الزراعة رغم صغر المساحة التي كانوا يقومون بزراعتها، ولكن كان بعضهم يهرب منها إلى امتهان حرف بعيدة عنها رغم دعوة التوراة لهم إلى تقديم قرايين للإله مما تخرجه الأرض التي يزرعها اليهود. كما وجد لليهود دور كبير إلى حد ما في الصناعة والحرف، خاصة الحدادة والصباغة والصياغة في دور السكة، فكانت هذه الصناعات شبه قاصرة على اليهود لكثرة تواجدهم فيها نظراً لما تحتاجه من مشقة، مما جعل بعض الفقهاء يطلبون من السلاطين والخلفاء إبعاد اليهود عن هذه الصناعات لكثرة غشهم فيها، فكان السلاطين والخلفاء يصدرون الأوامر للمحتسب والشرطة بمنع اليهود من ممارسة هذه الحرف، وممارسة صناعات أخرى يكون الغش فيها قليل الضرر، مما جعل البعض من المستشرقين يتهمون المسلمين بترك الصناعات الحقةرة لليهود، وبالبحث وجدنا أن اليهود المغاربة كانوا مشاركين في أغلب الصناعات والحرف، ولكن تكالب اليهود على الثراء السريع جعلهم يمتنون بعض الصناعات التي لايقبل عليها المغربي بكثرة.

كما أن لليهود دور كبير في التجارة العالمية مستغلين وضعهم كأهل ذمة في الانتقال بتجارتهم بين بلاد المسلمين وأوروبا فأثروا ثراءً كبيراً، ولكن مع ازدياد قوة أوروبا وسيطرتها التجارية على البحر المتوسط الذي كان بحيرة إسلامية فأصبح بحيرة مسيحية، ضاع دور التاجر اليهودي خاصة المغربي فتحول إلى تاجر محلي، واقتصر دوره على جلب المواد الخام التي يشتهر بها

الجنوب المغربي إلى المواني المسيطر عليها من قبل المستعمر الأوربي وتسليمها للتجار النصارى الوافدين عليها، ولذلك نشط الجنوب المغربي عن شماله وبدأت تظهر طرق تجارية جديدة مما جعل أغلب اليهود يتحولون إلى العمل بالربا والمضاربة مع المسيحي والمسلم مستغلين الحروب والأزمات الاقتصادية، كذلك تعاملوا بالربا مع إخوانهم اليهود رغم تحذير التوراة والتلمود من التعامل بالربا مع اليهودي وحرية التعامل به مع الغير.

وبالبحث وجدت عدة طرق يتعامل بها اليهود في المغرب الأقصى ونهت عنها كتب الفقه الإسلامي، مثل بيع النجش وبيع المرابحة وبيع الجزاف وأنواع أخرى إلى جانب الدور الكبير لهم في نظام التعامل بالوكالة، فكانوا وكلاء عن بعض الملوك وكبار القوم المغاربة الذين كانوا يوكلون اليهود في تدبير مواردهم لمعرفة بدقائق الأمور المالية، ويتضح من ذلك أن اليهود مارسوا عدة أنواع من المعاملات غير الشرعية التي كانت تدر عليهم أموالاً طائلة.

كذلك أظهرت هذه الدراسة قيام اليهود بتربية الأطفال والشباب تربية دينية عنصرية تقوم على العداء للغير، وعلى التمسك بالعادات الدينية والاجتماعية التي ليس لها أصل يهودي والإدعاء بيهوديتها، فكان من نتيجة هذا التعليم خلق طلاب متعصبين ليهوديتهم رغم تربيتهم على الثقافة الإسلامية التي تأثروا بها في جميع علومها.

وبالبحث لم نجد إبداعاً يهودياً خاصاً بهم بل اعتمدوا على النمط والثقافة العربية الإسلامية، فكان الأثر الإسلامي واضحاً في شتى علومهم إلى جانب الحرية التي تمتعوا بها في المجتمع الإسلامي خاصة المغربي، ولكن مع انحدار الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي انحدر الوضع الثقافي مما كان له أكبر الأثر في هروب كثير من الناس إلى التصوف كملجأ من الانتكاسات التي كانت تتوالى على الدولة المرينية والوطاسية، مما أدى إلى انتشار التصوف القبالي خاصة في الجنوب الذي يكثر فيه التواجد اليهودي.

ومن النتائج البارزة أيضاً أن اليهود تولوا أرفع المناصب بالدولة المرينية

والوطاسية نتيجة للحرية التي حصلوا عليها، حيث تولى بعضهم الوزارة في نهاية الدولة المرينية، أما عهد الوطاسيين فتميز بكون السفراء من اليهود، خاصة المهاجرين منهم من ذوي الثقافة الأندلسية والذين كانوا يجيدون عدة لغات، وسبب استخدامهم لليهود في السفارة إلى البلاد الأوروبية يعود إلى عدم ثقة الوطاسيين في إرسال مسلمين إلى البرتغاليين أو الأسبان خوفاً من التحالف معهم ضدهم فكان اليهود أجدر من يقوم بهذا العمل في نظر الوطاسيين، ورغم هذه الثقة فقد استغلوها لصالحهم ولصالح طائفتهم.

وبالبحث وجد لليهود دور كبير في الفتن والاضطرابات نتيجة للغش الذي اتسم به اليهودي، سواء في الصناعة أو في التجارة أو في السياسة مما جعلهم طائفة منبوذة داخل المغرب الأقصى، ولم يكن لهم دور كبير في حركة الانتاج لأن هدف اليهودي هو تحويل مدخراته إلى النوع السائل الذي يسهل حمله من بلد إلى بلد.

كل ذلك جعل اليهود يعيشون على هامش المجتمع المغربي وأعطى لهم نوعاً من الاستقلال، مما دعم فكرة العنصرية والانعزال والتقوقع داخل الأحياء التي كانوا يسكنونها رغم إعطائهم الحرية في كافة تحركاتهم داخلياً وخارجياً.

الملاحق

جدول بأسماء الأمراء والسلاطين المرينيين:

- 1 - أبو محمد عبد الحق بن أبي محيو بن أبي بكر ابن حمامة المريني (592 - 614هـ / 1195 - 1217م)
- 2 - أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (أدرغال) (614 - 637هـ / 1217 - 1239م)
- 3 - محمد (الأول) بن عبد الحق (637 - 642هـ / 1239 - 1244م)

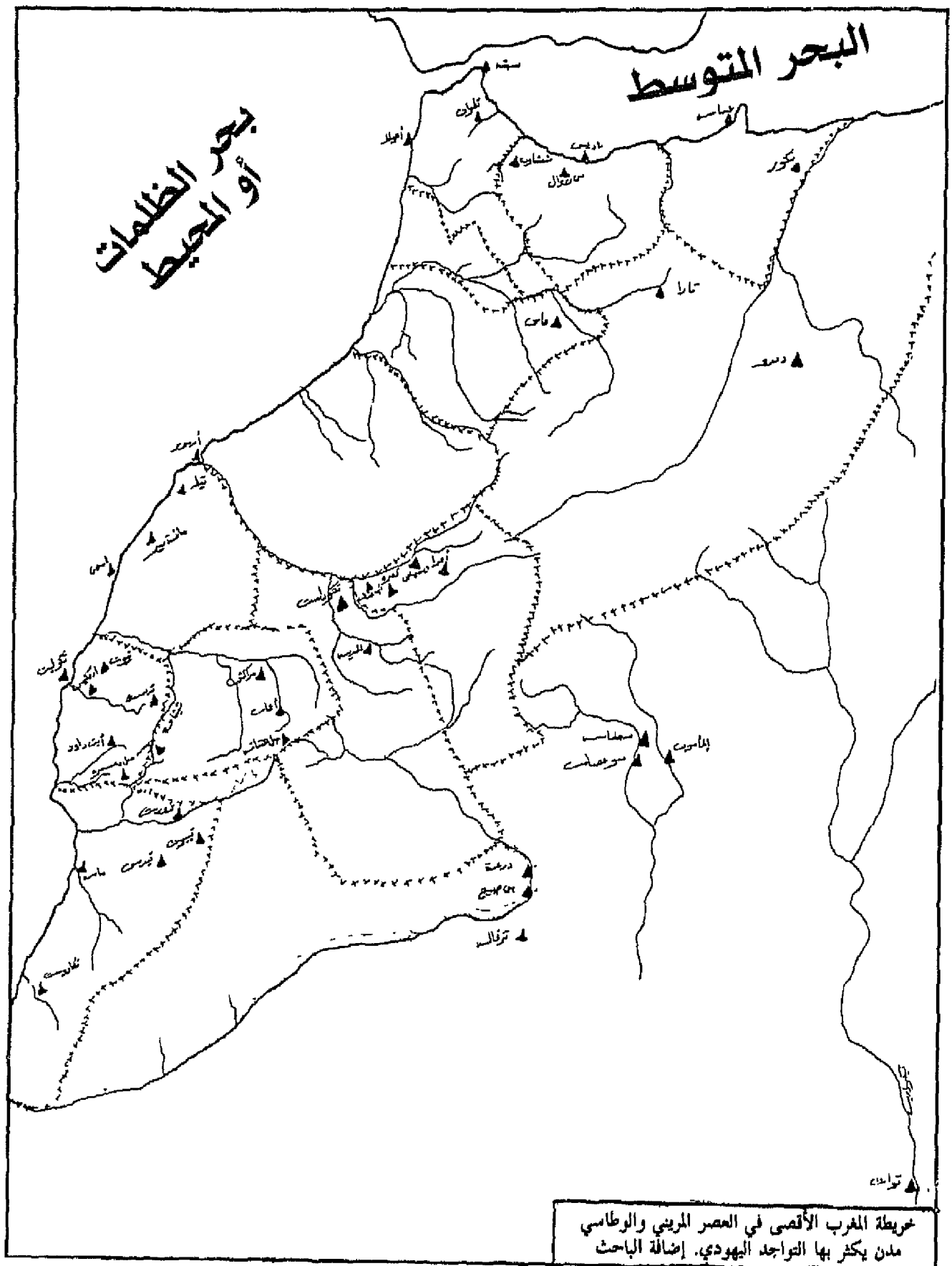
السلاطين:

- 4 - أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق (642 - 656هـ / 1244 - 1258م)
- 5 - أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (656 - 658هـ / 1258 - 1286م)
- 6 - أبو يعقوب يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله (658 - 706هـ / 1286 - 1306م)
- 7 - أبو ثابت عامر بن أبي عامر (706 - 708هـ / 1306 - 1308م)
- 8 - أبو الربيع سليمان بن أبي عامر (708 - 710هـ / 1308 - 1310م)
- 9 - أبو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب (710 - 732هـ / 1310 - 1331م)
- 10 - أبو الحسن علي بن عثمان (732 - 749هـ / 1331 - 1348م)
- 11 - أبو عنان فارس المتوكل بن علي (749 - 759هـ / 1348 - 1357م)
- أبو زيان محمد بن فارس أبي عنان (ولي ثم عزل في الحال). (759هـ / 1357م)
- 12 - محمد السعيد بن أبي عنان (وعمره خمس سنوات) (759 - 760هـ / 1357 - 1358م)
- 13 - أبو سالم إبراهيم بن علي (760 - 762هـ / 1358 - 1360م)
- 14 - أبو عامر تاشفين بن علي (762 - 763هـ / 1360 - 1361م)
- 15 - عبد الحليم بن أبي علي عمر (763هـ / 1361) (انفرد بسجل مائة) منذ ربيع الأول سنة 763هـ)

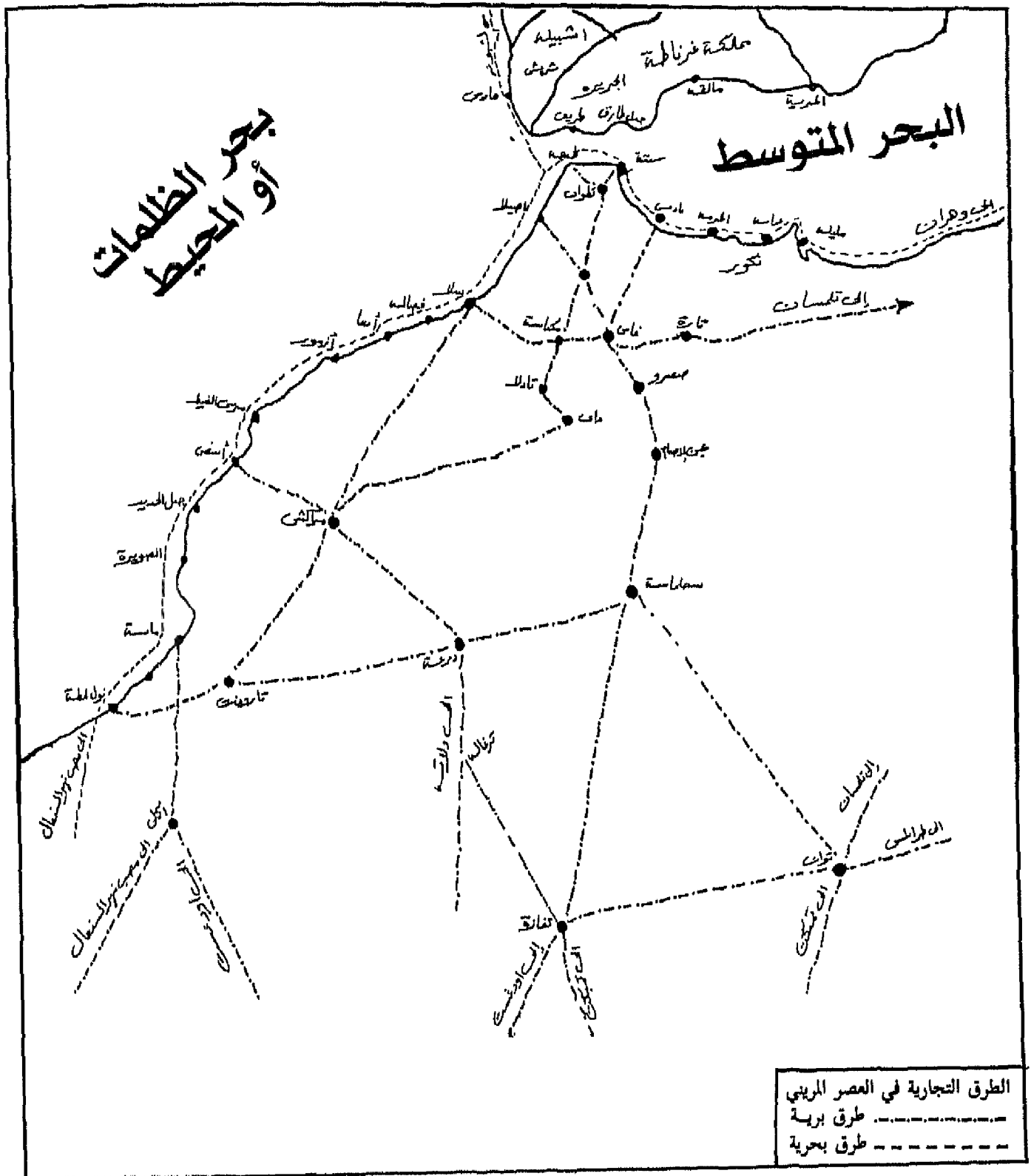
- 16 - أبو زيان محمد (الثاني) المنتصر بن أبي عبد الرحمن (763 - 768هـ/1361م - 1372م)
- 17 - أبو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي (768 - 774هـ/1372م - 1372م)
- 18 - أبو زيان محمد (الثالث) السعيد بن عبد العزيز (774 - 776هـ/1372م - 1374م)
- 19 - أ) أبو العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم (776 - 786هـ/1374م - 1384م) ومعه
ب) عبد الرحمن أبو يفلوسن (776 - 784هـ/1374م - 1382م) (بمراكش وفي
عام 784هـ/1382م انفرد أبو العباس أحمد بسائر المغرب
- 20 - موسى بن أبي عنان، المتوكل على الله أبو فارس (786 - 788هـ/1384م - 1386م)
- 21 - أبو زيان محمد المنتصر بالله بن أحمد (مدة حكمه 43 يوماً) (788هـ/1386م).
- 22 - أبو زيان محمد (الرابع) الواثق بالله أبي الفضل المستنصر «للمرة الثانية» (788 - 796هـ/1386م - 1393م)
- 23 - أبو فارس بن أحمد (796 - 799هـ/1393م - 1396م)
- 24 - عبد العزيز بن أحمد (799 - 800هـ/1396م - 1397م)
- 25 - عبد الله بن أحمد (800 - 801هـ/1397م - 1398م)
- 26 - أبو سعيد عثمان (الثاني) بن أحمد (801 - 831هـ/1398م - 1427م)
- 27 - أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان (الثاني) (831 - 869هـ/1427م - 1464م)
- قتل في رمضان 869 هـ وكان آخر أبناء عبد الحق المريني (831 - 869هـ/1427م - 1464م)
- ثم ولي الأمر نقيب الشرفاء أبو عبد الله محمد العمراني الجوطي المعروف بالحفيد
في عام (869 - 876هـ/1464م - 1471م)

جدول بأسماء الحكام الوطاسيين:

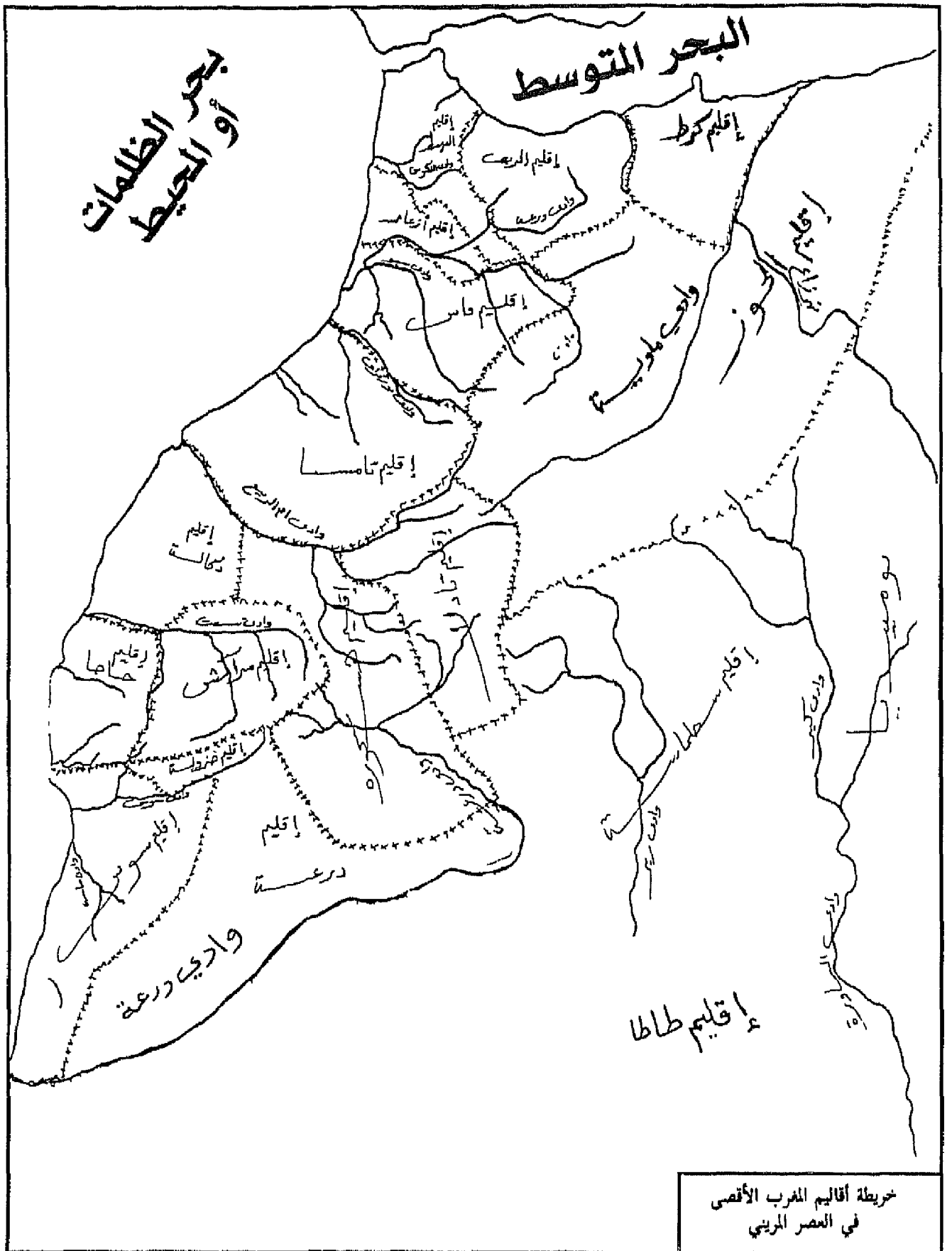
- 1 - أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي (876 - 910هـ/1471م - 1504م)
- 2 - محمد بن محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي المعروف بمحمد البرتقالي (910 - 932هـ/1504م - 1526م)
- 3 - أبي الحسن علي بن محمد المعروف بأبي حسون (932هـ/1526م) (للمرة الأولى تولى
عدة أشهر).
- 4 - أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ (932 - 956هـ/1526م - 1549م) (انتهى حكمه
عام 956هـ عندما دخل محمد الشيخ السعدي فاس وقضى على حكمه).
- 5 - أبو الحسن علي بن محمد المدعو أبو حسون للمرة الثانية، استمر من شهر صفر إلى
شوال ودخل محمد الشيخ فاس مرة أخرى وقتله. (961هـ/1554م).
- وبذلك انتهى حكم بن مرين وبني وطاس للمغرب الأقصى.



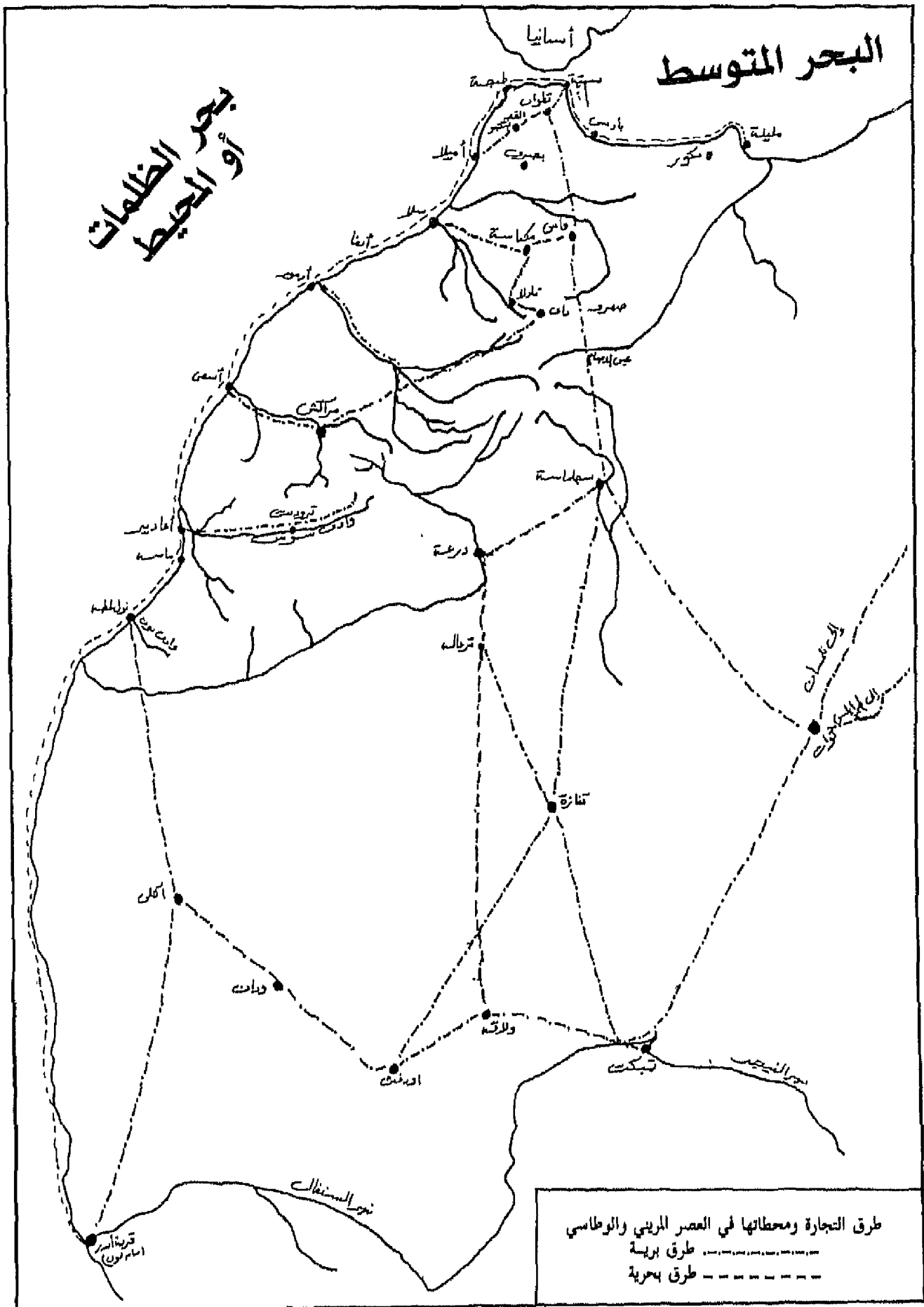
الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر،
دار الغرب الإسلامي - بيروت 1983 ، ص 93 ، 192 .



محمد حجي: الحركة الفكرية، ج 2 ص 661 (بتصرف).



الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر،
دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 ، ص 192، 193 .



محمد حجي: الحركة الفكرية، ج 2 بعد ص 661 (بتصرف).

المصادر - المراجع

أولاً: المخطوطات:

- 1 - الجوطي: (ت 1099هـ / 1687م) أبي أحمد بن عبد القادر ابن عبوا الشهير بحسن الجوطي.
- تأليف في أنساب الشرفاء الذين لهم شهرة بفاس.
مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزنة العامة بالرباط. (رقم 1442 تاريخ).
- 2 - ابن شاهين: (ت 920هـ / 1514م) عبد الباسط بن خليل بن شاهين.
- الزهر الباسم في حوادث العمر والتراجم، مخطوط بالهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الثالث تحت رقم (2403 تاريخ تيمور) 50703 ميكروفيلم.
- 3 - أبي عسكر: (ت 986هـ / 1578م) أبي عبد الله بن علي بن محمد ابن مصباح عرف بابن عساكر الشفشاوي.
- دوحة الناشر من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزنة العامة بالرباط (رقم 1626 تاريخ).
- 4 - ابن غازي: (ت 919هـ / 1513م) ابن عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي.
- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزنة العامة بالرباط (رقم 1686 تاريخ).
- 5 - ابن مرزوق: (ت 781هـ / 1379م) محمد بن مرزوق الأكبر التلمساني.
- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن.
مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزنة

- العامة بالرباط (رقم 645 تاريخ).
- 6 - مجهول: توفي في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي.
- ذكر قضية المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين.
- مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1637 تاريخ).
- 7 - عبد القادر الفاسي: (ت 1096هـ / 1684م) أبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر الفاس.
- لمحة في تاريخ دولة الشرفاء. مخطوط مصور بالميكروفيلم بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عن الخزانة العامة بالرباط (رقم 1954 تاريخ).

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - الكتاب المقدس.
- 3 - الأبهسي: شباب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي (ت 850هـ / 1446م).
- المستطرف في كل فن مستظرف، المكتبة التجارية، القاهرة بدون تاريخ.
- 4 - ابن إياس: محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت 930هـ / 1524م).
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الخامس تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984 .
- 5 - الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أدریس (ت 558هـ / 1162م).
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول والثاني، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1994 .
- 6 - ابن الأثير: علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت 630هـ / 1223م).
- الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1966 .
- 7 - الأصبخري: (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه)
- المسالك والممالك - ليدن 1889 .
- 8 - الأصبخري: ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي).
- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة 1961 .

- 9 - ابن أبي زرع: أبو حسن بن عبد الله الفاسي (ت 720هـ / 1320م).
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الرباط 1982 .
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة الورقية الرباط 1972 .
- 10 - ابن الأحمر: أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر (ت 807هـ - 1404م).
- النفحة النصرية واللمحة المرينية، حققه وقدم له الدكتور عدنان محمد آل طعمة، دار سعد الدين، دمشق 1992 .
- بيوتات فاس الكبير، الرباط 1972 .
- روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثانية الرباط 1991م.
- 11 - أورسيوس: (ولد فيما بين سنة 375/380م).
- تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة. حققها وقدم لها د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1982م.
- 12 - ابن الأخوة: محمد بن محمد بن أحمد القرشي عرف بابن الأخوة (ت 729هـ / 1329م).
- معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق د. / محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1976م.
- 13 - ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت 779هـ / 1369م).
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية بيروت 1993 .
- 14 - بنيامين التطيلي: الرحالة الربي بنيامين بن بونة التطيلي الأندلسي.
- رحلة بنيامين 561هـ / 569هـ، ترجمة وتعليق عزرا حداد بغداد 1384هـ.
- 15 - البكري: أبو عبيد (ت 487هـ / 1094م).
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى بغداد.
- جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الرشاد، بيروت 1968 .
- 16 - ابن تغري: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874هـ / 1469م).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء الثامن نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.

- 17 - التنبكتي: أحمد بابا (ت 1036هـ - 1626م).
- نيل الابتهاج بتطريز الديقاج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ليبيا 1989 .
- 18 - الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر البصري (ت 255هـ / 869م).
- التبصر بالتجارة، تحقيق ونشر حسن حسني عبد الوهاب، دمشق 1932 .
- 19 - الجزنائي: أبو الحسن علي (ت أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) - زهرة الاس في بناء مدينة فاس، المطبعة الكلية، الرباط 1967 .
- 20 - ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت 852هـ / 1448م).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1959 .
- 21 - ابن حزم: (ت 456هـ / 1063م).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، بدون تاريخ.
- 22 - الحكيم: أبو الحسن علي بن يوسف (ت في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي).
- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، حققه وذيله جامع مفردات د. / حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1986 .
- 23 - الحميري: محمد عبد المنعم (تمام جمعه 866هـ / 1463م).
- الروض المعطار في خير الأقطار، حققه د. / إحسان عباس، مكتبة لبنان 1984م.
- 24 - الحسن الوزان: ابن محمد الوزان الفاسي المعروف باسم ليو الأفريقي (ت 957هـ / 1550م).
- وصف أفريقيا، ترجمه من الفرنسية إلى العربية الدكتور عبد الحميد حميدة، وراجعه الدكتور علي عبد الواحد وافي، نشر المملكة العربية السعودية، الرياض 1979 .
- 25 - ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت 367هـ / 977م).
- صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة بدون تاريخ.
- 26 - ابن الخطيب: لسان الدين (ت 776هـ / 1364م)
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق د. / أحمد مختار العبادي، مراجعة د. / عبد العزيز الأهواني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف مصر، بدون تاريخ.
- مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق عبد المجيد التركي، دراسات ووثائق، المؤسسة

- الوطنية لكتاب الجزائر 1987 .
- 27 - ابن خلدون: عبد الرحمن (ت 808هـ / 1405م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت 1983م.
- 28 - الدمشقي: شمس الدين بن عبد الله محمد ابن أبي طالب الأنصاري (ت 727هـ / 1326م).
- الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1977 .
- 29 - أبو الوليد بن رشد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي (ت 595هـ / 1198م).
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، راجع أصوله وعلق عليه، عبد الحلیم محمد عبد الحلیم، دار الكتب الإسلامية، القاهرة 1983م.
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، مصر 1983 .
- 30 - الزبيدي: أبي بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ / 989م).
- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر 1984 .
- 31 - الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 894هـ / 1488م).
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور المكتبة العتيقة بتونس، 1966 .
- 32 - الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ / 1143م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المجلد الثاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1977 .
- 33 - ابن سلام: أبي عبيد القاسم (ت 224هـ / 838م).
- كتاب الأموال، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر، القاهرة 1981 .
- 34 - السبتي: محمد بن الأنصاري (انتهى من تأليفه 825هـ / 1421م).
- اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار، حققه عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1969 .
- 35 - ابن سعيد المغربي: أبي الحسن علي بن موسى (685هـ / 1286م).

- كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الثانية 1982 .

36 - ابن سيد الناس: (ت 734هـ / 1333م).

- المقامات العلية في الكرامات الجليلة، تقديم وتحقيق عفت وصالة حمزة، دار الملاح للطباعة والنشر، القاهرة 1986 .

37 - السموأل: ابن يحيى المغربي «الحبر شموايل بن يهوذا بن أبوان (ت 570هـ / 1174م)».

- إنحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم تقديم وتحقيق د. / محمد عبد الله الشرقاوي، المملكة العربية السعودية، الرياض 1407هـ.

38 - السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ / 1505م)

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1 ، القاهرة 1964 .

39 - السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت 1315 هـ 1897م).

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الثالث والرابع دار الكتاب، الدار البيضاء 1954 .

40 - الشافعي: أبي عبد الله محمد بن أدريس (ت 204هـ / 819م).

- الأم، الجزء الرابع، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بدون تاريخ.

41 - الشهرستاني: أي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ / 1153م).

- الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1976 .

42 - الشيزري عبد الرحمن بن نصر (ت 589هـ / 1193م).

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، قام على نشره د. السيد الباز العريني، بإشراف محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1946 .

43 - الصيرفي: علي بن داود الجوهري (ت 900هـ / 1494م).

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق د. / حسن حبشي، دار الكتب 1971 .

44 - الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ / 922م).

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الجزء الثاني، دار المعارف، القاهرة 1971 .

- جامع البيان في تفسير القرآن، ج 10 ، المطبعة الأميرية ببولاق القاهرة 1327 .
- 45 - ابن عابدين: محمد أمين (ت 1252هـ / 1836م).
- رد المختار على الدر المختار، الجزء الثالث، القاهرة بدون تاريخ.
- 46 - ابن عذارى المراكشي: أبو العباس أحمد بن حمد (ت القرن 7 هـ / 13م).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول والثالث، تحقيق جس كولان، ليفي برونسسال، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، بيروت 1983 .
- 47 - أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي (ت 732هـ / 1333م).
- تقويم البلدان، مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة الخانجي، مصر، بدون تاريخ.
- 48 - القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القاهري (ت 821هـ / 1418م).
- صبح الأعشى في صناعة الانشا الجزء الخامس، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، بدون تاريخ.
- 49 - ابن القيم الجوزية: شمس الدين ابن علي محمد بن أبي بكر (ت 751هـ / 1315م).
- أحكام أهل الذمة، حققه وعلق حواشيه، طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت 1995 .
- 50 - القرطبي: أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ / 1272م).
- الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثامن، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967 .
- 51 - قدامة بن جعفر: ابن زياد (ت 329 هـ / 940م).
- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق د/ حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق 1981 .
- 52 - ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن عمر (ت 774هـ / 1372م).
- البداية والنهاية، الجزء الثالث، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 53 - الكراسي: محمد (ت 964هـ / 1556م).
- عروسة المسائل فيما لبنى وطاس من الفضائل، تقديم عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط 1963 .
- 54 - الماوردي: ابن الحسن علي بن حمد بن حبيب (ت 450هـ / 1058م).
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1973م.
- المضاربة، تحقيق عبد الوهاب حواس دار الوفاء، القاهرة 1989 .

- قوانين الوزارة، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، ومحمد سليمان داوود مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة 1978 .
- 55 - مجهول: الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، حقق النص وعلق عليه الدكتور/ سهيل زكار، مكتبة دار الملاح، دمشق 1981 .
- 56 - مجهول: (أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري).
- الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1979 .
- 57 - مارمول كربخال: (ألف الكتاب في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي).
- أفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، الجزء الأول، مطابع المعارف الجديدة، المغرب 1984 . الجزء الثاني والثالث، دار المعرفة، المغرب 1988 ، 1989 .
- 58 - المراكشي: عبد الواحد (ت 647هـ / 1249م).
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1963 .
- 59 - المغيلي: محمد بن الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ / 1503م).
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974 .
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق، رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1968 .
- 60 - الماقي: ابن عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي (ت 1096/1684م).
- في آداب الحسبة، تحقيق د./ حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت 1987 .
- 61 - المقريري: تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ / 1442م).
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1987 .
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة الجزء الثاني، القسم الأول، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1971 .
- 62 - المقرري: أحمد بن محمد (ت 1041هـ / 1631م).
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الثالث، تحقيق د./ إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968 .
- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون) دار لجنة التأليف

- والترجمة والنشر، القاهرة 1939 .
- 63 - ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ/ 1311م).
- لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.
- 64 - ابن القاضي: أحمد بن القاضي المكناس (ت 960هـ/ 1552م).
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الوطنية، الرباط 1973 .
- 65 - المرتضى: أحمد بن يحيى (ت 840هـ/ 1437م).
- طبقات المعتزلة، عنيت بتحقيقه، سوسنة ديفلد - فلزر - منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
- 66 - مجمع اللغة العربية - المعجم الكبير حرف الباء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1981 .
- 67 - الونشريسي: أحمد بن يحيى (ت 914 هـ/ 1508م).
- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، نشر وتحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 .
- 68 - ابن هشام: أبو أحمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 218هـ/).
- السيرة النبوية/ ج 3 تحقيق مصطفى السقاء، ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1955 .
- 69 - أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم (ت 182 هـ/ 799م).
- كتاب الخراج، نشر محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة بدون تاريخ.
- 70 - ياقوت: شهاب الدين أبو عبد الله الحموي (ت 626هـ/ 1228م).
- معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- 71 - يحيى ابن آدم القرشي: (ت 203هـ/ 818م).
- الخراج، حققه د. حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة 1987 .
- 72 - يحيى بن عمر: (ت 289هـ/ 901م).
- النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب راجعه وأعدده للنشر فرحات الدثراوي، الشركة التونسية للتوزيع 1975 .
- 73 - اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر (ت 284هـ/ 897م)..
- البلدان، (على هامش كتاب الأعلام النفيسة) طبع ليدن 1893 .

ثالثاً: المراجع العربية:

- 1 - ابراهيم القادري بوتشيش (دكتور).
 - المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت 1993 .
 - الاسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة 1995 .
- 2 - ابراهيم حر كات: (دكتور).
 - المغرب عبر التاريخ، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب 1984 .
- 3 - ابراهيم نصحي: (دكتور).
 - مصر في عهد البطالمة الجزء الأول، الأنجلو مصرية، القاهرة 1980 .
- 4 - ابراهيم طرخان: (دكتور).
 - مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1973 .
 - القوط الغربيين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1958 .
- 5 - أحمد أمين:
 - فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1978 .
 - أحمد أبو الخير: (دكتور).
 - الصرف العربي قراءة أصواتية، جـ 1 القاهرة 1990 .
- 7 - أحمد عبد المنعم حسن: (دكتور).
 - تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين علي ابن يوسف، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية 1986 .
- 8 - أحمد مرسي: فاروق محمد جودي: (دكتوران).
 - الفلوكلور والاسرائيليات، دار المعارف مصر 1977 .
- 9 - أحمد عيسى: (دكتور).
 - معجم الأطباء، من 65هـ إلى يومنا هذا، ذيل على عيون الأطباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة دار الرائد العربي، بيروت 1982 .
- 10 - أحمد السليمانى:
 - تاريخ مدينة الجزائر، ديوان عام للمطبوعات، الجزائر، بدون تاريخ.
- 11 - آدم عبد الله الألوري:
 - الإسلام في نيجيريا، والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، دار العربية بيروت 1971 .
- 12 - آدم متز:
 - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، محمد عبد الهادي أبو ريده،

- دار الكاتب العربي، بيروت 1967 .
- 13 - إسرائيل ولفنسون:
- موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1936 .
- 14 - إسرائيل شاحاك:
- الديانة اليهودية وموقفها من اليهود، ترجمة حسن خضر، سينا للنشر، القاهرة 1994
- 15 - أسعد رزق: (دكتور).
- التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز أبحاث بيروت 1970 .
- 16 - ألفرد بل:
- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة د. / عبد الرحمن بدوي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي 1969 .
- 17 - الأب شابو:
- اللغات الآرامية وآدابها، تعريب أنطوان شكري لورنس، مطبعة دير مار مرقس للسريان بالقدس 1930 .
- 18 - الأب متى المسكين:
- الروح القدس، مطبوعات دير الأنبا مقار وادي النطرون، القاهرة 1981 .
- 19 - سبتيانو موسكاني:
- الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. / السيد يعقوب بكري دار الرقي، بيروت 1986 .
- 20 - بوفيل:
- الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1968 .
- 21 - بوزياني الدراجي:
- نظم الحكم في دولة عبد الواد الزيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993 .
- 22 - بيري أندرسون:
- دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1983 .
- 23 - توفيق الطويل: (دكتور)
- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر للطباعة الثانية، القاهرة 1958 .
- 24 - م. ب. تشارلز وورث:
- الامبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجس، راجعه الدكتور محمد صقر

- خفاجة، دار الفكر العربي، القاهرة 1961 .
- 26 - جرجي زيدان:
- تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة الهلال، القاهرة 1903
- 27 - جدع جلادي:
- إسرائيل نحو الانفجار من الداخل، دار البدار، القاهرة 1988 .
- 28 - جلانفيل دواني:
- أنطاكية القديمة، ترجمة د./ ابراهيم نصحي، نهضة مصر، القاهرة 1963 .
- 29 - جمال حمدان: (دكتور).
- اليهود أنثروبولوجيا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1967 .
- 30 - جورج رو:
- العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد 1986 .
- 31 - س. د. جواتياين:
- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق الدكتور عطية القوصي، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت 1980 .
- 32 - جيمس هنري برستد:
- فجر الضمير، ترجمة د./ سليم حسن، عمر الاسكندري، علي أدهم، مكتبة مصر، القاهرة 1977 .
- 33 - جون واتر بوري:
- الملكية والنخبة السياسية في المغرب، ترجمة: ماجد نعمة وعبود عطية، دار الوحدة، بيروت 1982 .
- 34 - حاييم زعفراني:
- ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، دار الثقافة، المغرب، ترجمة أحمد شمالان، عبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، المغرب 1987 .
- 35 - حسن السائح:
- الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، المغرب، بدون تاريخ.
- 36 - حسن كامل الملطاي:
- فقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1973 .
- 37 - حسن ظاظا: (دكتور)

- الفكر الديني أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق 1987 .
- أبحاث في الفكر الديني اليهودي: دار القلم، دمشق 1987 .
- اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة، القاهرة 1971 .
- 38 - حسن بيرنا:
- تاريخ ايران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة د. محمد نور الدين عبد المنعم، د./ السباعي محمد السباعي مراجعة وتقديم د./ يحيى الحشاش، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1979م.
- 39 - حسين مؤنس: (دكتور)
- فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب، القاهرة 1947 .
- عالم الإسلام، دراسة في تكوين العالم الإسلامي وخصائص الجماعات الإسلامية، دار المعارف، مصر 1973 .
- كيف نفهم اليهود، سلسلة كتابك عدد 50 ، دار المعارف، مصر 1978 .
- 40 - ديلاس أوليري:
- الفكر العربي ومكانه في التاريخ، ترجمة دكتور تمام حسان د./ محمد مصطفى حلمي، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.
- 41 - دوزو زسانتوس:
- يوميات رحلة فاسكوداجاما، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1995 .
- 42 - زكي شنودة:
- المجتمع اليهودي، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 43 - رجينا الشريف:
- الشخصية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد العزيز، عالم المعرفة عدد 96 ، الكويت 1985 .
- 44 - م. رستو فتزف:
- تاريخ الامبراطورية الرومانية «الاجتماعي والاقتصادي» الجزء الأول المتن ترجمة ومراجعة زكي علي، محمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.
- 45 - رضوان البارودي: (دكتور)
- أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة 1990 .
- 46 - رولاند أوليفر:

- موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة د./ دولت صادق، مراجعة الدكتور محمد السيد غلاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة 1965 .
- 47 - روجيه لوتورنو:
- فاس في عصر بني مرين، ترجمة د./ نقولا زيادة، مكتبة لبنان، بيروت 1967 .
- 48 - زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة د./ زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة 1951 .
- 49 - الزكلي:
- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت 1986 .
- 50 - ستانلي لينبول:
- سيرة القاهرة، ترجمة د./ حسن ابراهيم حسن، د./ علي ابراهيم حسن، ادوار حلیم، مكتبة النهضة المصرية، ط4 القاهرة 1950 .
- طبقات سلاطين الإسلام، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت 1986 .
- 51 - السيد سابق:
- فقه السنة، الجزء الثالث، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
- 52 - سليم حسن: (دكتور)
- مصر القديمة، الجزء السادس عشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- 53 - سلام خياط:
- البغاء عبر العصور أقدم مهنة في التاريخ، رياض الريس للنشر، لندن 1992 .
- 54 - السيد محمود القنمي: (دكتور)
- الأسطورة والتراث، سينا للنشر، القاهرة 1994 .
- 55 - السيد طه السيد أبو سديرة: (دكتور)
- الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991 .
- 56 - سيدي عبد المجيد بكر:
- الأقليات المسلمة في أفريقيا، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدرها إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة 1405هـ.
- 57 - السيد محمد عاشور:
- الربا عند اليهود، بدون ناشر، القاهرة، 1972 .
- 58 - سعيد المغربي:

- ظاهرة تعاظمي الحشيش، دراسة نفسية اجتماعية، دار المعارف، القاهرة 1963 .
- 59 - سعيد عبد الفتاح عاشور: (دكتور)
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة 1962 .
- 60 - سعدون عباس نصر الله: (دكتور)
- دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، دار النهضة العربية، بيروت 1985 .
- 61 - سليم شعشوع:
- العصر الذهبي، صفحات من التعاون اليهودي العربي في الأندلس، تل أبيب 1979
- 62 - سونيا. ي. هاو:
- في طلب التوابل، ترجمة محمد عزيز رفعت، راجعه د./ محمود النحاس مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة 1957 .
- 63 - سيدة كاشف اسماعيل (دكتورة)
- مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992 .
- 64 - شارل ديل:
- البندقية جمهورية أرستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق اسكندر، دار المعارف، القاهرة 1947 .
- 65 - شارل أندريه جوليان:
- تاريخ شمال أفريقية، الجزء الأول، تعريب محمد مزالي، البشير سلامة الدار التونسية للنشر، تونس 1969 .
- 66 - شفيق مقار:
- السحر في التوراة العهد القديم، رياض الريس للكتب والنشر، لندن 1990 .
- 67 - الشيخ الأمين عوض الله:
- العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي بجدة 1979 .
- 68 - صموئيل أتينجر:
- اليهود في البلدان الإسلامية (1850 - 1950) ترجمة د./ جمال أحمد الرفاعي، رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة عدد 197 ، الكويت 1995 .
- 69 - صالح محمود صالح:
- الإنسانية والصهيونية والتلمود، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت 1982 .
- 70 - ضياء الدين الرئيس: (دكتور)

- الخراج والنظم المالية للدول الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1961 .
- 71 - الطيب محمد حمادي:
- اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1994 .
- 72 - طوبيا سمحاه ليفي بابوفيتش: (حاخام)
- روش بناء (رأس الزاوية) نشأة مذهب القرائين. دار الشرع للاسرائيليين القرائين بمصر 1947 .
- 73 - عادل بشتاوي:
- الأندلسيون المواركة، دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، بدون ناشر، القاهرة 1983 .
- 74 - عبد العزيز بن عبد الله:
- مظاهر الحضارة المغربية، القسم الأول دار السلمى، الدار البيضاء 1957.
- تاريخ الحضارة المغربية، دار السلمى، الدار البيضاء 1963.
- 75 - عبد المنعم الحفني: (دكتور)
- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، دار المسيرة، بيروت 1980 .
- 76 - عبد القادر جغلول: (دكتور)
- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم، والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1982 .
- 77 - عبد الرازق أحمد قنديل: (دكتور)
- الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، دار التراث، القاهرة 1984 .
- 78 - عبد الرحمن بدوي (دكتور)
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكبار المستشرقين، دار النهضة العربية، القاهرة 1965 .
- 79 - عبد العزيز عبد الجليل: (دكتور)
- مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية، عالم المعرفة عدد 65 ، الكويت 1983 .
- 80 - عبد القادر زبادية:
- الحضارة العربية والتأثير الأوربي في أفريقيا الغربية، جنوب الصحراء، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982 .
- 81 - عبد الكريم كريم: (دكتور)
- المغرب في عهد الدولة السعدية، الرباط، المغرب 1977 .

- 82 - عبد الكريم دهينة: (دكتور)
- الأضرحة وترك الاعتقاد، دار النور المحمدي، القاهرة 1993 .
- 83 - عبد المجيد عابدين: (دكتور)
- بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 84 - عبد المنعم ماجد: (دكتور)
- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ثالثة، القاهرة 1973 .
- 85 - عبد الهادي التازي: (دكتور)
- التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد السابع (عهد بني مرين والوطاسيين)، المغرب 1988 .
- الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية، الطبعة الأولى، المغرب 1984 .
- 86 - عبد الوهاب بن منصور:
- مناقب أهل الصحراء في تشييد صرح الدولة المغربية الغراء، الرباط 1975 .
- قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط 1968 .
- 87 - عبد الله العروي: (دكتور)
- تاريخ المغرب، محاولة في التركيب، ترجمة د. /ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1977 .
- 88 - عبد الوهاب محمد المسيري: (دكتور)
- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام، القاهرة 1975 .
- الأيديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الجزء الأول، عالم المعرفة عدد 60 الكويت 1982 .
- 89 - عبد السلام الترماني: (دكتور)
- الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، عدد 23 الكويت 1979
- 90 - عثمان الكعاك: (دكتور)
- الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة 1965 .
- 91 - عطية مشرفة: (دكتور)
- نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة 1948 .
- 92 - عز الدين أحمد موسى: (دكتور)

- النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، القاهرة 1983 .
- 93 - علي عبد الواحد وافي: (دكتور)
- اليهود واليهودية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة بدون تاريخ.
- 94 - غوستاف لوبون:
- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الناشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1964 .
- 95 - فتحية النبراوي: (دكتورة)
- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1981 .
- 96 - فيجي، جي دي:
- تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة د. السيد يوسف نصر، راجعه د. / بهجت رياض صليب، دار المعارف، الطبعة الأولى 1982 .
- 97 - فيليب فارخ، يوسف كراج:
- المسيحيون واليهود في التاريخ العربي والتركي، ترجمة بشير السباعي. - سينا للنشر، القاهرة 1994 .
- 98 - فؤاد حسنين: (دكتور)
- التوراة هيروغليفية، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 99 - قاسم عبده قاسم: (دكتور)
- اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1987 .
- أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة 1977 .
- ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط، المجلد الأول، دار المعارف، القاهرة 1982 .
- 100 - كونتو:
- الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، راجعه طه حسين، الناشر مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، بدون تاريخ.
- 101 - كيرلس كيرلس: (قس)
- أصوامنا بين الماضي والحاضر، أصولها الروحية والتاريخية، طبع على نفقة المؤلف، القاهرة 1982 .
- 102 - كمال أبو مصطفى: (دكتور)
- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي

- من خلال نوازل وفتاوى المعيار العرب للنشر، دار نشر الثقافة الاسكندرية، 1991 .
- 103 - كلود كاهن:
- تاريخ الشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الامبراطورية العثمانية
ترجمة د./ بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت 1983 .
- 104 - ليفي بروفنسال:
- الإسلام في المغرب والأندلس: ترجمة د./ عبد العزيز سالم، راجعه د./ لطفي عبد
البديع، مكتبة نهضة مصر، بدون تاريخ.
- آداب الأندلس وتاريخها، ترجمة عبد الهادي شعيرة، راجعه عبد الحميد العبادي،
القاهرة 1951 .
- 105 - ليوتا كسل:
- التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة د./ حسان ميخائيل، بدون
ناشر، الطبعة الأولى 1994 .
- 106 - كارل ماركس:
- حول الهند والجزائر، تعريف شريف الدفوني، دار ابن خلدون، بيروت 1980.
- 107 - ماير:
- الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيني، مراجعة د./ عبد الرحمن فهمي، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972 .
- 108 - محمد أبو الفتوح: (دكتور)
- علم الصرف دراسة وصفية، دار المعارف القاهرة 1986 .
- 109 - محمد الشريف:
- سبته الإسلامية، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، تقديم د./ محمد بن
عبود، منشورات جمعية تطوان، المغرب 1996 .
- 110 - محمد أمين صالح: (دكتور)
- النظام المالي والاقتصادي في الإسلام، مكتبة الشرق، القاهرة 1984 .
- 111 - محمد بحر: (دكتور)
- اليهود في الأندلس، المكتبة الثقافية عدد 237 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف
والنشر، القاهرة 1970 .
- 112 - محمد المغربي: (دكتور)
- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، دار الرشيد للنشر، العراق 1982 .

- 113 - محمد الهواري: (دكتور)
- الاختلافات بين القرائن والربانين في ضوء أوراق الجنيزا، قراءة في مخطوطة بودليان بأكسفورد، الزهراء، القاهرة 1984 .
- 114 - محمد جلا: (دكتور)
- التأثير الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1993 .
- 115 - محمد الحبيب بن خوجة: (دكتور)
- يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1973 .
- 116 - محمد حجي: (دكتور)
- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جزآن، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ، المغرب 1978.
- 117 - محمد سعيد العشماوي (دكتور)
- الربا والفائدة في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة 1988.
- 118 - محمد عيسى الحريري: (دكتور)
- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت 1985.
- مقدمات البناء السياسي للمغرب الإسلامي، الدولة الرستمية، دار القلم، الكويت 1983.
- 119 - محمد عبد الله عنان:
- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، لجنة التأليف والنشر، القاهرة 1949.
- 120 - محمد عادل عبد العزيز: (دكتور)
- التربية الإسلامية في المغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983.
- 121 - محمد بن عبد السلام بن عبود:
- تاريخ المغرب، الجزء الأول، دار الطباعة المغربية، تطوان 1957.
- 122 - محمد غلاب: (دكتور)
- الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية، القاهرة 1948 .
- 123 - محمد فؤاد عبد الباقي:
- المعجم المفهرس، لألفاظ القرآن الكريم، دار الريان للتراث، القاهرة 1987 .
- 124 - محمد رزوق: (دكتور)
- الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 - 17م، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 1991 .
- 125 - محمود اسماعيل: (دكتور)

- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، جزءان، مكتبة مدبولي، الطبعة الثالثة، القاهرة 1988
- سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، الجزء الثالث، سينا للنشر، القاهرة 1995 .
- 126 - محمود العابدي: (دكتور)
- قدسنا: معهد البحوث والدراسات العربية العالية، القاهرة 1972 .
- 127 - محمود قاسم: (دكتور)
- دراسات في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1973 .
- 128 - مراد فرج:
- القراؤون والربانيون، القاهرة 1918 .
- 129 - مراجع عقيلة: (دكتورة)
- سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا 1975 .
- 130 - مورييس لومبار:
- الإسلام في مجده الأول، ترجمة اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر، طبعة أولى، الجزائر 1979 .
- 131 - مصطفى سويف: (دكتور)
- المخدرات والمجتمع نظرة متكاملة، عالم المعرفة عدد 205 ، الكويت 1996 .
- 132 - مصطفى كمال عبد العليم: (دكتور)
- اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968 .
- 133 - ميخائيل مكس اسكندر:
- تاريخ بنتابولي المدن الخمس الغربية، دار الثقافة، القاهرة 1987 .
- 134 - نخبة من الأساتذة:
- الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر بدون تاريخ.
- 135 - نعيم زكي: (دكتور)
- طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973 .
- 136 - نورمان كانتروا:
- التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، القسم الثاني، ترجمة د./ قاسم عبده قاسم، دار المعارف، القاهرة 1983 .
- 137 - هشام أبو رملية: (دكتور)
- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس دار الفرقان، الأردن 1984 .

- 138 - الهادي روجيه ادريس:
- الدولة الصنهاجية (تاريخ أفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12هـ)،
الجزء الثاني، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992 .
139 - هوبكنز:
- النظم الإسلامية في المغرب في العصور الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، الدار
العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1980 .
140 - ول ديورانت:
- قصة الحضارة، عصر الإيمان، الجزء الثالث المجلد الرابع، جزء 14 ترجمة محمد
بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1975 .
141 - واضح الصمد: (دكتور)
- الحرف والصناعات عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع، بيروت 1981 .
142 - يوسف فهمي الجزائري:
- الجزائر أرض البطولة، الوكالة العربية للدعاية والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
143 - يسري عبد الرازق الجوهري: (دكتور)
- شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا الاقليمية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة،
بدون تاريخ.

رابعاً: الدوريات العربية:

- 1 - ابراهيم حركات:
- أوضاع المغرب ومشاكله قبيل قيام الدولة السعدية، جملة البحث العلمي، السنة 24
المغرب 1975 .
- 2 - أمين توفيق الطيبي: (دكتور)
- النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية القرن 8هـ / 14م، مجلة البحوث
التاريخية عدد 2 ليبيا 1982 .
- 3 - بوشارب أحمد:
- التجربة الاستعمارية بدكالة ودور بعض الفئات الاجتماعية في إرساء قواعدها،
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد عبدالله، فاس العدد 1 المغرب
1978 . منشورات الكلية.
- 4 - سعيد عبد الفتاح عاشور: (دكتور)
- اليهود في العصور الوسطى، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة

- 1986 .
- 5 - صابر دياب: (دكتور)
- دراسات في عالم البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، عدد 24 ، القاهرة 1977 .
- 6 - عبد الهادي التازي: (دكتور)
- النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة، مخطوط أحمد بن الرجال، مجلة البحث العلمي عدد 32 المغرب 1980 .
- 7 - عبد القادر العافية:
- الداعية عبد الله الهابطي، مجلة دعوة الحق العدد 4 المغرب 1979 .
- 8 - عبد السلام بن سودة:
- حول أسماء الحرف والصناعات في مدينة فاس، مجلة دعوة الحق، عدد 1 ، 2 ، المغرب 1971 .
- 9 - عبد القادر زمامة:
- أزمة التجارة في الأندلس، مجلة الناهل، عدد 32 المغرب 1985 .
- 10 - عبد العزيز بن عبد الله:
- التجربة المغربية والقرصنة، مجلة تطوان، عدد 3 ، 4 ، المغرب 1958 .
- 11 - عبد العزيز كامل: (دكتور)
- دور اليهود في العدوان على قاعدة الإسلام في المدينة، كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية، القاهرة 1968 .
- 12 - عبد الحميد أشنهو:
- الدور الذي لعبته، الجزائر في القرن 16 ، بالبحر المتوسط، مجلة الأصالة، العدد 8 ، الجزائر 1972 .
- 13 - عبد القادر زبادية: (دكتور)
- التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان، مجلة الأصالة العدد 26 ، الجزائر 1975 .
- 14 - فرنان برودل:
- من ذهب السودان إلى فضة أمريكا، بحث ضمن أبحاث في التاريخ الاقتصادي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة 1961 .
- 15 - كلود كاهن:
- تجار القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة،

دار الكتب، القاهرة 1971 .

16 - محمد المتوني:

- نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، عدد 4 ، 5 ، المغرب 1965 .
- فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي عدد 11 ، 12 المغرب 1987 .
- وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري، مجلة البحث العلمي عدد 1، المغرب 1964 .
- مناقشة أصول الديانات في المغرب الوسيط والحديث، مجلة البحث العلمي، عدد 13 ، المغرب 1968 .
- التيارات الفكرية في المغرب المريني، مجلة الثقافة المغربية، عدد 5 المغرب 1391 .
- ظاهرة تعريبية، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلدان الحادي عشر والثاني عشر مدريد 1963/1964 .

17 - محمد بن ثابت:

- إمارة ابن مشعل اليهودية، دعوة الحق عدد 1، المغرب 1980 .
- 18 - محمد عيسى الحريري: (دكتور)
- الوطاسيون ودورهم السياسي في المغرب الأقصى، حولية كلية دار العلوم العدد الثامن 1977/1978 ، القاهرة 1980 .
- 19 - محمد محمود:
- مدينة فاس من خلال رسائل كلينار نيكولا في القرن السادس عشر تعريب محمد محمود، مجلة البحث العلمي عدد 32 الرباط، المغرب 1981 .
- 20 - المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية، فاس من 8 - 18 نوفمبر عام 1959 جامعة الدول العربية الإدارة الثقافية، القاهرة 1961 .

خامساً: الرسائل الجامعية

- 1 - حسن علي حسن: (دكتور)
- الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1973 .
- 2 - صالح محمد فياض: (دكتور)
- نظم الحكم والإدارة في دولة بني مرين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة اسكندرية 1977 .

- 3 - صالح محمد فياض: (دكتور)
- دولة بني وطاس ودورها السياسي والحضاري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة اسكندرية.
- 4 - محمد عادل عبد العزيز ابراهيم: (دكتور)
- الحياة الثقافية والاجتماعية في دولة بني مرين، «668 - 869هـ / 1269 - 1465م». رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة 1982 .
- 5 - محمد ماهر محمد سملك:
- الأقلية اليهودية في المغرب دراسة في الأنثروبولوجيا السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة 1993 .
- 6 - عاشور بوشامة: (دكتور)
- علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626 - 981هـ / 1228 - 1573م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة 1991 .
- 7 - نوال علي عبد العزيز: (دكتورة)
- علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بني وطاس 869 - 962هـ / 1465 - 1554م. رسالة دكتوراه، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة 1991 .
- 8 - وداد نصر محمد السيد الطوخي:
- مدينة تمبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة 1986 .

سادساً: المراجع الأجنبية

- 1 - Abdallah, Larawi:
- I' histoire du Maghreb am. essai de synthese. Paris 1970.
- 2 - Amnon, Cohen:
- Jewish life under Islam, Cambridge 1984.
- 3 - Adler, Elkan Roland Nathan - Jewish Travellers, London.
- 4 - Franz, Rosenthal:
- The Jewish Foundation of Islam. New York, 1967.
- 5 - Goitein:
- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden 1968.

- 6 - Jamil M. Abun - Nast:
 - A history of the Maghrib, Paris 1971. Cambridge.
- 7 - John Edeuarde:
 - The Jews in christaian. Europe 1400 - 1700. London, 1997. New York.
- 8 - man Jacob.
 - The Jews in Egypt and palestine under Fatimid Caliphs Oxford 1920.
- 9 - Nev ill Barbour.
 - Morocco, London 1965.
- 10 - Roland, Oliver and Anthany atmor
 - The african middle ages, 1400 - 1800 paris 1981.
- 11 - Therese and Mendel Metzger.
 - Jewish life in the middle ages, English.
- 12 - Solomon Gragzel,
 - A history of the Jews, America 1984.
- 13 - William C. Athinson,
 - A history of spain, portagal 1960.

المحتويات

7	تقديم
9	المقدمة
19	تمهيد تاريخي: اليهود في بلاد المغرب الأقصى قبل العصر المريني
35	الفصل الأول: الدولة المرينية والوطاسية وأثر اليهود في الحياة السياسية
37	1 - نشأة وتطور الدولة المرينية والدولة الوطاسية
42	2 - علاقة الدولة والعامّة باليهود
46	3 - السياسيون من اليهود: أ - الحاجب ، ب - الوزراء
53	4 - الإداريون من اليهود
56	5 - السفراء من اليهود
59	6 - أثر اليهود في الفتن والاضطرابات السياسية
63	الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية لليهود المغرب الأقصى
65	1 - التواجد اليهودي في أقاليم المغرب الأقصى
80	2 - الأحياء السكنية لليهود في المغرب الأقصى
82	3 - الطوائف اليهودية: آ - ربانيون، ب - قراؤون
89	4 - النظام الداخلي للمؤسسة الدينية لدى اليهود
96	5 - الصديقيون اليهود
99	6 - ملابس اليهود
100	7 - نظام الأسرة: أ - الزواج، ب - الطلاق
103	8 - أعياد اليهود في بلاد المغرب الأقصى
	1 - أعياد الحج الثلاثة عند اليهود:
	2 - السبت: الاحتفال الصوفي بيوم السبت
	3 - عيد رأس السنة اليهودية (روش ماشاناه)

- 4 - عيد يوم الغفران (يوم كيبور)
 - 5 - عيد التدشين (الخانوقة)
 - 6 - عيد النصيب «الوريم»
 - 7 - عيد الأشجار الجديدة «طاوبشباط»
 - 9 - بعض العادات الاجتماعية لدى يهود المغرب الأقصى:
 - أ - شرب وتجارة الدخان والحشيش، ب - الخمر، ج -
- الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية ليهود المغرب الأقصى**
- 1 - النشاط الزراعي ليهود المغرب الأقصى
 - 2 - النشاط الحرفي والصناعي ليهود المغرب الأقصى
 - 3 - التجارة الداخلية ودور يهود المغرب الأقصى فيها
 - 4 - التجارة الخارجية ودور يهود المغرب الأقصى فيها
 - 5 - طرق ووسائل تعامل اليهود في التجارة بالمدن والمواني وأثرها في انهيار اقتصاد المغرب الأقصى
- الفصل الرابع: الحياة الثقافية ليهود المغرب الأقصى**
- 1 - أهداف وطرق التربية والتعليم عند يهود المغرب الأقصى
 - 2 - التعليم ومدارسه عند يهود المغرب الأقصى
 - 3 - العلوم عند يهود المغرب الأقصى
 - أ - العلوم النقلية: 1 - التفسير ومدارسه، 2 - الجدل
 - 3 - الدراسات اللغوية، 4 - الإبداع
 - ب - العلوم العقلية: 1 - علم الفلك «علم الهيئة»، 2 -
 - 3 - المنطق، 4 - الموسيقى، 5 - الطب والصيدلة

الخاتمة

الملاحق

المصادر والمراجع

صدر عن دار الكلمة

- هرمس مثلث العظمة (النبي إدريس) تأليف: لويس مينارد
الأحناف... (التوحيد قبل الإسلام) تأليف: عماد صباغ
ليالٍ هندية (رواية) تأليف: أنطونيو تابوكي
الفرعون الأخير أو (زوال حضارة) تأليف: فرانسيس فيفر
مفهوم العدل في الإسلام تأليف: د. مجيد خدوري
موسوعة الجيب لقواعد الإنكليزية إعداد: نورالدين البهلول

سيصدر عن دار الكلمة

- أقاصيص شرقية (قصص)
- الجنس في أديان العالم
- أصحاب الجلالة - الأهرامات
- الجنس ومنابع الموت
- مذكرات حجر (رواية)
- قوّة الأسطورة
- دكتاتورية العقل في الغرب
- الجنة كما رآها الكتّاب والفلاسفة
والفنانون عبر العصور
- الحضارة اللاواعية

اليهود في بلاد المغرب الأقصى

تبحث هذه الدراسة في تاريخ يهود المغرب خلال فترة بالغة الحساسية من تاريخ المنطقة، فترة احتدام الصراع بين ممالك اسبانيا النصرانية وممالك المغرب الإسلامي بدءاً من عهد المرابطين في القرن ١١ للميلاد. أي عهد دولتي المرينيين والوطاسيين.

وتأتي هذه الدراسة على تاريخ قدوم اليهود إلى المغرب من أماكن مختلفة عبر عدة هجرات وتوضعهم في مناطق المغرب، ثم تنتقل إلى دراسة دورهم في الحياة السياسية وعلاقتهم بالدولة والمجتمع.

وبعد ذلك تخرج على دراسة حياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية إضافة إلى دورهم في الاقتصاد. ولا يفوت هذه الدراسة ان توضح التوترات التي كانت تنشب من حين لآخر بين اليهود وبقية الفئات الاجتماعية.



سورية - دمشق

ص. ب: 1484 ها: 4447395



سورية - دمشق - براهيمكة

ص. ب: 2229 ها: 2126326